[illegible]

القمر

عناصر الموضوع

صورة القمر ١

القمر في الاستعمال القرآني ٩

الأهلة في اللغة ١٠

[illegible] القمر في القرآن الكريم ١٢

القمر من مخلوقات الله عز وجل ١٤

القمر والشمس ١٨

القمر والحساب ٢٠

القمر وقيام الساعة ٢٢

مفهوم الشعر

أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «الشين والعين والراء أصلان [illegible] يدل [illegible] على [illegible] ثم [illegible] منه من ذلك الشعر [illegible] سمي شعراً لأن صاحبه [illegible] [illegible] الشعر [illegible] الشعراء [illegible] في [illegible]»[1]

وجاء في الصحاح في مادة (ش ع ر): (الشعر) [illegible] إلى آخر الشهر [illegible] سمي شعراً لأن صاحبه [illegible] الشعر [illegible] من [illegible] (شعر) الرجل من باب [illegible] و(الشعر) [illegible] (الشعر) [illegible] جمع (الشعر) [illegible] جمع (الشعرى) [illegible] و(الشعراء) [illegible] (المشاعر) [illegible] و(الشعرة) [illegible] (المشعر) [illegible] العشرة[2]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الشعر: [illegible] [illegible] حول [illegible] [illegible] الإنسان [illegible] [illegible] حول [illegible] [illegible] و[illegible][3]

---

[1] مقاييس اللغة [illegible]

[2] مختار الصحاح، الرازي ١/[illegible]

[3] انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/[illegible]

القمر في الإحصاء القرآني

وردت لفظة (قمر) في القرآن الكريم ٢٧ مرة

بالصيغ التي وردت في:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
القمر	٢٧	﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ㊴﴾ [يس: ٣٩]

وجاء القمر في القرآن بمعناه في اللغة وهو القمر المعروف كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] (٢)

---

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله إبراهيم جلغوم، ص [illegible]

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص [illegible]

تعريفات عامة

النجوم

النجم لغة:

قال ابن فارس: النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور، ونجم النجم: طلع، ونجم القرن والنبات: طلعا. والنجم: الثريا اسم لها[1]

وفي الصحيح: [illegible] حتى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وكل ما طلع وظهر فقد نجم[2]

مما سبق يمكن تعريف النجم لغة: هو كل ما طلع وظهر

النجم اصطلاحاً:

قال الكفوي: كل طالع فهو نجم، يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلعت[3] أي أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها ويتراءى لمعانها في السماء ليلاً، وهو عبارة عن جسم كروي ملتهب ضخم ومتماسك بفعل الجاذبية[4]

الصلة بين النجم والقمر

من خلال النظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي للنجم نجد أن هناك فرقاً واضحاً بين النجم والقمر، فالقمر يدور حول كوكب أي يتبعه، أما النجم فهو جرم تدور حوله الكواكب.

الكواكب

الكوكب لغة:

قال ابن منظور: الكوكب معروف، من كواكب السماء، ويشبه به النور فيسمى كوكباً، والكوكبة: الكوكب [illegible] كما قالوا عجوز وعجوزة، وبياض وبياضة[5]

والكوكب في الاصطلاح: [illegible][6]

---

[1] مقاييس اللغة [illegible]
[2] لسان العرب لابن منظور [illegible]
[3] الكليات ص [illegible]
[4] انظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية [illegible]
[5] لسان العرب [illegible]
[6] القاموس المحيط ص [illegible]

مما سبق يمكن تعريف الكوكب بالكوكب النجم وهو جامع لكل نجم.

الكوكب اصطلاحًا

قال الجرجاني: الكواكب: أجسام بسيطة مركوزة في الأفلاك كالفص في الخاتم مضيئة بذواتها إلا القمر[1] أي جرم سماوي يدور حول الشمس ويستمد ضوءه منها والكواكب مرئية على حسب قربها من الشمس عطارد الزهرة الأرض المريخ المشتري زحل أورانوس نبتون[2]

العلاقة بين الكوكب والقمر

يعد الكوكب أكبر حجمًا من القمر وأن القمر جرم من الأجرام التي تدور حول الكوكب.

٣- الهلال:

الهلال لغة

قال ابن فارس في مادة (هل): الهاء واللام أصل صحيح يدل على رفع صوت ثم يتوسع فيه فيسمى الشيء الذي يصوت عنده ببعض ألفاظ الهاء واللام ثم يشبه بهذا المسمى غيره فيسمى به فالهلال الذي في السماء سمي به لإهلال الناس عند نظرهم إليه مكبرين وداعين ويسمى هلالًا أول ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر بعد ذلك وقالت أهل الهلال واستهل ثم قيل على معنى التشبيه لهلال السحاب [illegible] كأنه [illegible][3]

الهلال اصطلاحًا

قال الجرجاني: القمر في أول ليلة وهو أيضًا بقية الضوء في آخر الشهر[4] أي أول القمر في ليلتين من الشهر وآخره من ليلة السادس والعشرين[5]

العلاقة بين الهلال والقمر

القمر هو الاسم الشامل في جميع أطواره ويمكن إطلاق تسمية الهلال على القمر في أول ليالٍ من الشهر وآخره من ليلة السادس والعشرين.

---

(١) التعريفات ص[illegible]
(٢) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٩٣
(٣) مقاييس اللغة ٦/ [illegible]
(٤) الكليات ص ٩٦٣
(٥) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ٢/ ٩٩٤

الشمس

الشمس لغة:

الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار، فالشمس معروفة، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، ويقال شمس يومنا وأشمس، إذا اشتدت شمسه[1].

الشمس اصطلاحا:

قال الجرجاني: «الشمس هي كوكب مضيء نهاري»[2] أو «النجم الرئيسي الذي تدور حوله الأرض وسائر كواكب المجموعة الشمسية»[3].

الصلة بين الشمس والقمر:

الشمس جسم مضيء والقمر جسم معتم ونوره ليس ذاتيا منه وإنما انعكاس عليه.

---

[1] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (3/ [illegible])، مجمل اللغة لابن فارس (1/ [illegible]).

[2] التعريفات (ص [illegible]).

[3] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (1/ [illegible]).

قسم بالقمر في القرآن الكريم

وردت العديد من الآيات في القرآن الكريم يقسم الله عز وجل فيها بالقمر لعظمته نذكر منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر ٣٢].

يعني أيها سبحانه ما أقسم الذين في القرآن الكريم من [illegible] المذكورة سابقاً به بالقرآن الكريم [illegible] من خلال قوله (كلا) وهو حرف ردع وزجر [illegible] السابق، ويظهر في قوله (والقمر) للقسم والمقسم به ثلاثة أشياء القمر والليل والصبح، وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المدثر ٣٥].

أي: كلا ليس الأمر كما ذكر هؤلاء [illegible] من أن [illegible] على [illegible] [illegible] من أن [illegible] [illegible] [illegible] من أن في [illegible] [illegible] القسم سبحانه بهذه الأمور [illegible] لزيادة التأكيد والإعلام [illegible] به المتقين[١]

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق ١٦-١٨]

أقسم سبحانه ببعض مخلوقاته على أن [illegible] لا [illegible] ويمكنه لا [illegible] ولكنه ما أقسم الله عز وجل به من مخلوقاته الشفق فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ والليل وما [illegible] ليجتمع فيه ويأوي وهو [illegible] من [illegible] وهو [illegible] بالقمر ويكون في الليلة الرابعة عشرة من الشهر والقمر [illegible] ما اجتمع نوره واكتمل ضياؤه وصار بدراً مكتملاً[٢]

كما [illegible] القسم بهذه الأشياء [illegible] على قدرة الله تعالى البالغة لأن هذه الأشياء تنتقل من حال إلى حال ومن هيئة إلى هيئة فالشفق حالة الأفق في أعقاب غروب الشمس والليل يأتي بعد النهار والقمر يكتمل بعد المحاق وكل هذه التحولات ظاهرة دالة على قدرة الله عز وجل[٢]

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس ٢] أقسم الله تعالى في مطلع سورة الشمس بسبعة أشياء من ضمنها القمر، فقد أقسم الله عز وجل بالقمر الذي يتلو الشمس في الطلوع بعد غروبها وخاصة في الليالي البيض وهي الليالي الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة إذ يطلع بعد غروب الشمس إلى طلوعها [illegible] بالقمر والله أعلم[٣]

---

[١] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible]؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible].

[٢] انظر: تفسير [illegible] [illegible]

[٣] التفسير الوسيط، [illegible]

انظر: معالم التنزيل، البغوي [illegible]

القمر في منظومة [illegible]

إن القمر آية عظيمة من آيات الله، فهذا المركب العظيم بحجمه وشكله ولونه ومنازله ومداره وأثره في الحياة وثباته في الفضاء إلا مثل يدل دلالة واضحة على عظمة الخالق جل جلاله وأنه الواحد [illegible] سبحانه ذو الجلال والجمال، فهذا النظام البديع الدقيق والحركة المدبرة [illegible] لرؤيته وبالوجه والمنازل المدرجة والمراحل المتطاولة التي يمر بها في كل ليلة من ليالي الشهر بدءاً هلالاً وانتهاء حتى يصير بالتربيع ثم بدراً متكاملاً، وما ينشأ عنه من ظواهر الليل والنهار والشروق والغروب والخسوف والكسوف وغيرها من الظواهر الكونية والمعجزات الإلهية ما يدعو العقول ويبصر الألباب بوجوب التأمل في مخلوقات الله عز وجل.

أولاً: القمر آية من آيات الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: 37]

المراد بالآيات في هذه الآية العلامات الدالة الواضحة على وحدانية الله تعالى وقدرته والسعي، ومن آياته على وحدانيته وقدرته تعالى على عجيب [illegible] له: الليل والنهار والشمس والقمر، الطريقة البديعة حيث إن الجميع يسير بنظام محكم دقيق، ونتيجة لهذه الطريقة كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]

فالقرآن ذكر القمر في عشرات الآيات الكريمة واعتبرها آية من آيات الله عز وجل لما له أهمية عظيمة على وجوب التفكر والتأمل في هذا المركب العجيب الذي يأخذ نوره من أشعة الشمس ثم يعود ليعكس هذا النور على الأرض[1].

ثانياً: القمر مخلوق لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]

في هذه الآية دليل على القدرة ومعجزته أي وحده سبحانه الذي خلق بقدرته الليل والنهار بهذا النظام البديع، وخلق الشمس والقمر بهذا الإحكام العجيب، كلٌّ أي كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه وطريقه المقدر له بسرعة والطبع كالسابح في الماء[2].

---

[1] انظر: القمر [illegible] ص ١٢٨، [illegible] القمر [illegible]

[2] انظر: [illegible] ج ٢، ص ١٣٢

ثالثاً: سجود الشكر لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: 18].

السجود في اللغة: [illegible] والخضوع مع انخفاض [illegible] وربما [illegible] وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض بقصد العبادة، والسجود هنا: خضوع الأشياء جميعها تحت إرادة الله تعالى وتسخيره وانقيادها لكل ما يريد منها [illegible] له عز وجل [illegible] هو الذي يعلمها، فنحن نؤمن بأن هذه المخلوقات تسجد لله تعالى ونفوض كيفية هذا السجود له سبحانه.

قال ابن تيمية: والسجود من جنس القنوت، فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل، وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته، ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ووضع جبهته في رأس مدور على التراب، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان، ومن الأمم من يركع ولا يسجد، وذلك سجودها، كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: 58] وإنما قيل [illegible] على جنب كالمريض، فالسجود اسم جنس، ولكن لما شاع سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن أن هذا هو سجود كل أحد كما في اللغة العربية[2].

وقال ابن القيم: [illegible] [illegible] [illegible] فإن كل أحد خاضع لربه ذليل لعزته، مقهور تحت سلطانه تعالى[3].

والسجود للشكر [illegible] المتكاثرة في الآثار عن سجود [illegible] وهذا ما رواه [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] أبي بكر رضي الله عنه [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] رضي الله عنه حين [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible][4].

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] باب [illegible] رقم [illegible]

رابعًا: النهي عن عبادة القمر

قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧).

لما بين الحق سبحانه أن الشمس والقمر من آياته نهى عباده عن عبادتهما والسجود لهما، لا يسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان من مخلوقات الله لا يصح أن يكونا شريكين له في عبوديته، عبادته، وإنما الركوع والسجود له وحده جل وعلا، لأنه الخالق المبدع لهما وقال عنهم: إن كانوا يعبدونه خالصه، ولما كانت السجود أقصى مراتب العبادة ونهاية التعظيم ولا يليق إلا بمن كان الخالق للموجودات وأعظمها كان لا بد من تخصيصه به جل وعلا والنهي عن السجود لغيره.

وإن وجه تخصيصه جل وعلا أنه كان أناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى، فنهوا عن ذلك.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ أي: نهى عن السجود للشمس والقمر، وإن كثرت منافعهما ثم أمر سبحانه بالسجود له وحده، لأنه الخالق لهما ولكل موجود فقال جل جلاله: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: إن كنتم حقًا عابدين غير مشركين[1]

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ (الأنعام: ٧٧).

هنا سبحانه حكى لنا عن الحالات التي مر بها إبراهيم على [illegible] وحدانيته، فلما رأى إبراهيم القمر بازغًا في الطلوع منتشرًا ضوؤه من بين الأفق قال هذا ربي، فلما أفل القمر كما أفل الكوكب من قبله قال متمسكًا من حوله من قومه لئن لم يهدني ربي إلى جانب الحق وإلى الطريق القويم الذي يرتضيه لأكونن من القوم الضالين عن الصراط المستقيم، لأن هذا القمر الذي يعتريه الأفول لا يصلح أن يكون إلهًا[2]

قال الطبري: وفي قول إبراهيم لقومه هذا القول فيه إبانة لهم لمعرفة الرب الذي هو واحد، وأن الكواكب والقمر كليهما لا يصلحان للألوهية، وفي هذا تنبيه لقومه [illegible] [illegible] ثم عرض بقومه بأنهم ضالون [illegible] لأكونن من القوم الضالين، يحمل على عدم الشك في معتقدهم أنه قوي

---

[1] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٢١/ ٤٧٣؛ تفسير السعدي ج١/ ٧٤٧.

[2] انظر: تفسير الكشاف ج١/ ٣٩٨.

من الظلمات، وإنما استدل على عظمة كون الشمس آية بعد أفوله، ولم يستدل على عظمته بصورة القمر، مع أن أفوله سابق لأفوله لأنه أراد أن يقيم الدلالة على المشاهدة لأنها أقرب وأبلغ لحجة الخصم(١).

القمر والشمس

الشمس والقمر من مخلوقات الله عز وجل، وقد جمعا في القرآن الكريم (١٤) مرة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هناك علاقة قوية جدا تربطهما ببعضهما البعض، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال هذه الآيات.

أولاً: التسخير والجريان.

قال ابن منظور: مسخرات بمعنى تجري، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، أي: الشمس والقمر مسخرات بجريانهما مجاريهما، أي: سخرا جاريين عليهما، والنجوم مسخرات، قال الأزهري: جاريات مجاريهن، وسخرته تسخيرا: كلفته عملا بلا أجرة، وكذلك تسخره، وكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر فذلك مسخر، وقوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣].

قال الزجاج: تسخير ما في السماوات: تسخير الشمس والقمر والنجوم للآدميين، وهو الانتفاع بها في بلوغ منابتهم والاقتداء بها في مسالكهم، وتسخير ما في الأرض: تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها، وهو مسخرة في وتسخير

---

(١) التفسير الوسيط [illegible]

ومسخرات

الآيات التي تحدثت عن التسخير والجريان

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [النحل: 12]

قوله: (سخر) من التسخير بمعنى التذليل والتطويع، والله سخر [illegible] المخلوقات [illegible] عملا بلا أجرة والمراد به هنا الإعداد [illegible] لما يراد الانتفاع به أي: ومن آيات سبحانه الدالة على وحدانيته وقدرته أنه سبحانه سخر لكم الشمس والقمر) والآية في موضعها جوابا لكل من [illegible] بل [illegible] من أجل مصالحكم ومنافعكم [illegible] وإنه سبحانه أوجد النجوم مسخرات بأمره [illegible] التي تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر[1]

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: 54]

أي: وخلق الشمس والقمر والنجوم [illegible] لمشيئته [illegible] سيرها [illegible] على سبيل [illegible][2]

قال الألوسي: [illegible] حمل الأمر على الإرادة أي: هذه الأجرام العظيمة والمخلوقات البديعة منقادة لإرادته [illegible] من حمل الأمر على الأمر الكلامي [illegible] إنه سبحانه أمر هذه الأجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة على الوجه المخصوص إلى حيث شاء ولا [illegible] إرادة [illegible][4]

ويظهر المعنى في الآيتين السابقتين قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 33]

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الرعد: 2]

أي: أن من مظاهر قدرته سبحانه سخر [illegible] الشمس والقمر [illegible] جعلهما [illegible] منهما من [illegible] في [illegible] بأجل معين محدد لا يتجاوزانه ولا يتعديانه بل [illegible] عند نهاية [illegible] التي حددها سبحانه لدورتهما وأوانهما[5]

ويظهر المعنى في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: 13]

وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]

[illegible] سبحانه في [illegible]

---

[1] لسان العرب لابن منظور [illegible]

[2] انظر [illegible]

[3] انظر تفسير [illegible]

[4] روح المعاني [illegible]

[5] انظر [illegible]

هذا القول القائل بسبر جوانب في تفسير موجهة الدلالة وحسن التعقيب فلا يصح ولا يقال للشمس أن تدرك القمر في مسيره فتجتمع معه بالليل، كذلك لا يصح ولا يمكن أن الليل أن يسبق النهار بأنه يلاحقه في مسيره أو وقته وإنما كل واحد من الشمس والقمر والليل والنهار يسير في هذا الكون بنظام يجري قدر الله تعالى له بحيث لا يسبق غيره أو يزاحمه في سيره[1].

ثالثاً: الإضاءة والإنارة

ذهب كثير من أئمة التفسير إلى أن الضوء في اللغة أقوى من النور من حيث الاستعمال وأن الضوء ما كان صادراً من ذات الشيء وأن النور ما كان بالعرض والاكتساب من الغير. يقول الرازي: الضوء أقوى من النور، قاله الزمخشري وتبعه الطيبي واستدل بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5].

ويقول: الضوء لما بالذات كالشمس والنار، والنور لما بالعرض والاكتساب من الغير[2].

ويقول في موضع آخر: قوله: الضياء أقوى من النور وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أقوى من النور[3].

ولم يخالف كلام المفسرين من كلام أهل اللغة فذهب كثير منهم إلى أن الضوء أقوى من النور، والضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض.

وفي هذا يقول الكفوي: الضياء أقوى من النور، وقيل: الضياء هو ما كان بالذات والنور ما كان بالعرض، ومن هنا قال المحققون: إن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس[4].

وقال البيضاوي: "الضياء ما بالذات، وما بالعرض نور، وقد نبه سبحانه بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها، والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها"[5].

ويقول ابن كثير: "يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء، وجعل شعاع القمر نوراً، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل"[6].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5].

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي ٢/ ٩٣.

(2) تاج العروس ١/ ١٧.

(3) المصدر السابق ٣/ ٢٨٨.

(4) الكليات ٣/ ٨٤.

(5) أنوار التنزيل، البيضاوي ٣/ ١٠٤.

(6) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤٨.

والمعنى: أنه تعالى وحده هو الذي جعل الشمس ضياء وجعل القمر نورا لكي تهتدوا بهما في مختلف شؤونكم.

قال الجمل: الراجح [illegible] الشمس بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور، وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء، ولأنهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار، فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أعلى وأقوى من النور المختص بالقمر[2].

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: 61].

أي: جل شأن الله تعالى وتكاثرت آلاؤه وإحسانه فهو سبحانه الذي جعل في السماء بروجا أي: منازل للكواكب السيارة، و[illegible] وجعل فيها أي: في السماء سراجا وهي الشمس، وجعل فيها أيضا قمرا منيرا أي: قمرا يسطع نوره على الأرض في الظلمات [illegible] الهادي [illegible].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 15-16].

قال الآلوسي: [illegible] وجعل القمر فيهن نورا أي: منورا لوجه الأرض في ظلمة الليل، ونسبته إليهن مع أنه في إحداهن وهي السماء الدنيا، كما يقال: زيد في بغداد، وهو في جانب منها، والترجيح له [illegible] والعلامات [illegible] وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل [illegible] وفي الكلام تشبيه بليغ، وإيثار السراج [illegible] أعرف وأقرب [illegible] في [illegible] الذي [illegible][3].

وقال ابن عاشور: [illegible] وجعل القمر نورا [illegible] القمر ليس من ذاته [illegible] وإنما [illegible] الشمس على [illegible] بحسب [illegible] من [illegible] هو [illegible][4].

---

[1] انظر: [illegible]
[2] حاشية الجمل على الجلالين [illegible]
[3] روح المعاني [illegible]
[4] التحرير والتنوير [illegible]

القمر والإنسان

جذب الإسلام [illegible] نظر البشر إلى الظواهر الكونية بعد أن كتب في قرآنه آيات تبعث التبصر عند المسلم بمظاهر خلقها الله في القمر وحسابه المنازل المحكمة من رمضان والحج والزكاة [illegible] الإنسان من الخليقة التي سخرت له كل هذه المخلوقات وكل هذه الظواهر وما هي إلا آية يستدل بها على [illegible] والعبادة الصحيحة والعبادة في القرآن بأسمى العبارات البينة ويكون ذلك على أتم صورة عندما يوقف القرآن بأسمى الألفاظ وعندما يأتي القرآن بأسمى العربية.

أولاً: منازل القمر

قال المفسرون من الآيات التي تتحدث عن منازل القمر هذه لمحة سريعة عن منازل القمر

أرجح من العلم أن القمر في حركته حول الأرض يتحرك في كل ليلة من ليالي الشهر القمري ويمر أثناءها من النجوم التي يسمى كل منها منزلاً من منازل القمر وعلى ذلك فإن عدد منازل القمر هو ٢٨ بعدد الليالي التي يرى فيها القمر وإنما كانت القمر في حركته مع الأرض حول الشمس يمر عبر البروج السماوية الاثني عشر التي تمر بها الأرض فإن كل منزل من منازل القمر يحتل مكانا محددا في كل برج من هذه البروج والقمر يطلع في كل ليلة ١٣ درجة تقريبا من هذه البروج [illegible] وعلى ذلك فإن البرج الواحد يقع فيه أكثر من منزل من منازل القمر ويعتمد ذلك على مساحة البرج في السماء وقد عرف العرب على منازل القمر من قبل البعثة المحمدية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعرفوا أسماءها في العصر العربي وفي إطار [illegible] القرآن الكريم الزاهية وسمو الشمالية منها باسم المنازل الشامية والجنوبية منها باسم المنازل اليمانية.

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]

المنازل جمع منزل، والمراد بها أماكن سير القمر في كل ليلة وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل في كل ليلة في منزل من أول ليلة في الشهر إلى الليلة الثامنة والعشرين ثم لم يستتر القمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين أو يستتر ليلة واحدة إن كان الشهر تسعا وعشرين ليلة. والمعنى أنه بالقدرة سير القمر في منازله، وأنه ينزل في كل ليلة في منزل لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، إذ كل شيء عنده بمقدار.

وقال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٨]

اتساق القمر اجتماع ضيائه ونوره وهو

انظر الكشاف الزمخشري، [illegible]

الفصل من الربيع، وهو الربيع [illegible]، والثاني بكونه في الليلة الرابعة عشرة من الشهر، وهو منزلة من منازل القمر. والمعنى: أقسم بالقمر إذا ما اجتمع نوره واكتمل ضياؤه وصار بدرا مكتملا[1].

ثانيا: حساب الشهور والسنين.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

الأهلة: جمع هلال، وهو الكوكب الذي يرى في أول كل شهر، ويسمى هلالا لثلاث ليال أو لسبع ليال من الشهر، ثم يسمى بعد ذلك قمرا إلى أن يعود من الشهر الثاني. والمواقيت: جمع ميقات، بمعنى الوقت، وهو ما يقدر لعمل من الأعمال، وقيل: الميقات منتهى الوقت. والمعنى: يسألك بعض الناس عن الحكمة من خلق الأهلة، قل لهم يا محمد: إن الله تعالى قد خلقها لحكمة عظيمة، وهي أن يعرف بها الناس أمور دنياهم [illegible] وصيامهم وحجهم، وغير ذلك مما يتعلق بأمور معاشهم[2].

قال القرطبي: [illegible] الله المواقيت بالأهلة [illegible] الشمس والشهور [illegible] الأخرى الهلالية تعرف برؤية الهلال ومشاهدته، وذلك مما لا يخفى على أحد من العامة أو الخاصة، أما الأشهر باعتبار الأشهر الشمسية فإن معرفتها تتوقف على النظر في حركات الفلك، وهي لا تعرف إلا للعارفين بذلك علم الفلك[3].

وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

أي: الشمس والقمر يجريان في هذا الكون بحساب دقيق في بروجهما ومنازلهما، بحيث لا يضطرب سيرهما [illegible] أو [illegible]، ويتعلق بذلك مصالح الناس في السنين والشهور والأيام، ومعرفة أمور الصوم والصلاة وغير ذلك من شئون الحياة، ويشبه المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠][4].

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

أي: وجعل الشمس والقمر يجريان في الفلك بحساب مقدر معلوم لا يتغير ولا يضطرب حتى ينتهي إلى أقصى منازلهما، بحيث تتم الشمس دورتها في سنة، ويتم القمر دورته في شهر، وبذلك تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة وغيرها[5].

---

(1) انظر: أيسر التفاسير للجزائري [illegible].

(2) انظر: جامع البيان للطبري [illegible]، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

(3) التفسير الوسيط [illegible].

(4) انظر: [illegible] لابن عطية [illegible].

(5) انظر: زاد المسير لابن الجوزي [illegible].

القمر وقرب الساعة

من الحقائق العلمية التي علمنا ديننا الإسلامي أن يوم القيامة آت لا ريب فيه وقد أعلم الله عز وجل علامات ابتدائها على قرب الساعة ودنو أجلها: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ وقال تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ (محمد: 18).

ومن علامات الساعة التي ذكرها العلماء انشقاق القمر، هذا ما سنتناوله من خلال هذا المقال.

أولاً: من علامات الساعة

قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (القمر: 1).

افتتحت سورة القمر بهذا الافتتاح الذي يحمل في طياته من الرهبة والخشية ما يعبر عن قرب انتهاء الدنيا وزوالها.

والمراد ﴿وانشق القمر﴾ أي انفصل وانفلق القمر بعضه عن بعض حين سأل المشركون النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك بمكة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم بنحو خمس سنين، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس، وقد ذكر المفسرون كثيراً من الأحاديث في هذا الشأن، وقد بلغت الأحاديث مبلغ التواتر المعنوي.

قال الإمام ابن كثير: هذا أمر متفق عليه بين العلماء - أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.(1)

ثم ذكر رحمه الله جملة من الأحاديث التي وردت في هذا الشأن، أخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.(2)

وروى البخاري عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا.(3)

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ وكان انشقاقه بمكة قبل

---

(1) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦٢.

(2) أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٦٧٥٠، ٤/٨٢.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب سؤال المشركين ... رقم ٣٦٣٦، ٤/٢٠٦، ومسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر رقم ٢٨٠٠، ٤/٢١٥٨.

البصيرة[1]

ثالثاً: خسوف القمر عند قيام الساعة

قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨-٩].

والمراد بخسوف القمر: انطماس نوره وانعدامه بالمرة، والمراد بجمع الشمس والقمر اقترانهما وجمعهما بعد افتراقهما واختلال النظام المعهود للكون، فتحير سمعه وبصره، ويقول في هذا الوقت يومئذ ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ أي: في هذا اليوم يصرخ الإنسان ويصيح من شدة الفزع والخوف بعد أن رأى ما كان يكذب به في الدنيا[2].

قال ابن عاشور: «وخسوف القمر أريد به انطماس نوره انطماساً مستمراً بسبب زواله عن مقابلة الأرض الدائرة حول الشمس بحيث لا ينعكس عليه نورها ولا يرى الناس نوره وهو ما دل عليه قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾».

فهذا خسوف ليس من خسوف المعتاد عند ما تحول الأرض بين القمر وبين الشمس. ومعنى جمع الشمس والقمر التصاق القمر بالشمس فتلتهمه الشمس؛ لأن القمر منفصل من الأرض التي هي من الأجرام الدائرة حول الشمس كالكواكب

ويكون ذلك بسبب اختلال الجاذبية التي وضع الله عليها النظام الشمسي[1].

الآيات الكونية، الخسوف، الشمس، الخسوف الكلي.

---

[1] المعجم الجامع، بالإنجليزي.

[2] انظر: صفوة التفاسير للصابوني ٣/ ٧٣٢.

وانظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ...

[1] التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٤.

القوة

محاور الموضوع

مفهوم القوة ٢٣

القوة في الاستعمال القرآني ٢٦

الألفاظ ذات الصلة ٢٨

الأسلوب القرآني في عرض القوة ٣٠

مجالات القوة ومظاهرها ٤٢

[illegible] ٥٥

مفهوم القوة

أولاً: المعنى اللغوي:

القاف والواو والياء أصلان متباينان في اللغة الأول يدل على الشدة وخلاف الضعف والآخر يدل على خلاف هذا وعلى قلة خير.

فمن الأول القوة والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى جمع قوة من قوى الحبل.

ومن الأصل الثاني القواء: الأرض لا أهل بها، ويقال: أقوت الدار: خلت، وأقوى القوم: صاروا بالقواء، [illegible] والقوة: الطاقة من الحبل، وجمعها قوى، [illegible][1]، والقوة المقصودة هنا مأخوذة من الأصل الأول بمعنى خلاف الضعف.

فالظاهر من ذلك أن معنى القوة في اللغة يدل على خلاف الضعف والقدرة على فعل الشيء.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: القوة هي تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة، فقوى النفس النباتية تسمى قوى طبيعية، وقوى النفس الحيوانية تسمى قوى نفسانية، وقوى النفس الإنسانية تسمى قوى عقلية، والقوى العقلية باعتبار إدراكها الكليات تسمى القوة النظرية، وباعتبار استنباطها الصناعات الفكرية من أدلتها بالرأي تسمى القوة العملية[2].

وقال الطاهر ابن عاشور: والقوة حقيقتها حالة في الجسم يتأتى له بها أن يعمل ما يشق عمله في المتعارف، فتكون في الأعضاء الظاهرة مثل قوة اليدين على الصنع الشديد والرجلين على المشي الطويل والعينين على النظر للمرئيات الدقيقة، وتكون في الأعضاء الباطنة مثل قوة الدماغ على التفكير الذي لا يستطيعه غالب الناس، وعلى حفظ ما يعجز عن حفظه غالب الناس[3].

---

[1] انظر: تهذيب اللغة للأزهري [illegible]، الصحاح للجوهري [illegible]، مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]، القاموس المحيط للفيروزآبادي [illegible]، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي [illegible].

[2] التعريفات ص[illegible].
وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي [illegible]، الكليات للكفوي ص[illegible]، دستور العلماء للأحمد نكري [illegible].

[3] التحرير والتنوير [illegible].

[illegible]

وردت مادة [illegible] في القرآن الكريم [illegible] بمعنى موضوع البحث [illegible] حسب الصيغ التي وردت فيها:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
مصدر	1	﴿[illegible]﴾ [illegible]
صيغة المبالغة	1	﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال أهل الوجوه والنظائر إن [illegible] في القرآن على خمسة أوجه[2] [illegible] على هذه الأوجه نجد أنها كلها تعود إلى معنى واحد وهو المعنى اللغوي [illegible][3]

قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] من [illegible] من [illegible][4]

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص[illegible].

(2) انظر: الوجوه والنظائر [illegible]

ص[illegible]

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]

(4) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأسف لغةً:

قال ابن فارس: [illegible] أصلٌ واحدٌ يدلّ على [illegible]

[illegible]

الأسف اصطلاحًا:

هو [illegible]

الفرق بين [illegible]

أنَّ [illegible]

[illegible]

الحسرة

الحسرة لغةً:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحسرة اصطلاحًا:

قال الراغب: (الحسرة: [illegible])

الفرق بين الحسرة و[illegible]:

أنَّ الحسرة [illegible]

[illegible]

---

(1) مقاييس اللغة [illegible]

(2) الكليات [illegible]

(3) انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص [illegible]

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور [illegible]

(5) المفردات ص [illegible]

(6) الفروق اللغوية للعسكري ص [illegible]

الضعف

الضعف لغةً:

الضَّعف والضُّعف: خلاف القوة، وقد ضعف ضعفاً وضُعفاً، وأضعفه غيره، ورجل ضعيف، وقوم ضعاف وضعفاء وضعفة، واستضعفه: أي عدّه ضعيفاً[1]

الضعف اصطلاحاً:

هو عدم القوة حساً أو معنى[2]

الصلة بين الضعف والقوة:

يظهر لي أن كلاً منهما من فعل الله تعالى، كما أن القوة من فعل الله تعالى، تقول: خلقه الله ضعيفاً أو خلقه قوياً[3]، ولذلك يتضح لنا أن الضعف خلاف القوة.

الوهن

الوهن لغةً:

هو الضعف في العمل والأمر وكذا في العظم ونحوه[4]

الوهن اصطلاحاً:

قال الراغب: الوهن: ضعف من حيث الخَلق أو الخُلق[5]

الصلة بين الوهن والقوة:

أن القوة هي القدرة على التمكن من فعل الشيء، والوهن أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، ويعتري الوهن فيه الإنسان للجسد والطريقة والقلب[6]، لذا فهي خلاف القوة.

---

[1] الصحاح للجوهري [illegible] ٣٢١
[2] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٢٣
[3] انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٣.
[4] انظر: مختار الصحاح للرازي ص ٣١٨
[5] المفردات ص ٨٨٧
[6] انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٣.

الدعاء : تعريفه ومشروعيته وفضله

أولاً : تعريف الدعاء لغة واصطلاحاً 1

ثانياً : مشروعية الدعاء والحث عليه بالكتاب والسنة وأقوال السلف والخلف من العلماء والأدلة على ذلك 1

ثالثاً : فضل الدعاء وبيان أنه من أعظم العبادات 2

رابعاً : الأدلة على أن الدعاء هو العبادة 3

خامساً : الأدلة على أن الدعاء من أسباب دفع البلاء 4

سادساً : الأدلة على أن الدعاء من أسباب جلب الخير 5

سابعاً : الأدلة على أن الدعاء لا يرد القضاء المبرم 6

ثامناً : الأدلة على أن الدعاء من أسباب دخول الجنة 7

تاسعاً : الأدلة على أن الدعاء من أسباب النجاة من النار 8

عاشراً : الأدلة على أن الدعاء من أسباب تكفير السيئات 9

حادي عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالجنة 10

ثاني عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز برضوان الله 11

ثالث عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالنظر إلى وجه الله الكريم 12

رابع عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالمغفرة 13

خامس عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالرحمة 14

سادس عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالهداية 15

سابع عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالتوفيق 16

ثامن عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالعصمة 17

تاسع عشر : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالنصر 18

عشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالأمن 19

حادي وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالرزق 20

ثاني وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالشفاء 21

ثالث وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالذرية الصالحة 22

رابع وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالعلم النافع 23

خامس وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالعمل الصالح 24

سادس وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالثبات على الدين 25

سابع وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالتيسير 26

ثامن وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالتفريج 27

تاسع وعشرون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالتثبيت 28

ثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالتسديد 29

حادي وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالتأييد 30

ثاني وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإجابة 31

ثالث وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالاستجابة 32

رابع وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالقبول 33

خامس وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإعطاء 34

سادس وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالعطاء 35

سابع وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنجاء 36

ثامن وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنقاذ 37

تاسع وثلاثون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإغاثة 38

أربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإعاذة 39

حادي وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإجارة 40

ثاني وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنجاز 41

ثالث وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنجاد 42

رابع وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنجاء 43

خامس وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنقاذ 44

سادس وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإغاثة 45

سابع وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإعاذة 46

ثامن وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإجارة 47

تاسع وأربعون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنجاز 48

خمسون : الأدلة على أن الدعاء من أسباب الفوز بالإنجاد 49

[illegible] ﴿[illegible]﴾ وهو الله تبارك وتعالى، ومعنى ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذه الآية وأمثالها تدل بوضوح على أن الله تعالى موصوف بالصفات العليا كما أنه مسمى بالأسماء الحسنى، [illegible] كل اسم لابد أن يتضمن الصفة، وبذلك [illegible] على المنكرين للصفات(٣)

ومن مظاهر علو الله تعالى:

أ- نصره سبحانه لرسله.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: ٢١).

ومن ذلك نصره لأهل الإيمان يوم الأحزاب، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور [illegible]

(١) مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري [illegible]

بما تعملون بصيرا (٩) إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ إلى أن قال: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ [الأحزاب: ٩-٢٧].

٢- إهلاك الله تعالى [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

٣- قرب الله تعالى في الآخرة

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

٤- قرب الله تعالى في [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

فالواجب على المسلم ألا يركن إلى غير الله تعالى، وأنه لا يركن إلى الذين ظلموا، لا بد أن يركنوا إلى الركن الشديد سبحانه وتعالى، ولذلك عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم) قال: وأنا خلفه وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: (يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) فقلت: بلى يا رسول الله، قال: (قل: لا حول ولا قوة إلا بالله)(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة خيبر رقم ٤٢٠٥، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت [illegible].

فإذا المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله. وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه.

ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً، كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه. ومن كلام بعض السلف: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك(١).

وهذه الكلمة لها أثر عجيب في معالجة الأثقال الصعبة وتحمل المشاق والتحول [illegible] الأحوال(٢).

[illegible] وصف ملك الوحي بالقوة

قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ٥-٧](٣).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: علم محمداً صلى الله عليه وسلم هذا القرآن جبريل عليه السلام، وعنى بقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ شديد الأسباب، والقوى: جمع قوة، وعنى بالمرة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قوياً، وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأن المرة واحدة المرر، وإنما أريد به: ذو مرة سوية، وإذا كانت المرة صحيحة كان الإنسان صحيحاً(٤).

وقال ابن عاشور: اتفق المفسرون على أن المراد به جبريل عليه السلام.

والمراد به (القوى) قدرته على تنفيذ ما يأمر الله به من الأعمال العظيمة العقلية والجسمانية، فهو الملك الذي ينزل على الرسل بالوحي(٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: [illegible]](٦).

بالذكر، رقم ٣٣.

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب ١/ ٤٨٢.

(٢) الوابل الصيب ص ٩٧.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ [illegible]، فيه كلام طيب.

(٤) جامع البيان، الطبري ٢٢/ [illegible].

(٥) التحرير والتنوير ٢٧/ ٩٢.

(٦) [illegible] جبريل عليه السلام في القرآن [illegible]

قال ابن عاشور: أوصاف ﴿رسول﴾ وهي ستة أوصاف:

الأول: ﴿كريم﴾ وهو النفيس في نوعه.

والوصفان الثاني والثالث: ﴿ذي قوة عند ذي العرش﴾ القوة حقيقتها مقدرة الذات على الأعمال العظيمة التي لا يقدر عليها غالبًا.

والمكين: فعيل صفة مشبهة من مكُن بضم الكاف مكانة إذا علت رتبته عند غيره.

وتوسيط قوله: ﴿عند ذي العرش﴾ بين ﴿ذي قوة﴾ و﴿مكين﴾ ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أي هو ذو قوة عند الله أي جعل الله مقدرة جبريل تخوله أن يقوم بعظيم ما يوكله الله به مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وزلفى.

الوصف الرابع: ﴿مطاع﴾ يطيعه من معه من الملائكة كما يطيع الجيش القائد.

والأمين (*): الذي يحفظ ما عهد له به حتى يؤديه دون نقص ولا تغيير(1).

وفي قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ [التكوير: ٢٣].

وقوله: ﴿ذو مرة فاستوى ۞ وهو بالأفق الأعلى ۞ ثم دنا فتدلى﴾ [النجم: ٦-٨].

ثبت عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ [التكوير: ٢٣].

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»(1).

وعن أبي إسحاق الشيباني قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى ۞ فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ٩-١٠] قال: حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح(2).

الطولي وهو الصحيح.

الثاني السمر [illegible]

وهو الوصف السادس.

(1) التحرير والتنوير (٣٠/[illegible]) بتصرف يسير.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء، برقم (١٧٧).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء

وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣](1).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨]، قال: رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء(2).

وعنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم(3).

ومن مهام جبريل عليه السلام:

إهلاك الظالمين من قوم لوط

وعن مجاهد قال: أخذ جبريل عليه السلام قوم لوط من سرحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم(4).

وعنه قال: أدخل جبريل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط، ثم أخذهم بالجناح الأيمن، فأخذهم من سرحهم ودورهم ثم رفعهم(5).

وعنه قال: اختطفها على جناحه بما فيها، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم كفأها، فكان أول ما سقط منها شرافها، فذلك قول الله: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

قال مجاهد: فلم يصب قوماً ما أصابهم؛ إن الله طمس على أعينهم ثم قلب قريتهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل(6).

قال قتادة: بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى، ثم ألوى بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء ضواغي كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم الحجارة(7).

٢ - جهاده:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب(8).

البخاري، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء آمين، رقم ٣٢٣٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم ١٧٤.

(1) الطبري، جامع البيان ٣٠/ ٨٤.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾، رقم ٤٨٥٨.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٣٧٤٨، ٦/ ٥٥.
وإسناده ضعيف من جهة شريك.

(4) الطبري، جامع البيان ١٢/ ٥٠٦.

(5) انظر: المصدر السابق ١٢/ ٥٠٣.

(6) انظر: المصدر السابق.

(7) انظر: عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٨٦، والطبري في التفسير ١٢/ ٥٠٧.

(8) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، رقم

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد(1).

وعن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له ابن العرقة، رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح فاغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح؟ والله ما وضعته، اخرج إليهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فأين؟) فأشار إلى بني قريظة، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية والنساء، وتقسم أموالهم(2).

ثالثاً: الأمر بأخذ الأهبة لحرب العدو

قال الله تعالى: ﴿[illegible] ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

ومعنى الآية: خذوا ما تحترسون به عليكم في قتالكم من الفرائض فانطلقوا واعملوا بأسلحتكم في الله من غير تعجيل ولا تراخ، وذلك هو معنى [illegible] إنه أحق بعمله(3).

والمرء أن يأخذ أمام أعدائه ولا يجري له [illegible] إلا [illegible] ولا [illegible] ولا يحل [illegible] ولا القول ولا [illegible] إنه جند الله مع المؤمنين. ومن هنا [illegible] فلا سبيل إلى [illegible] الجهاد والسلم، وإن [illegible] استعداداً والقتال [illegible] من [illegible] أمر [illegible] فلا بد أن القول عند الناس إنما الجهاد [illegible] وتكليفه التصحيح الحق والطريقة الصحيح على هذه [illegible] ولا بد أن [illegible] صاحب هذا الأمر [illegible] إنما [illegible] والإعداد والإعداد(4).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا)، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، رقم ٢٣[illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، رقم ١٧٦٩.

(3) جامع البيان للطبري [illegible].

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب [illegible].

وقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12].

أي: بجد واجتهاد، [illegible] على الوجه الصحيح ثم يعمل به من جميع [illegible] [illegible] إلى غير ذلك من [illegible] العمل به(1).

وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

[illegible] موسى عليه السلام أن يأخذ [illegible] بقوة [illegible] على [illegible]

يقول الطاهر [illegible] ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [illegible] على العمل بما في الألواح [illegible] ولا [illegible] ﴿...﴾ [illegible]

[illegible] الأخذ هو منهج الرسول وأصحابه [illegible] الشريعة [illegible] والرسول [illegible] وأصحابه [illegible] الأمر ثم أمرنا على [illegible] على أمر الرسول بهذا الأخذ [illegible] من [illegible] الأمة.

قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [illegible] على ما هو منهج عموم الأمة من الشريعة [illegible](2).

وإنما الأخذ بالقوة والتطبير من الأخبار بها.

[illegible] الله تعالى على [illegible] بقوة [illegible] عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63].

يقول الرازي: [illegible] عليه السلام [illegible] الله تعالى [illegible] على الاطلاع [illegible] من [illegible] الاطلاع [illegible] إلا أن [illegible] من الاطلاع [illegible] على الاطلاع [illegible] تعالى: ﴿[illegible]

---

(1) [illegible]

(2) التحرير والتنوير [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ إشارة إلى التعبير السيء لأن هذه [illegible] الضمير في الأعمال المراد.

وقوله ﴿[illegible]﴾ إشارة إلى [illegible] التي بها يمكن الانتفاع [illegible] ولا شك أن هذه الكلمة جمعاً في الدلالة [illegible] الصفات وأن [illegible] عليها سبباً في [illegible] العقل يوجب على العاقل أن ينظر في هذه [illegible] في هذا الكتاب الكريم من الأسرار العظيمة[1].

وقال الله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر ۝ حتى زرتم المقابر ۝ كلا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: 1-3].

قال ابن كثير: وقوله ﴿حتى زرتم المقابر﴾ [illegible] القبر التي [illegible] بالأحجار [illegible] أحد [illegible] في [illegible] وأولادهم [illegible] إلى أن [illegible] في [illegible] فقال: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[الهمزة: 1].

والهمزة ﴿[illegible]﴾ أي [illegible] التي لم [illegible] إلى [illegible].

[illegible] الله [illegible] عليهم [illegible] والتي [illegible] الله [illegible].

السورة ﴿[illegible] ① [illegible] ② [illegible] ③ [illegible] ④ [illegible] ⑤ [illegible] ⑥﴾ [illegible].

وقد جمع الله في هذه الآيات القصار [illegible] الذين [illegible].

- ■ [illegible] وهي هذه الأولى والتي [illegible] من الحروب [illegible] الجاهلية وكانت [illegible] وهي كلمة [illegible] في [illegible] ﴿[illegible]﴾ في هذه الآيات.

---

[1] [illegible] ٢١٢

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

● ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ وكانت ثمود تسكن بالحجر في شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام وقد قطعت الصخر وشيدته قصورا كما نحتت في الجبال ملاجئ ومغارات.

● ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ وهو رمز للطغاة إنه هنا هو فرعون موسى الطاغية الجبار.

هؤلاء هم ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ وليس وراء الطغيان إلا الفساد فالطغيان يفسد الطاغية ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف المعمر الباني إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال.

إنه يجعل الطاغية أسير هواه لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت ولا يقف عند حد ظاهر فيفسد هو أول من يفسد ويتخذ له مكانا في الأرض غير مكان العبد المستخلف وكذلك قال فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ عندما أفسده طغيانه فتجاوز به مكان العبد المخلوق وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح، وهو فساد أي فساد.

ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء مع السخط الدفين والحقد الكظيم، فتتعطل فيهم مشاعر الكرامة الإنسانية وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية والنفس التي تستذل تأسن وتتعفن وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة وميدانا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد.

ثم هو يحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة لأنها خطر على الطغاة والطغيان، فلا بد من تزييف القيم والتزوير في الموازين، والتحريف للتصورات كي تقبل صورة البغي البشعة وتراها مقبولة مستساغة.

فلما أكثروا في الأرض الفساد كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم. فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يرقب ويحسب ويحاسب ويجازي، وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ولا يأخذ بظواهر الأمور

الذين يجادلون الأنبياء(1)

وكم سخر الله من الأعضاء يشهدون في [illegible] ما [illegible] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الأحقاف: 26.

يقول الرازي: "والمعنى أنا فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلائل، وأعطيناهم أبصارا فما استعملوها في تأمل العبر، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها، فلا جرم ما أغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئا.

ثم بين تعالى أنه إنما لم يغن عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم لأجل أنهم كانوا يجحدون بآيات الله، وقوله: ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾ بمنزلة التعليل، ولفظ إذ قد يذكر لإفادة التعليل، تقول: ضربته إذ أساء، والمعنى ضربته لأنه أساء. وفي هذه الآية تخويف لأهل مكة فإن قوم عاد لما اغتروا بدنياهم وأعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل بهم عذاب الله ولم تغن عنهم قواهم ولا كثرتهم، فأهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يحذروا من عذاب الله تعالى ويخافوا"(2).

ولما أنكر فرعون وجود الله قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ القصص: 38.

يقول الطبري: "يقول جل ثناؤه: [illegible] من زعم أنه الأعلى [illegible] عليه إلا [illegible] بالله [illegible] ما أرى من [illegible] أن الله [illegible] من قبله من الأمم من [illegible] الأشراف ولو كان الله [illegible] الأشراف من [illegible] لم يكن [illegible] من [illegible] من أرباب الأشراف [illegible] إلا من [illegible] الله [illegible]"(3).

فالكلام توجه للمعرضين ليحذروا من أن [illegible] يحصل لهم ما [illegible] المولى [illegible] لا يسأل المجرمين عن [illegible] لأن الله [illegible] على [illegible] الرسل [illegible] وأصل [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]

---

(1) [illegible] في ظلال القرآن [illegible] ٣٢٨٠

(2) مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

(3) جامع البيان [illegible]

[illegible]﴾ [illegible]

وقال الله مخاطبا أهل مكة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد ١٣].

وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وخاتم الأنبياء؛ فإذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فإن العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود ٢٠](٢).

وقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة ٦٩].

وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة ٧٠].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر ٢١].

فلما عرض وصف الأمم السابقة بأنهم أشد قوة من قريش في معرض [illegible] بالأولين تهديدا [illegible] [illegible] على حالهم [illegible] والإعراض عن [illegible] في الدنيا من مثل حالهم [illegible] أنهم من [illegible] لم يكن للأمم السابقة [illegible] أن لهم قوة تمنعهم من عذاب الله [illegible] في [illegible] [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] من الأولين أو أشد منهم [illegible] من الأعمال ما ليس لهم [illegible] من عذاب الله؛ لأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء كما قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر ٤٤](٣).

---

(١) التحرير والتنوير [illegible].

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

(٣) التحرير والتنوير [illegible].

[illegible]

أولاً: الخير في الدين.

والخير في الدين يشمل أموراً كثيرة [illegible]

١- أعمال الدين بأنواعه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ومعنى الآية: [illegible] ما افترضه عليكم [illegible] من الفرائض [illegible] [illegible] من غير تقصير ولا [illegible] [illegible] [1].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

[illegible] [2].

٢- الثبات على الدين.

ومن الخير في الدين الثبات عليه [illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النحل: ٩٢].

ويقول القرطبي: [illegible] [3].

وهكذا [illegible] [4].

٣- [illegible]

---

[1] جامع البيان للطبري [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

ومن القوة في الدين أيضاً الأخذ [illegible]

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

يأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ الشرع والرسالة بقوة [illegible] على [illegible] أن [illegible] هذا الدين [illegible] العالمين.

يقول الطاهر بن عاشور في قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ تمثيل لحالة العزم على العمل بما في الألواح بمنتهى الجد والحرص دون تأخير ولا تساهل ولا انقطاع عند المشقة ولا ملل بحالة القوي الذي لا يستعصي عليه عمل يريده، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12].

وهذا الأخذ هو سمة الرسل وأصحابهم [illegible] للشريعة والمتلقين لهذا الشرع، والرسل [illegible] وأصحابهم وولاة الأمور هم أحوج على [illegible] على أمر الرسول بهذا الأخذ لأنه من [illegible] على [illegible] [illegible] الأمر.

قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: 145] تحريض على ما هو سمة عموم الأمة من الشريعة وهو المسارعة بها(1).

٤- أخذ الدين بمسؤولية

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

ظاهر الأمر الإلهي الموجّه لموسى عليه السلام أن يأخذ الألواح بقوة وعزم [illegible]، وأن يأمر قومه أن يأخذوا بما فيها من التكاليف الشاقة [illegible] الأحسن لهم والأصلح لشأنهم.

هذا الأمر على هذا النحو [illegible] على [illegible] بضرورة هذا الأسلوب في أخذ هذه التكاليف الإلهية التي [illegible] الأخذ والعزم والجد لتحمل التكاليف [illegible] [illegible] [illegible] في أخذ كل [illegible].

إن [illegible] أمر [illegible] عند الله سبحانه والأمر [illegible] في حساب هذه [illegible] والأمر لله [illegible] وأمر [illegible] في [illegible] وحياته في هذه الأرض وفي الدار الآخرة [illegible].

والمسلم [illegible] في [illegible] الله سبحانه [illegible] وسعه [illegible] أسلوب الحياة [illegible] [illegible] على [illegible] على أسلوب الأمر [illegible] في [illegible].

---

(1) التحرير والتنوير [illegible]

حيث الفرح بصورة في رؤية الله سبحانه ثم منهج الحياة كلها في منهج الله الذي ينطلق من تلك العقيدة.

وأمر له ملك الخطورة عند الله وفي حساب الآخرة وفي حركة الحياة وفي التربية الإنسان يجب أن يوجد وجوده بإرادة الله له نيته في القلب وسرائره وحسه ولا ينبغي أن يوجد في دخائله ولا في [illegible] ولا في [illegible] ذلك أنه أمر عامل في ذاته فضلاً على أنه [illegible] بصفة لا يحس عليها من طريقة الرقابة و[illegible] أو من باطن الأمر يحل عليه المشاعر.

وليس معنى هذا [illegible] العبادة [illegible] من الشعائر والحدود والعبادة والتقوى إنها ليس من طريقة دين الله.

ولكن حيث العبد والهمة والحس والمراسلة ومن صفات أخرى ومشاعر أخرى في سائر الشعائر والحدود والعبادة والتقوى!

ولذلك كانت طريقة بني إسرائيل [illegible] عادية بعدما أقسمت طول الأمد والجمود في عصر أصحاب إلى هذا الجمود الذي [illegible] أنه كل الأوامر ليس إسرائيل [illegible] حضرية يحل عليها التجمد وهذا التراكم [illegible] لهذه الطريقة الرسمية الظاهرية المستمرة الظاهرية على الأنظمة والقيد والفروع والمراسلة.

وظل طريقة بني إسرائيل كل طريقة [illegible] لعلك ما أمرهم الله من طريقة الصحيح بالظل والخضوع للأحكام والعبد للطريقة، فبدت عليها أمراض الأهواء والأحداث والأخطاء والأصول تبعاً للمطلقة.

كما هو الملحوظ في واقع كثير من المجتمعات البشرية التي [illegible] في زماننا هذا، والتي تهرب من العقيدة تهرب من [illegible] وتسير مع [illegible] الآن تسير مع [illegible] لا [illegible]؟!

فأصاب على قلوبهم [illegible] عليهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد: [illegible])

فتشكل هذه الصورة [illegible] في واقع [illegible] التي ليست من حكم الإسلام والعمل بحسب شرائع الإسلام والبعد عن [illegible] الذي من [illegible][1]

ولما جعل الله الذين كفروا أن يحاولوا في [illegible] كلهم [illegible] أن يبين خطوات الشيطان فيه ليس هناك إلا [illegible] إما [illegible] في [illegible] وإما [illegible] طرق الشيطان إما هدى وإما ضلال إما إصلاح وإما جاهلية إما طريق الله وإما

---

[1] في ظلال القرآن ج [illegible] ص [illegible]

[2] [illegible] من [illegible] في [illegible]

انظر جامع البيان للطبري ج [illegible] ص [illegible]

طريق الشيطان، وإما هدى الله وإما غواية الشيطان. وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.

إنه ليس هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدا منها، أو يخلط واحدا منها بواحد! كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر، إنه في سبيل الشيطان، سائر على خطوات الشيطان.

ليس هنالك حل وسط ولا منهج بين بين ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك! إنما هناك حق وباطل، هدى وضلال، إسلام وجاهلية، منهج الله أو غواية الشيطان. والله يدعو المؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة ويحذرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان، ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم ويستثير مخاوفهم، بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة التي لا ينساها إلا غافل، والغفلة لا تكون مع الإيمان(1).

إنه لملاحظ في جملة [illegible] التي [illegible] موضوع [illegible] في القوى الظاهرة المكتسبة في ظاهر بدن الإنسان [illegible] في [illegible] أكثر الناس [illegible] في ذلك [illegible] القوية في البدن الصحيحة في الروح، بل ربما كانت هذه القوى مصدر شقاء على الأجساد في كثير من الأحيان، [illegible] ذلك في [illegible] أكثر من أن يقدر على حصره.

[illegible] في تحقيق أثر الإنسان في الأرض، وأكبر [illegible] في [illegible] الصحة، وأقوى الأسباب في تحقيق [illegible] الإنسان [illegible] في [illegible] هذه [illegible] ولا يأخذ من [illegible] التي [illegible] القوى الظاهرية في بدنه [illegible] ولا يكتفي [illegible] ولا يطالب [illegible] كما يطالب [illegible] الأولية [illegible] بالله تعالى.

إن الصلة بالله تعالى [illegible] في حياة الإنسان من النشاط والحركة والقوة والفكر ما لا يصنعه كل الأسباب، ولا سبيل للمقارنة بين [illegible]، [illegible] هذه العناصر الأربعة التالية:

العنصر الأول: حين أراد الله تعالى أن يرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليبلغ الناس هذا الدين [illegible] وصية [illegible] وأرشده إلى الطريق التي يحصل به [illegible] العبء [illegible] عليه في تحمل ذلك [illegible] بكل ما يستطيع: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

---

(1) في ظلال القرآن ج [illegible]

ثقيلا ۝ إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا ۝ إن لك في النهار سبحا طويلا} [المزمل: ٥-٧].

وقبل ذلك كان من أول الأوامر {قم الليل إلا قليلا} [المزمل: ٢]، فكأن الله تعالى يقول له: إنه لا سبيل لك للقيام بهذه المهمة الشاقة الصعبة إلا بحسن الصلة بربك والصلاة وقراءة القرآن في الليل والاستمداد بالقوة التي تستمدها من الله تعالى في الأرض.

وكانت هذه الرعاية الربانية بالنبي صلى الله عليه وسلم الروحي والنفسي التي استمرت معه طيلة وجوده الشاق بعد تلك الفترة يسعى في أرجاء الأرض ويواجه الصعب ويلقى بها كلمة الله تعالى في الأرض وما وصل من العليا حتى يصل أرجاء هذه البشرية كلها.

المثال الثاني: عن أبي هريرة أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما وشكت العمل، فقال: (ما ألفيتيه عندنا، قال: ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين ثلاثا وثلاثين، وتحمدين ثلاثا وثلاثين، وتكبرين أربعا وثلاثين حين تأخذين مضجعك)[1].

فأشار عليه الصلاة والسلام بالذكر لفاطمة من الإرهاق الجسدي الذي تعرض له في يوم في بيتها وبما تقاسيه مما يختلف تلك الآلام التي تعتري جسدها فلا يجد لها النبي صلى الله عليه وسلم إلا علاجا روحيا المعنوية الروحية يسلي بها خاطرها ويسلي بها أثر تعبها وضعفها، ولتدرك أن لهذا الذكر أثرا كبيرا في تقوية الإنسان على عمله وجهاده في الحياة لما كانت الروحية له في هذا المقام.

ثالثا: التوجيهات والإرشاد عند مواجهة المصائب

العقل له قدرة ذاتية محدودة من [illegible] من الباطل ويستطيع هذا العقل أن يصل به إلى حقول الغيب بما أسعده من التسليم والتفكير الذي خلقه عليه، ولا يستطيع العقل في إدراك الغيب به إلى قدرة تحيرهم أو تزعجهم على الغيب [illegible] وما أنزله الله ليعطي ما يحتاج العقل إلى الإدراك لتحقيق الإتباع بالله من أمره لم يكن ذلك إلا بعد التسليم والإدراك في الغيب.

وذلك في قوله تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ۝ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

فالإسلام دين حل عقدة ولادة [illegible] لكل من تطلع عليها لا يملك غير التسليم بها

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم رقم ٢٧٢٨.

والإقناع لوجه الله فلا حاجة إذن إلى الإكراه عليه. قال ابن كثير: «لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا. وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاما»(١).

ويقول صاحب الظلال: «﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ نفي للجنس، لا إكراه على شيء، سيما وهو يخاطب لم كانت ترة التبلي ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فالحق واضح لما سبق».

ويرى أن الحق منصور من خلفه بأدلته وبراهينه فلا بد له من قوة تحرسه لا تأتي بفرض ما لسه على الناس، وإنما يحتاج إليها لأمرين:

الأول: أن تحمي عنه عدوان المعتدين وسيادة الطغاة الذين ختم الله تعالى على قلوبهم وأقسم لتحسيم البغاة والمكابرة والعدوان على المستضعفين.

الثاني: جهاد الطغاة الظالمين الذين يصدون الناس بما أوتوا من سلطة وقوة عن الاستجابة للحق ويصرفونهم عن الهداية، ويستعبدونهم حتى والسعي على إلهه على حمايتهم العقيدة وعدم الإقبال على الدين الحق، ولأجل هذه المهمة شرع الله سبحانه الجهاد.

لقد كانت مكة مهد دعوة التوحيد إلى الله عن كثب وكانت الغلبة على أهلها الكافرين بالله العلي، وباستمرار ذلك زمنا طويلا، الذي لم يكن هناك من إذن للإعداد الجهاد، ولكن الصبر على الأذى في ظل عوامل القوى غير المتكافئة لن تستطيع برؤية استطاعتها في ذلك الوقت المبكر من عمر الدعوة مجمعة للقول بأن الإسلام يجد من أهل الحق الناس، ولو تم له الانتصار [illegible] إنما الصبر على البلاء، ومعاملة الناس مكرهين وأنهم دخلوا مرغمين.

ثم إن الله قد يؤمن في أمر حظر أو عن الدعوة أن تزدهر وهو استعمالها في مهدها وحميها من الشري كما أن شرع الجهاد في ذلك الوقت المبكر لن يساعد على رؤية المسلمين الذين استجابوا لله وللرسول واتبعوا الحق.

ومع أن الإعداد الحربي في ذلك الوقت غير ممكن ولم [illegible] الذي كان يجري منه إعداد لما يجري من الإعداد الحربي بل لا يقوم الإعداد الحربي إلا عليه، [illegible] منه إعداد أكبر لما يجري على أرض الواقع على تهيئة [illegible] وإعداد مع الرؤية

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤٢/١

ويدعم الجهاد ويحث المسلم على مقاتلة أعدائه وأعداء الله ورسوله.

وما إن انتقل المسلمون من طور الدعوة -مكة المكرمة- إلى طور الدولة -المدينة المنورة- حتى جاءت الرسالة بجديد من الإعداد وهو الإعداد الحربي وجاء الأمر بذلك من الله سبحانه وتعالى صريحاً فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

فالله عز وجل أمر المسلمين بإعداد الآلات الحربية لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكانية والاستطاعة فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ أي: مهما أمكنكم ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾(1).

وقال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عنى بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عم الله الأمر بها. فإن قال قائل: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: «ألا إن القوة الرمي» قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة؛ لأنه إنما قيل في الخبر: «ألا إن القوة الرمي» ولم يقل: دون غيرها، ومن القوة أيضاً السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم»(2).

وقال ابن عاشور: «والإعداد: التهيئة والإحضار، ويدخل في ما استطعتم كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة».

والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم؛ لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها.

فالقوة الحربية كذلك تعتمد على العتاد وأوله أيضاً السلاح ويختلف بحسب العصر فقد اتخذت السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في عصور العصور الماضية واتخذت الدبابات والمدافع والطائرات والصواريخ من القوة في عصرنا هذا، وبهذا الاعتبار يفسر ما رواه مسلم(3)

---

(1) المصدر السابق [illegible]

(2) جامع البيان، الطبري [illegible]

(3) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه [illegible]

عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: ألا إن القوة الرمي، قالها ثلاثاً. أي أكمل أنواع القوة أثراً الرمي أي في ذلك العصر وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي.

وعطف رباط الخيل على القوة من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص(١).

فقد صار بالإمكان الآن بعد تيسر المسلمين إلى حد التيسير استعمال العدة العسكرية والأسلحة منها وتأسيس مصانعها والتدرب عليها في هذه الحالة ضرورياً لأنه مما يسد حاجة أمن المسلمين ويكون الحالة الأولى التي لابد من التمكن أن تشكل خطراً عليهم.

وإن تطلعات الأمة في بناء قوتها التي تحقق الاكتفاء من هذا الباب حتى تستطيع استقلالها بأقوى ما يعد من آلات القوة مع تغير الأزمنة وهذا الأمر يفرض على جماعة المسلمين الجد والاجتهاد والتضافر في تحصيل القوة الممكنة في عصرهم التي من شأنها أن تردع الكفار المتربصين أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

وهذا الأمر بإعداد ما يستطاع من القوة عام في الأسلحة والعتاد من العدة الحربية ما يمكن إعداده من القوة المطلوبة ومن متطلباتها الأمور الضرورية أو الاستراتيجية للأمة الإسلامية لأن وسائلها مطلوب منها لتبلغ رسالة الله إلى العالمين.

وقد بين لنا في الآية السبب الذي لأجله أمر المسلمون بإعداد ما يستطاع من القوة وهو قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فكان في إعداد القوة الكافية أمن الأمة من الأعداء الصريحين وغير الصريحين حتى إنه ليكفيها ترهيب عدوها من لا يراه المسلمون مما يشكل أمناً لمن لم يزل له قصد مواجهتهم أو التأثير عليهم بعض الأعمال في إعداد ما يستطاع من القوة مجتمعة لأنه يستطاع بهم المعلوم بتصريح قوة عليهم.

فالنظر الإسلامي في وجوب إعداد القوة التي تخيف الأعداء وترهب الذين سعوا إلى الله في أرض الله ونشر دين الإسلام ضد هجمات المعتدين ويفتح باب التحدي الحربي أمام المسلمين على مر العصور لأنه إعداد المستطاع من القوة لا يتم إلا بالتلقي ومن القواعد المشهورة عند أهل العلم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد أشار القرآن إلى الصناعات الحربية في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الآية [الحديد: ٢٥].

---

(١) التحرير والتنوير ١٠/ ٥٦ بتصرف.

قال ابن كثير: يعني السلاح كالسيوف والحراب والسهام والمدافع والصواريخ ونحوها(1).

والجهاد لا يصير ميسوراً ومرتباً ومنظماً إلا بالتدريب والقائد الذي يحقق معاً بعلم الصناعة الحربية لسد حاجة عليه السلاح: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾(1) الآية ٦٠.

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ يعني: القوة الحربية [illegible] الجهاد له والتدريب عند الحرب السلاح كله مرتباً كان أو رمياً أو سلاحاً أو رمياً(2).

كما دلت النصوص على الحاجة بالمركبات الحربية التي يستخدمها المجاهدون، أو التي تقلهم إلى ميادين الجهاد، مما يبين أن صناعة المركبات الحربية سواء كانت عربات برية أو سفناً وغواصات بحرية أو طائرات جوية ينبغي أن تلبي الحاجة الملحة عند الجهاد، وغيرها مما لم يستعمل في الجهاد.

ومن النصوص التي استدلت على المركبات الحربية قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ فالخيل من المركبات الحربية في زمن نزول القرآن.

وإذا كانت النصوص الشرعية قد دلت على الحاجة لصناعة الأسلحة والمركبات الحربية، وشمل ذلك سائر أنواع السلاح فإنه يتأكد من آخر النصوص التي تقع فيه الأمة اليوم أن تقل اعتمادها في سلاحها التي تحتاج إليها وتصبح هدفاً للمكائد من العالمين، حتى عدوها الذي لا يألوها شراً كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ولا شك أن اعتماد الأمة في سلاحها على أعدائها فقط دون تخصيص أو صناعة تقوم بسد حاجة السلاح المستخدمة التي تقع في يد الأسلحة التي تنزل بمراحل كثيرة لتحقيق الصناعة، ومنها أن هذه الأسلحة لا يمكن أن تكون أسلحة متقدمة متطورة تأتي في مراتب الدول مع اعتماد الأمة وإيقاف تزويدها بالسلاح من قبل المصادر لا يعطون الأمة إلا الأسلحة التي لا تخل بميزان القوى بين الأمة وبين عدوها، ويضمن تفوقه دوماً، والأمر لا يمكن تحقيقه إلا بالاعتماد على الدول الغربية مجتمعة أخذ التفاوت مع الاتحاد بالسلاح أو الطعن [illegible] إليه كما قال البهوتي: [illegible] عن الصناعات

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٨٨.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

يفرض على الأمة حينئذ ما يساويه من العملات الأجنبية، وأيضاً ما حدث في قضية الزراعة والزراعات حيث يتم دعم السلاح ومع سيطرة القلة الشديدة من الغرب.

ومن جانب الاعتماد في الغذاء على الغير أن يكون قرار الأمة مستقلاً في كثير على العصر والاستهلاك، وهذا الوضع أدى إلى استهلاك كثير من الدول الإسلامية.

إذاً من الأمور المهمة التي يجب إيجاد الحلول سريعاً لها أن تكون الأمة هي مصدر الله تعالى في سبيل أمانة رسالة رب العالمين إلى الناس كافة أشد قرائن تحديد لم هي ليست أنه يمكن مساعدة عليه وتم استغلال كل ما تحتاج إليه مما يمكن أن يقيم صناعة حربية متطورة تزود الدول الإسلامية جميعها بما تحتاج إليه.

إذ أدى هذا الوضع إلى أن تعتمد دول المسلمين من أكثرها جميعها الأسلحة من اليهود والنصارى، وهم مضطرون إلى علم تقوم هذه الدول على الدفاع عن نفسها لأنها لا تمتلك سلاحها الذي تدافع به عن نفسها.

إذا الطريق صناعة الأسلحة بما فيها المركبات الحربية في أيدينا هذه الطرق مشكلة، ولذا بأنه الآن من الأمور الرئيسية في هذه السياسة الشرعية وجوب القيام بالتصنيع الحربي في جميع المجالات وبحيث لا يحتمل التأخير والمماطلة، ولذا كانت الأمة تعاني من التخلف كثيراً في هذا المجال، إلا أنها يمكنها أن تتكامل في ذلك مع الدول الإسلامية المجاورة في مجال التصنيع الحربي، وأن تبدأ من الآن وبوجه الجيوش وتبني مراكز الأبحاث وترشيد الأموال الإنفاق، ومن سار على الدرب وصل إلى ما يرجى.

إذاً ليس هناك ما يمنع الأمة الإسلامية أن الأعمال في إيجاد الحديد الصناعي لتحررها ولذا ليس لنا سبيل أنه لا يمكن الاعتماد أو الركون إلى ما يسمونه الصداقات أو وعود أو تعهد ظاهره التحالف ضد [illegible] والاتفاقات على [illegible] ليس إلا مسألة ظرف [illegible] الاستعمار [illegible] وتنوع المصالح لا [illegible] والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني (٢)

---

(٢) انظر: إعداد القوة [illegible] والمطلوب [illegible] من [illegible] مجلة البيان، العدد ٢٢ ربيع الأول ٣٢ [illegible] هـ

عملاً البناء والعمران والإصلاح والأعمال.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: 25).

قال الرازي: "وأما الحديد ففيه البأس الشديد فإن آلات الحروب متخذة منه، وفيه أيضاً منافع كثيرة" قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ (الأنبياء: 80).

ومنها أن مصالح العالم إما أصول وإما فروع، أما الأصول فأربعة: الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة، وذلك لأن الإنسان مضطر إلى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يجلس فيه، والإنسان مدني بالطبع فلا تتم مصلحته إلا عند اجتماع جمع من أبناء جنسه يشتغل كل واحد منهم بمهم خاص، فحينئذ ينتظم من الكل مصالح الكل، وذلك الانتظام لا بد وأن يفضي إلى المزاحمة، ولا بد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض، وذلك هو السلطان.

فثبت أنه لا تنتظم مصلحة العالم إلا بهذه الحرف الأربعة، أما الزراعة فمحتاجة إلى الحديد، وذلك في كرب الأراضي وحفرها، ثم عند تكون هذه الحبوب وتولدها لا بد من حصدها وتنقيتها، وذلك لا يتم إلا بالحديد، ثم الحبوب لا بد من طحنها وذلك لا يتم إلا بالحديد، ثم لا بد من خبزها ولا يتم إلا بالنار، ولا بد من المقدحة الحديدية، وأما الفواكه فلا بد من تنظيفها عن قشورها وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتم ذلك إلا بالحديد.

وأما الحياكة فمعلوم أنه يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد، ثم يحتاج في قطع الثياب وخياطتها إلى الحديد، وأما البناء فمعلوم أن كمال الحال فيه لا يحصل إلا بالحديد، وأما أسباب السلطنة فمعلوم أنها لا تتم ولا تكمل إلا بالحديد، وعند هذا يظهر أن أكثر مصالح العالم لا تتم إلا بالحديد.

ويظهر أيضاً أن الذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح، فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختل شيء من مصالح الدنيا، ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا، ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود، والذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود، وعند هذا يظهر أثر جود الله تعالى ورحمته على عبيده، فإن كل ما كانت حاجتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل.

ولهذا قال بعض الحكماء: إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء، فإنه لو انقطع وصوله إلى القلب لحظة لمات الإنسان في

الفعل الذي هو سببه فقد أدخل الألف والسين والتاء.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [الحجر: 64]، وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171]، وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172].

والأفعال هنا في الآيات جاءت بصيغة الماضي لبيان أن هذه الأمور قد وقعت بالفعل.

ثالثاً: استخدام الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد:

يأتي الفعل المضارع للدلالة على الحدث الذي لم يقع بعد، أو الذي وقع ولم ينته بعد، أو الذي كان يحدث سابقاً ثم انقطع، ويأتي للدلالة على الاستمرار والتجدد، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6].

فالفعل المضارع (لا يؤمنون) يدل على استمرار عدم الإيمان في الحال والمستقبل.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].

فالفعل المضارع (يعلمون) يدل على استمرار الجهل وعدم العلم.

رابعاً: استخدام الفعل المضارع للدلالة على الحدث الذي لم يقع بعد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: 42].

فالفعل المضارع (يعمل) يدل على حدث لم يقع بعد.

خامساً: استخدام الفعل المضارع للدلالة على الحدث الذي وقع ولم ينته بعد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

فالفعل المضارع (يرفع) يدل على حدث وقع ولم ينته بعد.

---

(1) معاني النحو، د. فاضل السامرائي، 1/177.

(2) نفس المرجع السابق، 1/178.

[illegible] لما أصابته محنة في دين الله تعالى [illegible] مع ما كان به من [illegible] على العلم والصبر [illegible] بالصبر [illegible] في حق الله [illegible] من [illegible] في هذه [illegible] مع [illegible] التي هي أولى من [illegible] على ما كان به من [illegible] في [illegible] على الأمة في الله والصالحين والأمة [illegible] ومنافعهم.

وقال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 247[1].

[illegible] في [illegible] من أهل [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible] له بواسطة [illegible] العلم [illegible] وهذه [illegible] من [illegible]

الأول بيانه من وجوه:

أحدها: أن العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية، والمال والجاه ليسا كذلك.

والثاني: أن العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر نفس الإنسان، والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الإنسان.

الثالث: أن العلم والقدرة لا يمكن سلبهما عن الإنسان، والمال والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان.

والرابع: أن العالم بأمر الحروب والقوي الشديد على المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد وفي دفع شر الأعداء أتم من الانتفاع بالرجل الغني الذي لا يكون له علم بضبط المصالح ولا قدرة على دفع الأعداء، فثبت بما ذكرنا أن إسناد الملك إلى العالم القادر أولى من إسناده إلى النسيب الغني[2].

---

[1] البقرة: 247.

[2] مفاتيح الغيب [illegible]

[illegible]

أولاً: القوة وسيلة للوصول إلى غايات.

إنه لا بد للإسلام من قوة يحقق بها في الأرض تحرير الإنسان.

وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.

والأمر الثاني أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة.

والأمر الثالث أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها.

والأمر الرابع أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده(١)

يقول عبد الرحمن حبنكة عن الجهاد وهو نوع من أنواع القوة: «إن الجهاد القتالي يهدف إلى غاية نبيلة مثالية هي العمل على نشر عقيدة دينية ربانية بين الناس آمنت بها أمة، ورضيتها، وسعت بها إلى أن تسعى في نشرها وتعميمها على الناس سبيلاً للخير، ورفعاً عن بني الإنسان، وإقامة الدين، وهي أيضاً تمكن المؤمنين بها من إقامة الحق والعدل بين الناس، والحكم بينهم بما أنزل الله، والسعي في جلب الخير لهم على حسب الوسع والطاقة.

ولهذا فالجهاد القتالي من أعمال تأسيس الدولة الربانية كلها، وليست غايته الأساسية إكراه [illegible] المؤمنين [illegible] بالسلاح أو بالترهيب أو بسيطرة سلطانها وبالقهر في الأرض، إلا أن القوة هذه الأخيرة وسيلة للغاية الأساسية.

وبناء على هذه الغاية الأساسية للجهاد القتالي، وأهم المقصودات الهامة لتشريعه كان المجاهدون الفاتحون عند أي لقاء بين جحافل الجيشين الأول ويحمل الطرف المهاجم إلا العروض التي اختصها أحكام الأمور الثلاثة، وهي الدخول في الإسلام، على الشروط في [illegible] والاستسلام [illegible] الحرب الفاصلة بالمعارك والمعارك الحاسمة.

ويدل على إقرار شعيرة الجهاد قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤-٧٥].

---

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٣١ - ١٤٣٢.

فهذا يشعر بإهدار قيمة العمل لدى الناس بسبب التفاوت بين الأجر المترتب عليه، ولهذا نجد قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ٩٥]

أما عند الله تعالى فالتفاوت في التكريم يستند إلى مقدار التفاوت في التقوى لله لا إلى مجرد المقاييس التي يقاس بها العمل الدنيوي يوم القيامة.

ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

فالمنزلة التكريم عند الله متناسبة طرداً مع المنزلة نسبة التقوى ويلزم من ذلك عقلاً أن تتفاوت الأعمال بمقدار تفاوت درجات التقوى.

والغاية العظيمة التي هي هدف الجهاد المقدس لا يتحقق ما يلزم منه من أمور مادية أو [illegible] موكولة إلى الأجر الأسمى لله تعالى.

فلا يقتصر الجهاد على القتال وعلى المعارك الحربية، ولا يقتصر على حدودها بسط سلطان المجاهدين الشخصي، لإقامة الحق والعدل والدعوة إلى الخير وغيره [illegible] إلى طبيعة الأحوال الإنسانية في ظروف الجهاد والتعامل من جهة وظروف حياة أبنائه من جهة أخرى، مراعياً الحق وكيفية إمدادهم من طبيعة الحياة مع الجانب الاجتماعي الحقيقي التي توجب انسجامهم لكي تصلح الأمور والجماعة.

ومع ذلك فإن رسالة الجهاد المقدس تظل في صميم الأحوال رسالة مقدسة لا تهدف في تحقيقها إلى إرضاء شهوة الحكم عند أحد من الناس أو كسب مغانم لهم أو تسلط شعب على شعب.

وحين تحول الجهاد عن هدفه الرسالي إلى الطموحات الإنسانية الأخرى المتصلة بالمطامع المادية أو النزعات النفسية أصبح شكلاً من الأشكال ومجالات سيطرة بعض الشعوب على بعض، وذلك عرف التاريخ منها في عصر الزمن أموراً كثيراً ما كانت تبعاً لرواج المطامع والشهوات الإنسانية مع النفس والقدرة المادية على القتل والاستيلاء.

وحينما يتحرك الجهاد عن هدفه الذي يسعى الله في رسالاته، ويكل الله النفوس به إلى أنفسهم، وإلى الأحكام الإلهية الحقة، ويصحب مفهوم الثورة والعنف والقهر، ويقابله في تاريخهم الرهيب بالظلم مع أحداث الأحوال البشرية التي

القاطع في سبيل إمكاناتها المادية الهائلة من القوى العسكرية [illegible] الهائلة، وكذلك [illegible] المسلمون الفتح والنصر على أعدائهم في [illegible] من المسلمين إلا أنه [illegible] إلى أصحاب [illegible] بعض الأرض التي فتحوها [illegible] التي [illegible] الأركان [illegible] وأصحابهم لما استقروا في الأعراف من طريق الذي سنه الله لمن أتقى بالجهاد وأول يوم عليهم [illegible] والعادة [illegible] والقرب من العدو[1]

ومن الغايات التي يستهدفها الإسلام العليا من الجهاد:

حماية الدين وحراسة الأمة من كيد الأعداء

قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

دلت الآية على وجوب إعداد القوة العسكرية للدفاع عن الدين وعن الوطن وعن كل ما يجب الدفاع عنه لأن أعداء الإسلام [illegible] لا [illegible] إلا ما [illegible] أقوى [illegible] وأن يهزموا [illegible] على ما [illegible]

قال القرطبي: أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى. فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]

ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ[4]

ولذا يعلق الباحثون على هذه الآية على وجوب إعداد القوة العسكرية التي [illegible] العدو وخصومه وإنما تعمل الأمة بمقتضى هذه الآية أمام سطوة الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] الأرض العالي على ناصية الأقطار والأمصار.

أما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النوم والترف [illegible] من [illegible] [illegible] الآية [illegible] [illegible] من [illegible]

وكيف لا يطمع العدو في بلاد الإسلام وهو لا يرى لها ما يقابل الأسلحة [illegible]

---

[1] [illegible] ص٢٠

[3] [illegible] ٣٤٢

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible]

الحربية بل كلها مما يشترى من بلاد الكفرة!

أما آن لنا أن نخرج من هذا التيه فنعد العدة التي أمر الله بها لأعدائه ونتلافى ما فرطنا قبل أن يهاجم العدو ما بقي منها ويلبسه ثوبه..؟

إن القوة التي طلب الله من المؤمنين إعدادها لإرهاب الأعداء تتناول كل ما من شأنه أن يجعل المؤمنين أقوياء كالإعداد العسكري الحديث، والأسلحة المتطورة التي تتناسب وحسب الأزمنة والأمكنة.

إذ المقصود من إعدادها في الإسلام إنما هو إرهاب الأعداء حتى لا يفكروا في الاعتداء على المسلمين، وحتى يحسب أولئك لهؤلاء المؤمنين ألف حساب في حاضرهم وفي مستقبلهم كي يتركوا رسالة الله إلى خلقه من الناس حرة كي يختاروا أحسنها من أجل دين.

وليس المقصود بإعداد العدة إرهاب المسلمين أو الاعتداء على الآمنين أو القهر والإذلال للناس بإخضاعهم قهرا لما يغضب الله سبحانه.

ولذلك وجدنا الآية صريحة في بيان المقصود من هذا الإعداد وهو كما مر معنا: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

والخلاصة: إنه من أبرز آيات القرآن الواردة في القتال وجدنا سببها الأول أنه سبب القتال في الإسلام ينحصر في رد العدوان، وحماية الدعوة الإسلامية من التطاول عليها، وتأمين حرية العقيدة وتطهير الأرض من الظلم والطغيان[1].

إذن فالغرض الأول من إعداد القوة: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

أي: إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالقتال الفعلي. والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله[2].

٢ - تعمير الأرض وتحقيق الاستقرار.

إنه لعلى من مرتكزات الاستخلاف يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

والاستقرار يدعو إلى القوة ومن ثم التعمير والبناء، فإن القوة الأولى لها أسباب

---

[1] انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، [illegible]

[2] انظر: في ظلال القرآن، [illegible]

كثرة: منها طيب الأرض الفسيح والمرعى ومنها الأنعام والخيل ومنها [illegible] بحسن موقع الموطن من مواطن الأمن ومنها الأعراب من البحار [illegible] إلى الأنهار ومنها [illegible] ومنها [illegible] الأرض على [illegible] من الذهب والفضة والحديد والمواد المعدنية والطاقة من [illegible] الأشجار [illegible] والأنهار والحبوب والأدوية والأثمار والزروع.

ويكثر الأولاد على من الآخرين بسبب [illegible] الأنس ومن الخصب [illegible] الأمان والسلامة من [illegible] المحلية [illegible] ومن حسن المناخ والسلامة من الأوبئة المهلكة ومن الذرية بكثرة الأزواج والسراري والمراضع.

وكل ذلك لا بد له من قوة تحميه وتدافع عليه بل تأتي به.

■ صور من استعمال الكثرة في الخير وذكرها

إن صور استعمال الكثرة في الخير كثيرة جدا، [illegible] لم [illegible] عمل صالح [illegible] إلى [illegible] الإسلام [illegible] من استعمال الكثرة في الخير:

المسابقة في سبيل نصر الدين

قال الله سبحانه: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١١١].

ومن الأدلة الواردة في ذلك:

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم.

فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب: ٢٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٣/٣٢.

إلى أمر الله(١)

٢- الرحمة بأهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

يقول الألوسي: «والمعنى أنه [illegible] [illegible] على [illegible] الذين [illegible] [illegible] على إخوانهم المؤمنين، وإلى [illegible] بالرحمة [illegible] [illegible] والتعاطف [illegible] [illegible] [illegible] بالوصف الأول [illegible] [illegible] أنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالوصف [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] على الأخوة [illegible] على الإخوان»(٢)

٣- مساعدة المحتاج ونصرة المظلوم.

قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ⑱ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص:١٩].

فلما ظن موسى عليه السلام أن الرجل ظالم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وهكذا يجب على صاحب القوة أن ينصر المظلوم، بل وأن ينصر الظالم بمنعه عن ظلمه.

وفي مساعدة المحتاج والرفق بجانب الضعيف قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

قال الزمخشري: والمعنى أنه رحمهما [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] الضعيفين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] الرحمة مع ما كان به من التعب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أمر الساقي في مثل تلك الرحمة [illegible] [illegible] [illegible] وما آتاه الله من الفضل في هذه القصة [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] وما أراد من الباطل [illegible]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ رقم [illegible]، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم [illegible].

(٢) روح المعاني ٣/ ٣٦٨.

وما لم يطلع منه على ما كانوا به من [illegible] فرصة الأصحاب لترغيب في التحلي [illegible] على الأخلاق في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم وأخلاقهم[1].

روى ابن أبي شيبة[2] عن عمر بن الخطاب أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم، ورجعت المرأتان إلى أبيهما فحدثتاه، وتولى موسى عليه السلام إلى الظل فقال: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [القصص: 24].

قال: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾ [القصص: 25] واضعة ثوبها على وجهها [illegible] إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، قال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثوبك فيصف لي جسدك، فلما انتهى إلى أبيها قص عليه ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [illegible] الأمين﴾ [القصص: 26].

قال: يا بنية ما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فرفعه الحجر ولا يطيقه إلا عشرة، وأما أمانته فقال لي: امشي خلفي وصفي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثوبك فيصف جسدك. قال عمر: فأقبلت إليه ليست بسلفع[3] من النساء لا خراجة ولا ولاجة[4] واضعة ثوبها على وجهها.

هكذا تستحيي الفتاة من موسى [illegible] لما [illegible] من [illegible] ويكملها [illegible] أن يكون كل شيء.

وقال تعالى عن [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] الذي [illegible] في [illegible] ما [illegible] من [illegible] هؤلاء [illegible] على [illegible] والأمر [illegible] على [illegible] والحب [illegible]

---

[1] [illegible]
[2] في مصنفه، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في موسى عليه السلام من الفضل، [illegible]
[illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]

وقوله أجزوني بمعنى أمضوا وسوغوه لي وقبلوه والعمل

وقوله عبد الله، خبر مبتدأ أي أنا عبد الله، أو منصوب على الاختصاص على إرادة أذكر لكم الزمن الذي سبق ولا داعي لهذا التقدير على ما يؤخذ من كلمة أبي وسأل عن سنه، فقد أجاب بأنه عبد الله وأنه ابن ست سنين، فيصلح أن يقصد أنه عبد الله منذ ست سنين، ويصلح أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين، ويصلح أن يقصد أنه عبد الله وسيصير ابن ست سنين، ويصلح أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين الآن، ويصلح أن يقصد أنه عبد الله وسيصير ابن ست سنين في المستقبل، ويصلح أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين في الماضي، فهذه الاحتمالات الستة كلها صالحة لأن يقصد بها أنه عبد الله وهو ابن ست سنين، ولكن الذي يتبادر إلى الذهن هو أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين الآن، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن من قوله أنا عبد الله وهو ابن ست سنين، ولكن هذا التبادر لا يتعين به أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين الآن، بل يصح أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين في الماضي، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن من قوله أنا عبد الله وهو ابن ست سنين، ولكن هذا التبادر لا يتعين به أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين في الماضي، بل يصح أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين الآن، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن من قوله أنا عبد الله وهو ابن ست سنين، ولكن هذا التبادر لا يتعين به أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين الآن، بل يصح أن يقصد أنه عبد الله وسيصير ابن ست سنين في المستقبل، ويصح أن يقصد أنه عبد الله وهو ابن ست سنين في الماضي، فهذه الاحتمالات الستة كلها صالحة لأن يقصد بها أنه عبد الله وهو ابن ست سنين، ولكن الذي يتبادر إلى الذهن هو

ليجعل الأرض رحبة بيانه لا يحصر ولا يقيد ولا يحتبس ولا يعطل من الفرح ونسبة للكرم العاطفي، واستغلال الأرزاق والمجاهدة والأوطان، ولا يحتل البلاد المغصوبة بحكمة الركيك ولا يسلم أهلها إلى الفرقة والتمزق، إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به ويساعد المحتاجين ويحرر جميع الطاقات بحرية تامة ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح ونشر الخيرات وإحقاق الحق، ثم يسعى كل من يملكه الله على وجه إلى وحدة الله وطاعة الله ولا يخشى ومن في كنف سلطانه إلا الله ويرجو لقاء ربه في الآخرة(١).

هذا ساعد الرجل القوي القوم المستضعفين على أعدائهم الذين ظلموا وقهروا [illegible] فهم استعملوا القوة التي يحب الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ (الكهف: [illegible]).

فهذا دليل على استعمال القوة عند البغي الجائر.

٤ - صد أهل الباطل ومحاجتهم:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝ [illegible] ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: [illegible]).

فها هو موسى عليه السلام قد استخدم قوته في رد الباطل الذي افتراه السحرة، فيجب على أهل الحق أن يستعملوا قوتهم في ما يدحض الباطل ويمحوه.

٥ - الإصلاح بين الناس:

قال تعالى: ﴿ [illegible] فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: [illegible]).

فالإسلام لا يكتفي أن يرضى بالقعود عن [illegible] من قوة ومقدرته [illegible] بل يستعمل القوة [illegible] في [illegible].

فهذه صور لاستعمال القوة في الخير، فالواجب علينا أن نهتدي بها في أعمالنا التي يستخدمها لصالح الناس في حياتهم وأمورهم.

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩١

عنفاً صور من استعمال القوة في القمع والتعذيب.

الإقرار بالحجة والسلطان [illegible]

قال تعالى عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٦].

فكأنه يستكثر مصر على ملكه وما له مكان له من الثروة والسلطان التي من الله له وحسب أن الذي هو فيه من نعمة الله عليه وحرمانه دلالة أن موسى إنما لم يصل إلى الذي وصله فرعون من أجل ذلك إلى السماء مستهجناً على حوله ليرد بأن موسى عليه السلام لم يكن صادقاً فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سؤالاً لأنه سمع من المطالب والفساد على الذي هو فيه من ملكه جهلاً بالله واغتراراً منه بإمهاله إياه[1].

وحاصل الأمر أنه احتج بالقوة وملكه وآثر جاهه على طاعة الله[2].

واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثوا عنها، ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة، ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين، ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان. أما المؤمنون فيصعب خداعهم واستغفالهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح، ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون بقوله: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

ثم تأتي مرحلة الابتلاء والإنذار بالعذاب ويعلم الله أن القوم لا يؤمنون، ويصيب الطغاة الجماهير فرعون الطاغية المتمادي في ضلاله وعتوه عن الآيات البينات، وتأتي نهاية كلمة الله وتحق النهاية ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ وصدق الله.

---

[1] جامع البيان للطبري ٢٢

[2] مفاتيح الغيب للرازي ٢٧/٢١٢

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في هذا المقام بقوله ﴿ [illegible] ﴾ أي [illegible] [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible][1]

٢ - [illegible]

قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

وهذا الاستكبار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] تعالى [illegible] الأرض [illegible][2]

فلما طغوا وتجبروا أهلكهم الله تعالى [illegible]

٣ - البغي والظلم

قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

---

[1] في ظلال القرآن [illegible]

[2] [illegible]

[illegible] فخسفنا به وبداره الأرض﴾ (القصص: ٧٦-٨١).

[illegible]

٤- [illegible] بالأموال

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

وقال: ﴿[illegible] ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (الحديد: ٢٠-٢١).

فلا يغتر الإنسان المسلم ولا الجماعة المسلمة أن تركن إلى القوة المادية [illegible] بل عليها أن تتكامل [illegible] بالإيمان بالله وحده سبحانه وتعالى.

٥- التكبر على الخلق

ومن أسباب التكبر القوة البدنية [illegible] الجمال [illegible] والتكبر بها [illegible]

[illegible] الجبال [illegible] القوى من الأرض [illegible] أن تتكبر على الناس [illegible]

[illegible]

٦- الإفساد في الأرض

قال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا [illegible]

---

[1] [illegible]

[illegible] ﴾

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible] ﴾ [illegible]

إنما هو [illegible] الله تطهيرا للمجتمع [illegible] الإفساد في الأرض [illegible]

٢- [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

إن وعد الله [illegible]

[illegible] ٣٦٩

[illegible]

وليس على [illegible] إلا أنه [illegible] إلى [illegible] في [illegible] [illegible] والصبر حتى [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] في [illegible]

[illegible]

الاستكبار [illegible]

المصدر السابق ٣٧٩

[illegible]

الكتابة

[illegible]

مفهوم الكتابة ٧

الكتابة في الاستعمال العربي ٢٧

[illegible] ٢٣

[illegible] الكتابة [illegible] ٢٩

تدريس الكتابة ٤٥

سرعة القراءة ٨٥

[illegible] ١٠٧

[illegible]

مفهوم الكتابة

أولاً: المعنى اللغوي:

كتب: الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، والكتابة لغة: الضم والجمع[1]. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبا[2]. ومن ذلك الكتيبة وهي الطائفة من الجيش العظيم[3]، والكتيبة: الخيل إذا اجتمعت.

والكتيبة: الجماعة، وتطلق الكتب على جمع الحروف في الخط[4]. ومنه: المكاتبة، وهي أن يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه، ويكتب عليه أنه إذا أدى نجومه في كل نجم كذا وكذا فهو حر[5]، وإنما سمي هذا العقد بالكتابة لأنها بمعنى الجمع؛ لأن المكاتبة ضم حرية اليد إلى حرية الرقبة، أو لأن فيه جمعا بين نجمين فصاعدا، أو لأن كل واحد من المتعاقدين عليه: المولى والمملوك، يكتب الوثيقة عنده، وهو الظاهر[6].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

عرف الأحمدنكري الكتابة بأنها: جمع الحروف المنطوقة وتأليفها بالقلم[7].

وجاء في معجم لغة الفقهاء: الكتابة: بكسر الكاف، مصدر كتب، الكتاب: خطه ما يكتب في القرطاس من الألفاظ[8]. وهذه التعاريف الثلاثة متقاربة، وعلى

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس ٥/١٥٨
[2] الكليات للكفوي ص ٦
[3] مقاييس اللغة لابن فارس ٥/١٥٨
[4] الكليات للكفوي ص ٦
[5] الكليات للكفوي ص ٦١
[6] لسان العرب لابن منظور ١/ ٦
[7] دستور العلماء للأحمدنكري ٣/٨٣-٨٤، التعريفات ص ١٨٤
[8] معجم لغة الفقهاء لقلعجي ص ٣٧٧

الكلمة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (كتب) في القرآن الكريم (٣١٩) مرة[1]

الصيغ التي وردت فيها:

الصيغة	العدد	المثال
الفعل الماضي	١	﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]
الفعل المضارع	٢٦	﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]
فعل الأمر	٥	﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [الأعراف: ١٥٦]
اسم الفاعل	٩	﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]
المصدر	٢٥٤	﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]
الجمع	٦	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]
اسم المفعول	٦	﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وجاءت الكتابة في القرآن على أربعة أوجه[2]:

الأول: الفرض، ومنه قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أي: فُرض.

الثاني: القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ [المجادلة: ٢١]، أي: قضى الله.

الثالث: الجعل، ومنه قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، أي: جعل.

الرابع: الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١]، أي: أمركم بدخولها.

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (كتب).

[2] انظر: الوجوه والنظائر، للدامغاني، ص [illegible]، نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي، ص [illegible].

[illegible]

القرآن

القرآن لغة

القراءة مصدر قرأت الكتاب قراءة[1] وفي المصباح: قرأت الكتاب قراءة وقرآنا بالضم، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها[2] وأقرأ فلانا السلام واقرأ السلام على فلان وأقرأت السلام عليه[3]

القرآن اصطلاحاً

لا يختلف معنى القرآن في الاصطلاح عن معناه في اللغة.

الصلة بين القراءة والكتابة

الكتابة هي رسم الحروف الدالة على المقصود المتكون بالقلم، والقراءة باللسان والتلاوة، وهي شكل منهما من الآخر من نسخها الشيء والمعنى الراجع عليه

المسطور

السطر لغة

(سطر) السين والطاء والراء أصل مطرد يدل على اصطفاف الشيء، كالكتاب والشجر، وكل شيء اصطف[4] ويقال سطرت الكتاب سطراً من باب (قتل) كتبته[5]

والأسطار في السطر: الخط والكتابة، قال الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: 1] أي: وما يكتبون[6]

المسطور اصطلاحاً

لا يختلف معنى المسطور في الاصطلاح عن معناه في اللغة.

في قوله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور: 2].

ووصف الكتاب بأنه مسطور إشارة إلى أنه مكتوب كتابة في أسطر على نحو ما يكتب

---

[1] العين، الخليل الفراهيدي، ص [illegible]
[2] مختار الصحاح، الرازي، ص [illegible]
[3] أساس البلاغة، الزمخشري [illegible]
[4] مقاييس اللغة، ابن فارس [illegible]
[5] المصباح المنير، الفيومي [illegible]
[6] تاج العروس، الزبيدي [illegible] وانظر: تفسير عبد الرزاق [illegible]

الأطراف وفي وضعه يقف في وقت متأخر أمام أبي إلى أن انتهت الحفل، سيق الفارسان وراء ستائر، ثم ظهرت الفارسان، هو حقيقي، بريء على هذا، فإن الأطراف يدفع للدعوات، وأيضاً، وأيضاً، من أجل الطعن والرمح، ترجمت على الفرسان.

(٢٠٠) الفصل الثالث من كتاب ابن عربي يقدم معلومات عن الأطراف وعلى هذا فإن أصل الأطراف يعود إلى الأطراف الإسلامي الأندلسي الذي تأثر بالأطراف الغربية.

الفصل

الفصل الثالث

في ذكر عمل الأبي، وبيانه ومعناه، فإنه يقال في الأبي (٢٠١) وحقه الطعن، ومعناه، وما يتعلق به، وأصله، فنقول: أصله (٢٠٢) الأبي، فيما حكاه بعض أهل اللغة، الحمار الوحشي.

الفصل الثاني الفصل الثالث

وقال الجوهري: الحمار وحشي، والجمع: حُمُر، وحمير، وحمر الوحش، حمر الوحش، الأنثى: حمارة، والجمع: حمارات، وحمائر

إسناد الكتابة لله تعالى

أسند الله تعالى في القرآن الكريم الكتابة إليه في عدة آيات بصيغ مختلفة (كتب، سنكتب، كتب الله، كتبناه، كتبنا) [illegible] [illegible] لتستقيم دلالته وأنه يكتب ما يريده [illegible] [illegible].

ومن آيات أخرى جعلها من قبل الملائكة كما قال: ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ [الزخرف: ٨٠]

وقوله: ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ [يونس: ٢١].

وقوله: ﴿كراماً كاتبين ⑪﴾ [الانفطار: ١١].

ومن آيات أخرى أطلق الكتابة ولم يسندها لأحد كما في قوله: ﴿كتاباً مؤجلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقوله: ﴿[illegible] كتاب [illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]].

وقوله: ﴿هذا كتابنا ينطق [illegible]﴾ [الجاثية: ٢٩].

وعلى هذا فالكتابة صفة من صفات الله الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة(١)، وهي صفة تليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى فهي من صفات الكمال والجلال فهو سبحانه يكتب ما شاء متى شاء كما يليق بجلاله وعظيم شأنه.

وهذه الكتابة المنسوبة إلى الله تحتمل عدة معان منها:

يحتمل أن يكون المعنى أن الله أمر القلم أو غيره أن يكتب الكتب ما أراد سبحانه كما قال الحافظ ابن حجر(٢).

ويحتمل أن يكون على ظاهره بأنه كتب سبحانه وتعالى بيده وبالقلم، ويجوز أن يكون الله قد كتب بقلمه الكتابة ولا معارض في ذلك كله(٣).

ويشهد من ذلك ما جاء النص فيه أنه كتبه بيده كما في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام أن آدم قال لموسى: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده(٤).

فهذا ليس له إلا معنى واحد وهو حمله على ظاهره وهو أن الله تعالى كتب ذلك بنفسه.

ومما يكتبه الله تعالى:

١- كتابة المقادير:

كتب الله سبحانه وتعالى مقادير الأشياء في اللوح المحفوظ بعد علمه بها سبحانه

---

(١) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف، ص ٤٨.

(٢) فتح الباري، لابن حجر ([illegible]).

(٣) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف، ص ٤٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (رقم [illegible]).

وتعالى أزلاً. ومما يدل على هذا المفهوم من الأدلة قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

فالكتابة هنا بمعنى [illegible] وأصل الكتابة هنا ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ. قال الطبري: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقضاه علينا[1] من خير أو شر، أو نعمة أو مصيبة، أو شدة أو رخاء [illegible] الإنسان أنه [illegible] أنه لا يقع [illegible] معلوم الله وتقديره سبحانه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في العلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السالفين في [illegible][2].

ومعنى قوله: ﴿لَنَا﴾ ولم يقل (علينا) للدلالة على أن ما كتبه الله خير فهو وإن كان في ظاهره مصيبة أو شراً لما فيه من الأجر لمن صبر واحتسب الثواب من عند الله سبحانه.

والحاصل: أن مما يكتبه الله تعالى [illegible] فالأقدار مكتوبة في الأزل، فلا يزال [illegible] القدري لا يبدله [illegible].

فالقلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة من خير وشر، فلا يعلم أحد أنه يقع من [illegible] إلا بعد أن [illegible] أنه لم يقدر له[3] ولا يستطيع أحد أن يغير شيئاً مما كتبه الله في اللوح المحفوظ، ولا يمكن أن يحصل خلافه كما في الحديث: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»[4] فلا يمكن الاطلاع عليها أبداً.

ومن الآيات الدالة على أن الله كتب المقادير كلها قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

فقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: إلا في أم الكتاب[5] أي: اللوح المحفوظ.

قال [illegible]: هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ، كتب الله فيه مقادير كل شيء كما خلق الله سبحانه وتعالى القلم قال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[6] [illegible] ما

---

[1] جامع البيان للطبري [illegible].

[2] تفسير القرآن للسمعاني ٢/ [illegible].

[3] لباب التأويل للخازن ٢/ ٣٧.

[4] أخرجه الترمذي في سننه أبواب صفة القيامة [illegible] [illegible] رقم ٢٥١٦ وأحمد في مسنده [illegible] رقم ٢٦٦٩ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح [illegible] رقم [illegible].

[5] جامع البيان للطبري ٢٣/ ١٩٥.

[6] أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب [illegible]

هو كائن إلى يوم القيامة. سبحانك اللهم ما أعظم هذا اللوح الذي وسع كل شيء إلى يوم القيامة!

ولكن ليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل؛ لأن أمر الله تعالى إذا أراد شيئاً يقول له: كن فيكون، وقد كان الإنسان يتعجب من قبل، ولكن لا يستبعد أن يكتب في هذا اللوح مقادير كل شيء، فقد ظهر الآن من صنع الآدمي قطعة صغيرة يسجل فيها آلاف الكلمات، وهي عبارة عن قرصة صغيرة كالقرص يسجل فيها آلاف الكلمات، وقد يسجل فيها مجموع كتب الحديث المؤلفة أو مجموع التفاسير أو مجموع كتب الفقهاء وهي من صنع الآدمي الذي يعجز عن إدراك الشيء كل إدراكه!!

وأما قوله: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة: كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فالمصائب التي تصيب الناس هي في أمر سابق، وأوضحه قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ وقوله: ﴿نَّبْرَأَهَا﴾ قيل: يعود على المصيبة، وقيل: على الأرض، وقيل: على الأنفس، وقيل: على الجميع، والصحيح أنه على الجميع، أي: من قبل أن نبرأ [illegible] [illegible] لأن الله كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة(1)

واسم الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعود إلى الكتابة في الكتاب.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: هذه كتابة هذه المقادير يسير على الله عز وجل؛ لأنه كان قادراً على الكتابة، وهذا يسير كلمة واحدة يحصل بها كل شيء(2)

قال الرازي في قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٣)

فهذه الكتابة أمر يسير.

السابعة: أن الله تعالى لما كتب هذه الأحداث في اللوح المحفوظ [illegible] على [illegible] علم الله تعالى في المخلوقات، وأنه لا يغيب عنه شيء في السماوات والأرض [illegible] [illegible] في الآية [illegible] [illegible] للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ [illegible] [illegible] وما يحدث في صحيفة [illegible] [illegible] [illegible]

والثامنة: [illegible] أن [illegible] تعالى [illegible] ما [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] على أمر المصائب وأنه لا [illegible] من كل ما [illegible] في الدنيا شيء إلا [illegible] لا

في القدر [illegible] رقم [illegible] ومسلم [illegible] أبي [illegible] صحيح الجامع رقم [illegible]

(1) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين: سورة الحديد ص ١٢ - ١٣.

(2) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين: سورة الحديد ص ١٢ - ١٣.

يمحو الأحوال التي ليس فيها ثواب ولا عقاب ولا التعيين؛ فإنه لا يمحو الأحوال المشتملة على الثواب والعقاب أزلي.

والقول أنه تعالى علم أحوال جميع الموجودات لاستحالة تغيرها عن مقتضى ذلك العلم، ولا لزم التبديل، فإنه كتب أحوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع أيضًا تغيرها، ولا لزم التكذيب، فيصير كتبة جملة الأحوال في ذلك الكتاب موجبًا تامًا لعدم التبدل في أنه يمتنع تقدم ما تأخر، وتأخر ما تقدم كما قال صلى الله عليه وسلم: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[1] أي: فرغ من الكتابة التي أمر بها حين خلقه وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

ثم علل الله تعالى بعد ذلك سبب هذه الكتابة وهذا الإخبار بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

والمعنى: أعلمكم الله ذلك وأخبركم به لئلا تأسوا على ما فاتكم؛ ومعنى لا تأسوا: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فرحًا[3]

وهذا من مقتضى الإيمان بالقدر الذي معناه: أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ومن الآيات الدالة على كتابة المقادير قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وللمفسرين في معنى هذه الآية أقوال طويلة، لخصها الإمام الشوكاني، الظاهر من النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر، ويبدل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وقيل: الآية خاصة بالسعادة والشقاوة.

وقيل: يمحو ما يشاء من ديوان الحفظة، وهو ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب.

وقيل: يمحو ما يشاء من الرزق.

وقيل: يمحو من الأجل.

وقيل: يمحو ما يشاء من الشرائع فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه.

وقيل: يمحو ما يشاء من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء منها مع عدم التوبة[4]

فالمحو والإثبات على هذا يكون في

---

[1] أخرجه البخاري معلقًا ٨/ ٣٢٣ عن أبي هريرة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «جف القلم بما أنت لاق».

[2] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/ ٢٣.

[3] التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٤/ ٢٨٧.

[4] فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٨٤.

المصحف الذي بأيدي الملائكة، وأما اللوح المحفوظ فلا يحل فيه محو، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

أي: الذي لا يحل بعد ذلك محو ولا إثبات.

ومنهم من يقول: إن هذا المحو والإثبات في الكتابة لا يمنع أن يكون مثبتاً في اللوح المحفوظ من الكتابة الأصلية.

والمحو والإثبات إنما كان في الكتابة الأصلية فهو راجع إلى قدرة الله عز وجل وإرادته، وأن الله يعلم أنه ما سيكون، فلا يتعارض مع كتابته والقدر وتقديره.

والقول الثاني أولى، لما فيه الجمع في قوله: ﴿وَيُثْبِتُ﴾ من المحو مع العلم [illegible] السابق في قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٣٩].

ومع قوله: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ.

فالمراد من الآية أنه يمحو ما يشاء محوه في اللوح المحفوظ، لكونه قد كتب وبقيده ما يشاء منه فهو يجري به القلم، ويأتي على حسب ما كتب مشيئته، وهذا لا ينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: «جف القلم»[1]، ونحو ذلك؛ لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه سبحانه[1].

وهذا هو الظاهر، كما قيل من كلام الشوكاني رحمه الله.

ومن الآيات الدالة على كتابة المقادير قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ... إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

المراد: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً[2].

قال ابن كثير: أي: هذا الحكم وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير. قاله مجاهد وغير واحد، وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدري الشرعي[3].

ومن الآيات الدالة على الكتابة القدرية قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

يقول: لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله محل لكم

---

[1] أخرجه البخاري، معلقاً، (٣٣/ [illegible]) عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «جف القلم بما أنت لاق».

[1] فتح القدير للشوكاني [illegible].

[2] معالم التنزيل للبغوي [illegible].

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٨٣).

فاتحته وأن الله تعالى لما نفى أنه لا يضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وأنه لا يعذب أحدًا [illegible] الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] عذاب عظيم(١)

وكذلك في الآية قوله ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ أي لولا أنه تعالى حكم في الأزل بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم وهذا هو المراد من قوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: [illegible]] وقوله: «سبقت رحمتي غضبي»(٢)

ومن الآيات الدالة على كتابة القدر قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

والمحو [illegible] في أم الكتاب الأزلي [illegible]

وهذا نظير قوله: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

وهذه الرحمة لهم بالنصر والغلبة لا يطلب [illegible] في كل موطن [illegible] على الأعداء [illegible] على كل [illegible] لهم على كل سالف وفي كل موطن كما قال سبحانه: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ [illegible](٣)

والمقصود بهذا كله أن من أنواع الكتابة المسندة إلى الله تعالى كتابة مقادير الخلق في كتاب مبين وهو الإمام المبين [illegible] والذكر [illegible] واللوح المحفوظ.

وقد ورد في هذا المعنى آيات كثيرة في سورة يونس: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]

وفي سورة هود بعد بيان علمه بما يسرون وما يعلنون وما في الصدور: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [هود: ٦]

وفي سورة النمل: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [النمل: ٧٥]

وفي سبأ: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]

---

(١) جامع البيان، الطبري [illegible]

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] باب قول الله تعالى: [illegible] رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب [illegible] باب [illegible] رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه [illegible] رقم [illegible]

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل [illegible]

(٤) جامع البيان، الطبري [illegible]

(٥) [illegible] القرآني [illegible]

وفي سورة طه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝﴾ [طه: ٥١-٥٢].

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والمراد هنا: الإيمان بالكتابة من الأركان الأساسية في الإيمان بالقدر، فيجب الإيمان بأن الله عز وجل كتب مقادير كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وقد ذكر العلماء أن القدر مرتبتان:

المرتبة الأولى: أن الله تعالى علم الأشياء قبل وجودها ثم كتبها في اللوح المحفوظ.

والمرتبة الثانية: أن الله تعالى أوجد الأشياء التي قدرها ثم خلقها.

فالمرتبة الأولى: تتضمن العلم والكتابة، والمرتبة الثانية تتضمن الإرادة والخلق[1].

٤- كتابة الأقوال والأفعال للعباد.

ومما يكتبه الله تعالى ويحصيه أقوال العباد وأعمالهم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝﴾ [آل عمران: ١٨١].

قوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ هو الكتابة في صحائف الأعمال، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ﴾ بالنصب أي: ونكتب قتلهم الأنبياء، فالكتابة هنا على ظاهرها.

وقيل: سنحفظه عليهم، وقيل: معنى الكتابة هنا الحفظ، أي: سنحفظ ما قالوا لنجازيهم[2].

ولفظ الكتابة آكد من لفظ الحفظ لما فيه من معنى الاستيثاق، وأمن النسيان، ولما فهم أهل الأديان بعد [illegible] هذا الشعب إلى اليهود التي [illegible] الأجيال لهم أن حمل هذا القدر والجور ليس بغريب من أمر من [illegible] لهم أن قتلوا الأنبياء المرسلين بغير حق، [illegible] لهم بصورة في هذا على [illegible] وليس هو بأول [illegible] والإشارة بأن [illegible] جاءوا في الطلب والمصطلح المتعلق[3].

إن قيل: الكتابة بكتاب الله ما فائدتها مع أن علمه أزلي لا يعزب ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

والجواب: أن كلمة ﴿سَنَكْتُبُ﴾ جاءت حتى لا [illegible] سبحانه وتعالى يوم القيامة بما يجري [illegible] أنهم يحاسبون بما كتب عليهم [illegible] بأنفسهم ولتكون حجة عليهم؛ لأن الكتابة ليست كما نظن، فالكتابة تسجيل الحركات والأفعال

---

[1] شرح كتاب الإبانة عن أصول الديانة [illegible].

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٩٤).

[3] تفسير المنار، محمد رشيد رضا [illegible].

تعالى يوم القيامة ليجد كل إنسان ما فعله مسطوراً ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وهذه الآية تدل على أنه سيقرأ كل الإنسان ما كتب في الكتاب سيعرف أنه [illegible] الأشياء مسجل على صحيفة أعمالهم وكلامهم المسجل على من عملها تلك أن يسجل الألفاظ والأصوات والحركات بحيث إذا قرأها الإنسان يراها لا يستطيع أن ينكر شيئاً لم يذكرها ﴿[illegible]﴾ وهو أمر ﴿[illegible]﴾ وهذه حجة في الدنيا والحجج على الخلق ضعيفة ولم يكتفِ بذلك بل أمر الأنبياء الذين أرسلهم الله ليبلغوه للناس بقول الحق ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

وعلى هذا الكلام [illegible] لأن المعنى سجلت عليهم في سجل الله تعالى تراهم ذلك وتعرض عليه سبحانه وليس المراد حصر الكتابة بل المراد أنها ومن الحساب عليه والجزاء عن المطالب الأخرى والحسن بالكتابة كناية عن العلم المستقر الثابت الذي يترتب عليه الحكم والمراد وكذا المستند الكتابة عن معنى المطالب الرابع الذي لا مجال له في [illegible] قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ والتفسير بقوله ﴿كِتَابًا﴾ هو إيماء إلى ما هو من الحروف على الله تعالى ولهم على علمه الأزلي سبحانه[٢].

ومن الآيات الدالة على كتابة الأعمال قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي الأعمال.

أحدها: نكتب أي الأعمال التي عملوها بأنفسهم [illegible].

والثاني: نجزيهم إياه في كتابه.

والثالث: يحتمل عليهم ما يحاسبون به الخ القرآن الكريم[٣].

والمعاني أنه يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذين هم موكلون بالعباد يحصون ما يعملون والمعنى في هذه الآية أنه تعالى أخبر بأنه عالم بما [illegible] إنما يعلمونه وما يعلمون عليه أولاً من سلالة الرسول وصحابته وإن كتبوا له [illegible] الطاعة والمسألة ويسجل يوم على ذلك[٤].

ومن الآيات أيضاً الدالة على كتابة الأعمال قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

---

(١) التفسير [illegible] ج[illegible] ص[illegible] بتصرف.

(٢) زبدة التفاسير ج[illegible] ص[illegible]

(٣) زاد المسير ج[illegible] ص[illegible]

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج[illegible] ص[illegible]

فيها تسمية الله تعالى إلى [٢٦٠] ظاهرات الكون التي تدل على الإعجاز.

وفي قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ المعمور: البيت المكرم في الأرض وهو الذي في الأرض من يقصده بالحج والعمرة، وقيل: الكعبة، وهو في كل أمة.

والمعنى: القسم في الحوادث بكائن بعظائم في الأرض وفي السماء.

وقوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السقف: كل ما علا وارتفع، وسمي السماء سقفاً، وفي الحديث: «إن السقف المرفوع موج مكفوف» [٢٦١] وهذا من تفسير القرآن بالقرآن.

وقال الزمخشري: «وَالسَّقْفِ» سماء كل بلد، أو السماء المحيطة بالأرض كلها، أو كل سقف بناء، وصف بالرفع لأنه من بناء الله، كقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢] وقيل: هو العرش، كقوله: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقيل: هو سماء الجنة، وهي أعلى السماوات، وهي سقف عرش الرحمن، وقيل: هو السماء التي فيها الشمس والقمر، وقيل: هو السماء الرابعة، وهي سماء الدنيا، وهي سقف البيت المعمور، وقيل: هو السماء التي فيها الكواكب، وهي سقف الأرض

في إمام مبين، وعلمه بذلك كله ليس من الأمور والأشياء لا يعزب عن علمه تعالى ولا يفوته، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝﴾ (القمر: ٥٢-٥٣).

يعني: ليس ما في الزبر منحصراً فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب [illegible] القلم جف بما هو كائن، فلما قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ بين أن ذلك [illegible] كتابة أخرى، فإن الله تعالى كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا وكذا، ثم إذا فعلوه كتب عليهم أنهم فعلوه، [illegible] مؤكد لمعنى قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ﴾ لأنه من يكتب شيئاً في أوراق ويرميها قد لا يجده فكأنه لم يكتبه، فقال تعالى: [illegible] في إمام مبين، وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝﴾ (طه: ٥٢)(١).

وفي الآية الأخرى أضاف السمع إلى نفسه والكتابة إلى ملائكته فقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝﴾ (الزخرف: ٨٠).

فهو يسمع [illegible] من [illegible] ملائكته، وأما الكتابة فرسله يكتبونها، وأما في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس: ١٢).

[illegible] بالكتابة لنفسه لأنه يحب [illegible] بأمره، والفصل في هذه الآية بين السماع والكتابة لأنه يسمع بنفسه، وأما كتابة الأعمال فتكون بأمره، والملائكة يكتبونه، ولما كانت الملائكة [illegible] من الله إلى العبد بأمر الله، كما كان كاتبو عمله بأمره، فإن الله [illegible] من كل أحد بواسطة الملائكة [illegible] بواسطة الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٥١).

فهذا التقسيم الحصري [illegible] بواسطة الرسل، وهذا [illegible] عند الأعمال [illegible](٢). ولا ينافي هذا أن الله يكلم بعض رسله من وراء حجاب [illegible].

والحاصل أن في هذه الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أضاف الله عز وجل الكتابة والإحصاء إلى نفسه، وأنها تدل على علمه الشامل محيطاً بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه، وهو [illegible] من الإحاطة على ذلك بالإحصاء والرقابة والحساب والجزاء [illegible] البالغة في [illegible] على الناس، ولما كان [illegible] في [illegible] تسجيل الأعمال [illegible] والشهادة عليها

---

(١) السراج المنير، الشربيني، ج٣، ص[illegible].

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، [illegible] بتصرف.

في مقام الاحتجاج على ما صدر منهم حتى لا يكون لهم مجال للإنكار والمعاذير، وإنما كانت حكمة الله في الكتابة أن تعرض صور المشاهد الأخروية من مكونات العقل في تقريبها للعقل، ثم هذا من قبيل البيان ويكون قصد من ذلك بالأسلوب الذي ورد به القرآن الكريم وتصوير أن كل ما يعمله محصى مسجل مكتوب لا يمكن أن ينكروا له حتى يظلوا مستيقنين ما له الأجر والحساب مجتهدين في الأعمال الصالحة التي ترضي الله تعالى وفي هذا الأسلوب ما يتفق مع هذا التوجيه ويتسق مع هذا القصد[1].

ومن الآيات الدالة على كتابة الأعمال قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝﴾ [المطففين: ١٨-٢٠]

فقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ إشارة إلى أن الأمر غير مقتصر على الكتابة بل الإشارة إلى التسجيل والمطالب الأصل الذي هو سجل لهم على ما طلبوه مكتوب عليهم بالأمر من كتب الحفظة الذي الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ تمهيد للتعقيب أي أن ليست الكتابة مقتصرة على ما تحتويه بل ما عمله من عمل أيضا مسطور لا يغادر من الكتب صغيرة ولا كبيرة.

وكما في قوله تعالى: ﴿ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

ففي قوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ دلالة واضحة وهي أن من يكتب حساب الإنسان إنما يكون في غالب الأمر لا ينسى ولا يغفل عنه بالإحاطة الكاملة التي يأمن الإنسان بها ما يجده الكتبة ويسجل كل ما يغفل الإنسان عنه كما قال: ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ الدال على الأمر العظيم الذي لا يحصيه من الإنسان إلا مكتوبة أي ليست مقتصرة على الكتابة في تكوينها المحصورة منها الأمر من الحساب مثلما قوله ما جاء وفي قوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي ضوء هذه النصوص التي تشير لأنها لن تغادر هذه الكتابة شيئا مسجلة من الإنسان في هذه الحياة الأخرى لله الأكبر على ما عملوه[2].

والحاصل أن كل ما يعمله الإنسان يوما تعمله الأمم السابقة إلى الأمم اللاحقة

---

[1] التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ٢/ ٣٣٣ بتصرف.

[2] مفاتيح الغيب للرازي، ١٦/ ٣٣٠ بتصرف.

فإنه مكتوب {[illegible]} أي في الكتب وكتابة الأعمال كتابة سيئات وكتابة الحسنات والكتابة السابقة كتابة علم أن هذا سيعمل كذا وهذه الكتابة لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب لأن العبد لم يكلف بها بعد وكتابة الحسنات وهي كتابة أن فعل فإذا فعل الإنسان حسنة كتبها الله وإذا فعل سيئة كتبها الله وهذه الكتابة اللاحقة هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب.

فسبحان الله بعد هذه الحسنى التي لا يعلمها إلا الله وحده سبحانه لا يخفى عليه شيئا {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ} كل صغير وكبير مما يحدث في هذا الكون من المخلوقات وأوصافها وأعمالها {مُّسْتَطَرٌ} أي مسطر في الكتب عنده. [illegible] المستطر كل صغير وكبير حتى الذرة يفعلها الإنسان الخيرية حتى ما وزن مثقال ذرة من الأعمال يكتبه كل صغير وكبير [illegible] كتبه [illegible] سيحسب عليك أن تؤمن به فإنه يجب عليك المسارعة من السيئات حتى أن تستغفر وإن لك أن تملك أن تتوب الآن من أجل مكتوب عند الله عز وجل {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾} [القمر].

وبما يفعل من عمل كالذي أنفقه وليس [illegible] الأمر لأنها كلها [illegible] بالذات الحركات من الأعمال والأعمال من باب أولى لأنها أن حي الله عز وجل

ولا تخالف الذرة سبحانه الله ولن تحرك إلا الحقيقة به وبعلمه ولا سبحانه الله وإرادته الأمر إلا كتبه وسبحانه وتعالى ثم أكتبه في [illegible] وتعالى

تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين [illegible]
[illegible] في ٢٠٠٣

مقاصد الكتابة

كتابة القرآن يحمل الكاتب [illegible] على التعلم والتعليم والتفكر إلى مقاصدها والمصلحة، وذلك لما لها من مزايا وفوائد، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من الفوائد والمقاصد الكتابية ما يلي:

أولاً: حفظ حقوق العباد من الضياع

من مقاصد الكتابة التي ذكرت في القرآن الكريم حفظ الحقوق من الضياع.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة ٢٨٢].

هذه الآية تسمى آية الدين، وهي أطول آية في القرآن الكريم، وقد ذكر الله فيها من الأحكام العظيمة ما يزيل اللبس والإشكال.

حيث أمر الله تعالى بكتابة الديون، وهذا الأمر قد يجب إذا وجب حفظ الحق كالذي للعبد عليه ولاية كأموال اليتامى والأوقاف والوكلاء والأمناء، وقد يقارب الوجوب، كما إذا كان الحق متمحضًا للعبد فقد يقوى الوجوب، وقد يقوى الاستحباب بحسب الأحوال المقتضية لذلك.

وعلى كل حال فالكتابة من أعظم ما تحفظ بها هذه المعاملات المؤجلة لكثرة النسيان ولوقوع المغالطات وللاحتراز من الخونة الذين لا يخشون الله تعالى(١). ومن فوائد الآية التي تعنى بحفظ الحقوق:

١. أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق.
٢. أن الذي يملي من المتعاقدين من عليه الدين.
٣. أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئًا.
٤. أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول؛ لأن الله أمر من عليه الحق أن يملّ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجبه ومضمونه، وهو ما أقر به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطًا أو سهوًا.

٥- أن من عليه حق من الحقوق التي البينة على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق؛ لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقره من مقدار الحق وصفته.

٦- أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس ويخس شيئًا من مقداره أو طيبه وحسنه أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولواحقه.

٧- أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغر أو سفهه أو خرسه أو نحو ذلك فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء والإقرار(١)

وفي الأمر بكتابة الدين كما يقول ابن عثيمين: مصلحة دنيوية وهي حفظ المال ومصلحة دينية وهي السلامة من المخاصمة بين المتعاملين(٢)

وليست كتابة الدين مقصورة على الدائن وحده ولا المدين وحده وإنما على الطرفين، [illegible] في حفظ المال من الضياع؛ لأن صاحب الدين إذا علم [illegible] عليه بالكتابة [illegible] زيادة أو النسيان [illegible] قبل حلول الأجل، ومن عليه الدين إذا عرف ذلك [illegible] عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذي عليه [illegible] عليه [illegible] من الكتابة أمر الله تعالى بها(٣)

[illegible] ذلك يرد الحق [illegible] أن يحصي أيضًا الإنسان من نفسه لأنه إذا علم أن الدين الذي عليه [illegible] الإنفاق [illegible] أن يصرف في [illegible] وبين [illegible] الإنسان [illegible] من [illegible] في [illegible]

وهكذا نرى أن الله أراد بالتوثيق للدين حماية الطرفين من [illegible] لأن المدين قد [illegible] عليه ظروف المعاش [illegible] ما [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] الناس [illegible] كل من [illegible] لا [illegible] [illegible] لأن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الدين [illegible] المدين [illegible] على [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الدين

---

(١) تفسير الكريم الرحمن للسعدي [illegible]

(٢) تفسير ابن عثيمين [illegible]

(٣) لباب التأويل للخازن [illegible]

أن كلمة (الكتابة) [illegible] والإملاء أكثر من مرة بل مرات كثيرة.

وهذا التكرار في هذه الآية الجليلة الكريمة يدل على العلاقة بين الكتابة والإملاء في عملية التوثيق، وهي التي لا [illegible] الأمة إلا سبحانه [illegible] على [illegible] الذكر ما [illegible] الشهادة [illegible] الشاهد [illegible] ما [illegible] [illegible] ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي أن يكتب الكاتب على وفق ما علمه الله(1)

والحاصل أن الإسلام أقام [illegible] المعاملات والتجارة بين الناس على أساس من العدل والحق والحكمة [illegible] الناس وحفظ أموالهم وإيصالهم إلى حقوقهم ومعاملاتهم [illegible] بالكتابة والشهادة والرهن والشروط على سبيل الاستيثاق الذي [illegible] من احتمال [illegible] أصل الحق أو عدم الاعتراف به [illegible] [illegible] [illegible] والنسيان [illegible] والعوامل [illegible] والتشريع [illegible] المعاملات في [illegible] [illegible] حفظا لها وحرصا على المصالح [illegible] [illegible] والخصومات [illegible](2)

وقد بدأ سبحانه بالنهي فيها على الاستيثاق في أمر الأموال [illegible] لمصالح الناس والمعاملات قال تعالى ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: 5).

قال العلماء رحمهم الله تعالى: ويدل على ذلك أن ألفاظ القرآن جارية في الأكثر على الاختصار، وفي هذه الآية [illegible] ﴿[illegible]﴾.

ثم قال ثانيا: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾.

ثم قال ثالثا: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾.

[illegible] ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [illegible] عليه.

ثم قال رابعا: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ وهذا إعادة الأمر الأول.

ثم قال خامسا: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ كتابة من غيره ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأن الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يملى عليه.

ثم قال سادسا: ﴿[illegible]﴾ وهذا [illegible].

---

(1) تفسير [illegible] ج1

(2) التفسير الوسيط [illegible] ج1

ثم قال سبحانه: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ وهذا كالمستفاد من قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهو أيضا تأكيد لما مضى.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

فلاحظ هذه الفقرات العالية لهذه الآيات الكريمات المتتالية، وكل ذلك يدل على المبالغة في الردع بلحاظ المآل [illegible] وبصورة من الهالات لتمكين الإنسان من التخلص من الإقبال في سبيل الله والإعراض عن مساخط الله تعالى من الربا وغيره من الموبقات على الورى عليها.

ومن الآيات الدالة على تزايل الحرمة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

فقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ نهيا عن ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ أي أنه [illegible] أي ما يكتب عليه ويكاتب به بعد أن يضاعفوا أو يضاعفوا ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ تأكيدا على الرباء(١) وليس الغرض جواز الربح في القليل وإنما الغرض [illegible] من الدين في حالة عدم وجود الكاتب والشهود ولا فرق بين كون ذلك سفرا وحضرا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي على طعام لعياله إلى أجل(٢).

وهذا كله جاء إليه مراعاة في حفظ الحقوق على أصحابها من أن يضيعها من لا يؤديه بسبب الأهواء والأغراض [illegible] لأن الشارع يحمل الربح وكثيرا ما يقع الرجل [illegible] من أجله(٣).

وأول ما يدل أيضا على تزايل الحرمة بلحاظ الحرمة ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

في التجارة أنها التجارة ما وجود المتضمنة للأصول المقامة من الكسب وهو البيع والصحيح ومن سميت التجارة لأنها البيع بيعها إلى الطالب والقسم ماله إلى ماله.

والربا مأخوذ من التجارة ومعناه تحريم الله على الناس أن يأكل إلا ربه بحقه وعلى الناس أنه لا بيع إلا بالحلال الحلال كتب عليه المنفعة بالحلال وكتبه

---

(١) السراج المنير، الشربيني ١/١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرهن، باب من رهن درعه ٣/[illegible] رقم ٢٥٠٩ عن [illegible].

(٣) بيان المطالب الثاني ١/[illegible] بتصرف.

على [illegible]

والكاتب سمي بذلك لما [illegible] له من [illegible] أنه لا يجوز أن [illegible] على [illegible] من [illegible] في [illegible] فلا يجوز [illegible] أن [illegible] من [illegible] أن يكتب على من عليه [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢٨٢]

[illegible] من [illegible] الذي يكتب [illegible] العبد [illegible] عليه [illegible] ﴿فكاتبوهم﴾ أن العبد إذا طلب الكتابة من سيده وجب عليه أن يكاتبه بالشرط المذكور [illegible]

[illegible] على أنه ما [illegible] عليه [illegible] لم يكن [illegible] [illegible]

[illegible] الصامتي [illegible](١)

وكتابة عقد المكاتبة [illegible] [illegible] حتى لا [illegible] عليه [illegible] من [illegible]

والمقصود أن من مقاصد الكتابة [illegible] [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] حفظ العلم والتوثيق

ومن مقاصد الكتابة العظيمة كتابة العلم وتقييده [illegible] إلا [illegible] على [illegible] ﴿علم بالقلم ○ علم الإنسان ما لم يعلم ○﴾ [العلق: ٤-٥]

[illegible] من [illegible] أن [illegible] في هذا [illegible] أن [illegible] الإنسان على [illegible] الإنسان [illegible] الإنسان [illegible] من [illegible] لم لا [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

يقسم كل ظاهر وباطن كثيرا إلى علم الظاهرين [illegible] والمعارف والعلوم [illegible] والمطالب الغيبية إلى أقصى الغايات وأكمل النهايات، وحيث أن هذا الباب لا يكون إلا بواسطة النطق والكلام، لذلك [illegible]: ﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④﴾ (الرحمن: ١-٤).

ففي قوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ تم علم الخط والكتابة بالقلم.

وتخصيص [illegible] بالذكر -وهي العلم بالقلم- الإيماء إلى [illegible] ما كان يعلمه به صلى الله عليه وسلم من العلم بالقرآن بالنسبة له لعدم معرفته بالكتابة، فكأنه تعالى يقول له: إنك من علم قراءة القرآن بالكتابة بالقلم الذي علمه للبشر وأنت لا تعرف الكتابة، لتكون ذلك من معجزاتك الدالة على صدقك، ولذلك بالعلم في الأمي معجزة[1].

ومن ثم [illegible] كان العلم بالخط من النبي الأمي محمد -عليه الصلاة والسلام- لم يكتسبه بالتجربة؛ لأنه لم يكتب قبل، وإنما قرأه من صحف الأولين، ومن كل العلم الأمي [illegible] والفرع [illegible] ومنظر لا يحتاج إلى التصور الرسمي وتشكيل الملامح [illegible] جسمانية، لأنه الخط صنعة [illegible] وإنما طبيعة صورته بالآلة الجسمانية، ولهذا احتاج إلى أن [illegible] الأمر من [illegible] الروحانية، ويكون [illegible] في الأصل أنه محمد [illegible] في مصدره[1]، لو لم يكن رسم المخطوط الأميين يعرفون قراءته -عليه الصلاة والسلام- بالتقسيم الكامل الواجب والعلوم المستحقة[2].

وفي قراءة ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وجهان:

الخاصية أنه المراد من القلم الكتابة التي تعرف بها الأمور الغائبة، وجعل القلم كناية عنها.

والثاني أنه المراد علم الإنسان الكتابة بالقلم، وكلا القولين متقاربين إذ المراد التنبيه على فضيلة الكتابة[3].

لنكرة في قراءة: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ إشارة إلى الأحكام الشرعية التي لا سبيل إلى

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٩/ ٣٣٣ بتصرف.
(2) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج١٤/ ١.

(1) [illegible] الغزالي في الصمصام [illegible] رقم
[illegible] الأرناؤوط في [illegible] رقم [illegible]
(2) روح البيان، إسماعيل حقي، ج١٠/ ٤٧٨.
(3) [illegible] القرآن، [illegible] ج١٠/ ٢٢٣
[illegible] القرآن، [illegible]
[illegible] في [illegible] الكلمة

[illegible] إلا بالسمع

فكان العلم [illegible] من [illegible] الأبواب والسنة الثابتة في حفظ العلم والسمع، ثم أول نعمة الله على الإنسان بالبيان ثم البيان الخطابي والبيان الخطي، وقد امتن بهما سبحانه في جملة من امتن به من نعمه على العبد ثم إنه والتعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده إذ به تخلد العلوم وتثبت الحقوق وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس وبه تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين.

ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست السنن وتخبطت الأحكام ولم يعرف الخلف مذاهب السلف وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا للعلم من الضياع كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان.

فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم والتعليم به وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة فإن الذي بلغ به ذلك وأوصله إليه عطية وهبها الله منه وفضل أعطاه الله إياه وزيادة في خلقه وفضله فهو الذي علمه الكتابة وإن كان هو المتعلم [illegible] [illegible] التعليم الذي علم بالقلم فإنه علمه [illegible] كما أنه علمه الكلام [illegible]

هذا ومن أعظم [illegible] الذي هي به والآلة التي هو يرى به والآلة التي يحفظ به ومن هيأ له [illegible] هذا التعليم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في التعليم بالقلم.

[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]

ثم [illegible] بما [illegible] حتى صارت [illegible] [illegible] [illegible] أعجب من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما لا [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] الإنسان ما لم [illegible] [illegible]

مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

بالقلم، ومفهوم المراتب الثلاثة: مرتبة الوجود العيني، والرسم اللفظي، والوجود الرسمي. فقد علم الإنسان بالقلم على أنه سبحانه هو المعطي لهذه المراتب.

فالله تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم.

فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة التي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور(١).

والحاصل: أن الله تعالى جعل القلم سبباً به يحفظ العلم به ويستدعى به ويتوصل إلى حفظ ما يخاف فوته ونسيانه من أمر دينهم ودنياهم، ولو لم يكن القلم لم يستقم أمر دينهم ولا دنياهم(٢).

والعلم بالقلم أكثر ما يعتمد الشرع عليه إذ أن الشرع يكتب ويحفظ، والقرآن يكتب ويحفظ، والسنة تكتب وتحفظ، وكلام العلماء يكتب ويحفظ(٣)، وكما قال الشاعر(٥):

العلم صيد والكتابة قيده
قيد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة
وتتركها بين الخلائق طالقة

ثالثاً: حفظ أعمال العباد لمحاسبتهم عليها

ومن مقاصد الكتابة حفظ أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١].

فأخبر الله تعالى أن على العباد حافظين كاتبين لأعمالهم، والمقصود من أن الله جعل ملائكة تكتب أعمال بني آدم أن البشر إذا كان عليه حافظ أدعى ذلك إلى المراقبة والحذر من تعاطي ما يؤاخذ عليه فجعل عليه حافظين ليستحي منهم ولا يأتي من الأمور ما يسوؤهم، ووصفهم أنهم كرام ليستحيوا منهم حسب الكرام، ومن صفة الكرام أن يحترمهم ويستحي منهم، ولا يتعاطى ما يسوؤهم، وفي ذكر الكرام فائدة أخرى وذلك أن قوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ أي: كرام على الله تعالى، والكريم على الله تعالى هو المتقي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فيكون فيه لطافة منهم أنهم لا يرضون

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٩٣٢.

(٣) [illegible] العثيمين (١/ ٤٤٨) بتصرف.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين، جزء عم، ص٧٨.

(٥) البيتان نسبهما في إعانة الطالبين (١/ [illegible]) [illegible] الشافعي.

ولا يقصرونه في الكتابة وإنما يكتبونه على نحو أساليب كما قال في وصف جبريل عليه السلام بالقوة والأمانة[1]

والحكمة في كتابة الأعمال وحفظها على العاملين أن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان ذلك أزجر له عن الفواحش والمنكرات وأبعث له على عمل الصالحات فإن الأمر إذا لم يصل إلى مقام العلم الراسخ الذي يثمر الخشية لله والمعرفة الكاملة التي تثمر الحياء ربما غلب عليه الغرور [illegible] الأعمى [illegible] في المعاصي [illegible] فلا يكون [illegible] من الخشية والحياء ما يزجره عن المعصية كما يزجره توقع الفضيحة في موقف الحساب على أعين الخلائق وأسماعهم[2]

وذكر الرازي احتمال أن [illegible] في [illegible] أن [illegible] الصحائف يوم القيامة لأن وزن الأعمال غير ممكن أما وزن الصحائف فممكن أن [illegible] الحسنات[3] [illegible].

والصحيح أن وزن الأعمال ممكن لأنه [illegible] حسية ويمكن أن [illegible] كما جاء في صحيح مسلم أنه [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»[1] الحديث.

وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]

[illegible] على طريقة من يقول: إن المراد بكتابة الأعمال حفظ صورها وآثارها في النفس التي لها [illegible] الأتم الأكمل [illegible] ويقع كتاب كل أحد يوم الحساب [illegible] صحائف [illegible] في [illegible] على أعماله فيها بصورها [illegible] الظاهر والباطن كما [illegible] في [illegible] لا يعزب شيء من صفاتها الحسية ولا المعنوية [illegible] على [illegible] وعلى [illegible] من [illegible] قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾

---

[1] [illegible] أهل السنة [illegible] [illegible]

[2] تفسير المراغي ٣٢/١٨

[3] مفاتيح الغيب الرازي ٦٣

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ١/٢٠٣ رقم ٢٢٣

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء [illegible] رقم ٢٦٩٤

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [الأنفال: ٣٤]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤

النفس، [illegible] ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ لقوله: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء: ١١١].

أي: وعظمه[1] [illegible] التعظيم.

ومن الآيات كذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ [يونس: ٧٨].

أي: الملك والسلطان [illegible] ما [illegible] الاستعمال في قوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

واستعمله الله تعالى كذلك في نفسه جل وعلا في قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وفي قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والله تعالى قد يستعمل [illegible] في نفسه [illegible] على [illegible]، [illegible] قوله: ﴿[illegible]﴾ [السجدة: [illegible]]، وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible][2]، انتهى من كلام الراغب مختصرا.

فعلى كلام الراغب فالمبالغة [illegible] الاستعمال بمعنى [illegible]، وفي (زاد المسير) لابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أي: عظم [illegible] جميع أصناف [illegible] المفسرين على أن هذا الاستعمال من [illegible] المعروف [illegible] كل [illegible] ما يكره من أعمال بني آدم [illegible] الأمر [illegible] لا يكون إلا من أصول [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] أن [illegible] [illegible] عند الله عز وجل[3] [illegible].

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

والمعنى: أن كل إنسان [illegible] من خير أو شر لا يخفى [illegible] كلمة الأعمال التي ذكرت [illegible]: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ [illegible]: ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ إخبار عن كون تلك الأعمال السيئة [illegible] يوم القيامة [illegible] لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيت للمرء عليها[4].

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]/ ٢٦٢.

[2] انظر: تفسير الراغب الأصفهاني [illegible]/ ٢٢٩.

[3] زاد المسير [illegible].

[4] التحرير والتنوير [illegible].

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾ (ق: 17 - 18).

المتلقيان ملكان [illegible] الحفظة والكتبة(1)

[illegible] لأن الملكين [illegible] عمل الإنسان عند صدوره منه فيكتبه عليه [illegible] هما الملكان [illegible] أعمال الإنسان وتدل هذه الآية الكريمة على أن مقعد أحدهما عن يمينه ومقعد الآخر عن شماله.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ أي ما ينطق بنطق ولا يتكلم بكلام إلا لديه [illegible] [illegible] حاضرًا [illegible] لا يفوته منها شيء.

[illegible] عليه ما يقوله من خير وشر، وما دلت عليه الآية الكريمة من أن الإنسان عليه حفظة من الملائكة يكتبون أعماله جاء موضحًا في آيات أخرى من كتاب الله كقوله في سورة مريم: ﴿[illegible]﴾ (مريم: [illegible]).

وفي سورة الزخرف قوله: ﴿[illegible]﴾ (الزخرف: [illegible]).

وقوله: ﴿[illegible]﴾ (ق: 16).

أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد في الوقت الذي يتلقى فيه الملكان جميع ما يصدر منه، والمراد أن الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه هو أقرب إليه من حبل الوريد في وقت كتابة الحفظة أعماله، فهو غني عن كتب الأعمال لأنه أقرب إليه من حبل الوريد، والله غني عن أن [illegible] هذه الأعمال لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وبما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون لا يخفى عنه شيء.

فالله تعالى لا حاجة له بكتابة الأعمال لأنه عالم بها لا يخفى عليه منها شيء، وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لحِكَم منها إقامة الحجة على العبد يوم القيامة كما أرشد الله بقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)﴾ (الإسراء: 13 - 14).

[illegible] ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ [illegible]﴾ (الإسراء: 14).

والمقصود أن من مقاصد كتابة الحفظة أعمال العباد [illegible] [illegible] كتابة الأعمال [illegible] ومحاسبته [illegible] [illegible]

---

(1) الكشاف للزمخشري [illegible] 28

فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار(1) الحديث.

فالحفظة أو الكتبة من الملائكة الكرام يكتبون جميع ما يفعله العباد ويقولونه أو يلفظون به ويحصونه عليهم ثم يعرضونه على الله عالم الغيب والشهادة تبارك وتعالى، تلك مهمتهم في الليل والنهار، وفي هذا دلالة على تمام الحفظ والعناية ومزيد كرامة المسلم على الله تعالى.

مواصفات الكتبة

لما كانت الكتابة عملاً [illegible] من الشارع [illegible] من النفع الذي من الله بها على الإنسان والتي يترتب عليها الحفاظ حقوقه وحقوق غيره لا بد لها من شروط ولا بد لمن يتولاها من آداب، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما ينبغي أن يكون عليه الكاتب والشهيد، فذكر بعضاً من هذه الآداب والشروط منها:

أولاً: العدل

من شروط الكتابة العدالة وهي أن يكون الكاتب عدلاً لما يكتب، قال الله تعالى في آية الدين: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ البقرة/282.

قال أبو جعفر: بالعدل يعني بالحق والإنصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما بما لا يحيف ذا الحق حقه ولا يبخسه ولا يوجب له حجة على من عليه دينه بالباطل ولا يلزمه ما ليس عليه(2).

وروي عن قتادة في قوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ قال: اتقى الله كاتب في كتابه فلا يدعن منه حقاً ولا يزيدن فيه باطلاً(3)، والعدل جار ويجري متعلقاً بـ﴿وَلْيَكْتُب﴾ صفة لكاتب أي ليكتب

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر رقم 555، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما رقم 632.

[2] جامع البيان للطبري 3/77.

[3] المصدر السابق 3/78.

مأموراً على ما يكتب بالسوية والعدل لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، فيكون في قوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ وجوه:

الأول: أن يكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص منه، ويكتبه بحيث يصلح أن يكون حجة له عند الحاجة إليه.

الثاني: إذا كان فقيهاً وجب أن يكتب بحيث لا يخص أحدهما بالاحتياط دون الآخر، بل لا بد وأن يكتبه بحيث يكون كل واحد من الخصمين آمناً من تمكن الآخر من إبطال حقه.

الثالث: قال بعض الفقهاء: العدل أن يكون ما يكتبه متفقاً عليه بين أهل العلم ولا يكون بحيث يجد قاضٍ من قضاة المسلمين سبيلاً إلى إبطاله على مذهب بعض المجتهدين.

الرابع: أن يحترز من الألفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد بها، وهذه الأمور لا يمكن رعايتها إلا إذا كان الكاتب فقيهاً عارفاً بمذاهب المجتهدين، وأن يكون أديباً مميزاً بين الألفاظ المتشابهة[1].

وبناءً على هذا الأمر ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ليكن بينكم كاتب الشروط عادل في كتابته ومساوٍ بين المتعاملين، لا يميل إلى أحدهما فيجعل له من الحق ما ليس له، ولا يميل عن الآخر فيبخسه من حقه، فيكون قوله تعالى: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ أمر عام للمتعاملين، والمهم الأمرُ الذي لا يكتب والكاتب المحتاج إلى علم الصنعة.

وقد اشترط أن العدل في الكاتب يستلزم العلم بشروط المعاملات التي تحفظ الحقوق؛ لأن الكاتب الجاهل قد يترك بعض الشروط أو يذكر لغة أو يعمم في الكتابة بحيث يلتبس بذلك الحق بالباطل ويضيع حق أحد المتعاملين، كما يضيع بعدم الفقه أو بعدم الإلمام إذا لم يكن عادلاً[2].

قال ابن عاشور: وقوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالحق، وليس العدل هنا بمعنى العدالة التي يوصف بها الشاهد، فإنه ذكر مثله لأنه يرجع إليه بمعرفة من الكاتب، ونظير قوله الآتي: ﴿كَاتِبٌۢ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة ٢٨٢].

وبذلك تعبر المشروعية قوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ على أن يكتبه كاتب غير المتعاملين؛ لأنه الكاتب وأضيفه بقوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِالْعَدْلِ﴾ فيه دلالة الكتابة ﴿بِالْعَدْلِ﴾ على أن كتابة المتعاملين إذ لا يحسنها غالباً ولكن الكاتب أو غيرها، ولذلك كانت الآية

---

[1] انظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب [illegible].

[2] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

[3] انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور [illegible].

سنة عند جمهور العلماء لصحة الاحتجاج بالحلف، وإن استكتاب الكاتب إنما يقع فرضاً عليه[1].

ومن فوائد السعدي على هذه الآية قوله: ومنها أن الكاتب لا بد أن يكون عدلاً بالعدل، مبرزاً بالعدالة؛ لأنه إذا لم يكن عدلاً بالعدل لم يمكن منه، وإذا لم يكن معتبراً عدلاً عند الناس، ... لم ... محرفاً ولا ماحياً بما المقصود الذي هو حفظ الحقوق[2].

ومن مقتضيات العدل في الكتابة:

- ألا يكون في قلبه ميل في تحقيق مصالح أحدهما على الآخر.
- وألا يزيد ولا ينقص في الدين الذي يكتبه، ولا يخدم أحد العاقدين بشروط تخدمه، بحيث يحصل الأمر من كل الحقوق والشروط، بل يكون مراعياً العدل في كتابة أصل الدين، ومراعياً العدل في الالتزامات بين الطرفين.
- ثم إن العدل يقتضي مع هذا أيضاً أن يكون الكاتب خبيراً بمصطلحات الناس وما يقع بينهم وما يمكن الإيفاء من الشروط وما لا يمكن، ومكان الكاتب الذي يتولى مراعاة العدل بين العاقدين ومعرفتها من الخطأ، وتحفظهما من الجانب الآخر[3].
- ومن العدالة: التحرز من العبارات المحتملة المعاني، وتجنب الألفاظ المشتركة، والحرص على تعليق المعاني بألفاظ مبينة صريحة من حيث الدلالة والاستعمال، والبعد عن ألفاظ الاشتباه ما أمكن، حتى يحصل للمتعاقدين حق الوثيقة والاحتياط، فيتأمل بينهما في الأمر[4].

والمقصود أن من العدالة المطلوبة في الكاتب الذي يتولى كتابة الوثائق بين الناس أن يكتب بالعدل، وأن يكتب وثيقة تحفظ حق الطرفين، ولا يميل مع أحد الطرفين، ولا يبخس أو يزيد في الشروط.

ثانياً: العلم

ومن شروط الكاتب: العلم بقواعد الكتابة وأصولها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282].

ففي قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ دليل على أن الكتابة علم من العلوم؛ إذ لا تكتب مثل هذه الوثائق إلا بمعرفة شروطها وأركانها، ولا يحسن العلم بهذه الشروط والقواعد.

ولهذا نجد أن شرط الله في الكاتب العدالة شرط فيه العلم بالأحكام والكتابة في

---

[1] المحرر والتحرير ٣/...

[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١١٨

[3] روح المعاني للألوسي ٢/٢٦

[4] أحكام القرآن للجصاص ...

كتابة الدين إن الكتابة لا تؤدي غرضها كاملاً إلا إذا كان الكاتب ملماً بالأحكام الشرعية والشروط المرعية عرفاً وقانوناً وكذا عدلاً حسن السيرة لا غرض له إلا بيان الحق بلا محاباة.

ويقدم صفة العدالة على صفة العلم لأن العادل يسهل عليه أن يتعلم ما ينبغي أن يعلمه الكاتب الفرعي والذي من كان عالماً غير عادل فالعلم هنا وحده لا يجديه العدالة، ولقد رأينا كثيراً من حملة العلم والذي أكثر فساداً من العلماء الذين فقدوا صفة العدالة[1]

فالكاتب العدل والعالم بمنزلة المحكمة التامة بين الناس، وليس كل من يلم بالعلم كذلك الكاتب، وإنما أهله من يصلح أن يكون الكاتب العدل والإنصاف.

فيما ذكر في وصف الكاتب إرشاد من الله تعالى لهذه الأمة الآتية في نظام معاملاتها بعد أن يكون كاتب العقود عدلاً عارفاً بالشروط والأحكام فيما حتى لا يقع التنازع بعد ذلك فيما يكتب، ولذلك المسلمين إلى أنه ينبغي أن يكون فيهم عدد المستقلين من الكتاب فيكون لهم صفة شرعية لأنهم المتعاونين على كتابة العقود وهو ما يسمونه اليوم الكاتب الرسمي.

ومن الأولى أن الكاتب ينبغي أن يكون غير المتعاقدين سواء كانا بواسطة الكتابة أولا والذي أسندها الأمر أن يكتب وكان عدلاً أن يكتب وعليه العمل الآن فيه للعقود الرسمية كما هو معروف اليوم.

وفي قوله ﴿ولا يأب كاتب﴾ نهي دليل على أن العالم بما له صناعة الذي يجب عليه إذا دعي إلى القيام بما أنه يجب الضرورة، ولذلك لم يكتف بالنهي عن الإباء من الكتابة بل أمر بها أمراً صريحاً فقال: ﴿فليكتب﴾ وهذا ظاهر لا سيما على قول من قال من أهل الأصول إن النهي عن الشيء ليس أمراً بضده[2]

قال ابن عاشور: وفي قوله ﴿كما علمه الله﴾ أي كتابة تشابه التي علمه الله أن يكتبها، والمراد بالمشابهة المطابقة لا المقاربة، فهي مثل قوله ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ [البقرة: ٢٣٩].

ومعنى ما علمه الله أن يكتب ما يطابقه ولا يجحف أو يوارب لأن الله ما علّم إلا الحق، وهو المستقر في فطرة الإنسان وإنما ينصرف الناس عنه بالهوى فيكتمونه ويغيرونه وليس ذلك التعليم بالذي علمهم الله تعالى، ويجوز أن تكون الكاف للمقابلة التي بمكافأة والعوض بمعروف، أي أن يكتب كتابة تجازي تعليم الله إياه الكتابة بأن ينفع الناس بها شكراً على تيسير الله له

---

[1] تفسير المراغي ٣/ ٧٣

[2] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط ٣/

أسباب حسية وإنما يحصل هذا التذكر بأن يكتب ما له صفة الحق ولا يبخس ولا يحابي [illegible] عن هذا المعنى من الكتابة معنى العدل كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والمقصود أن من شروط الكتابة التي أشار الله إليها في هذه الآية العلم بها بحيث [illegible] كان حاذقا بذلك [illegible] الكتابة [illegible] ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ وهذا نهي لمن كان قادرا على الكتابة من أن يمتنع من الكتابة، فلا يصح لمن يحسن الكتابة من حيث معرفة الخط [illegible] ومن حيث العلم بهذه الشروط والقدرة على المعاني [illegible] بين المتعاقدين في رتبة الكتابة لا يصح له أن يمتنع من الكتابة إلا [illegible] [illegible] به [illegible] ويمتنع عن الكتابة [illegible] الكتابة فرض كفاية بمعنى أنه إذا امتنع [illegible] أهل قرية عن الكتابة [illegible] لا يجب على أهل كل قرية أن [illegible] الكتابة [illegible] فيها.

وبناء على هذا يجب أن تحمل [illegible] على [illegible] [illegible] المتعلم والكاتب[1] [illegible] الكتابة لقاصدها من المعاونة على البر والتقوى التي [illegible] وهي علم ويجب على الصانع أن يعين من لا يحسن، فقد عد النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الأعمال أن تعين صانعا أو تصنع لأخرق[2].

والامتناع من الكتابة [illegible] العلم [illegible] لقوله صلى الله عليه وسلم: «من سئل عن علم [illegible] ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[3].

والكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ للتشبيه، فما المعنى الذي يفيده هذا التشبيه؟

ذكر الزمخشري أن معناه إما أن يكون تشبيها بين علم الكتابة والواجب على الكاتب[4] أي: أنه كما أن الله علمه الكتابة ويسرها له [illegible] عليه [illegible] الكتابة لغيره، فالتشبيه تشبيه بين نعمة الكتابة والواجب المتصل بهذه النعمة من [illegible] منها [illegible] إليه

---

[1] التحرير والتنوير ٣/[illegible]

[2] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال [illegible] رقم [illegible].

[3] أخرجه الترمذي في أبواب العلم باب ما جاء في كتمان العلم ٥/٢٩ رقم ٢٦٤٩ [illegible] وابن ماجه في المقدمة باب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب من سئل عن علم فكتمه ١/٩٦ رقم ٢٦٦.
قال الترمذي: حديث حسن.
وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/[illegible] رقم ٢٢٣.

[4] الكشاف للزمخشري ١/ ٣٢٩.

[illegible] الكتابة بآلتها ومشاقها [illegible] وأجرة معلومة [illegible] ويكره عند الترك بغير عذر [illegible] أحمد وبعض الفقهاء.

أما الوجه الآخر: فهو أن الفصل بين ما يكتب على الإطلاق وما أتى الله الكاتب من علم [illegible] والمعنى على هذا: فكل كتابة [illegible] على ما [illegible] الذي أتاه الله به الكاتب في الوثيقة الكتابية على مقتضى الحكم الشرعي، فلا تكون فيها شروط ليست في كتاب الله أو لا يسوغها الشرع أو لا يمكن تطبيقها[1].

والحاصل أن في هذه الجملة إفادة صفة الكاتب، وأن الذي يكتب شخص يجيد الكتابة ويعرف أنواعها وطرقها، وأن يكون على علم بشروط العقد وأركانه وما يكون من الشروط مخالفاً في الشرع، وما يكون في صالح، وما أشار في النص الكريم بوصف ﴿كَاتِبٌ﴾ الدلالة على مهارته في الكتابة ومعرفته لها [illegible][2].

قال الجصاص: ولما كان الله تعالى قد أمر بالكتابة ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ يعني -والله أعلم- ما فيه من أحكام العقود الصحيحة والمداينات الكتابة الجائزة التي يحصل لكل واحد من المتعاملين ما قصد من تحصيل عقد المداينة، وأن الكاتب بذلك [illegible] جاهلاً بالحكم لا يمكن أن يكتب ما يفسد عليهما ما قصداه ويصل ما اتفقاه.

والكاتب وإن لم يكن [illegible] [illegible] في الأصول إلا أنه من كتب فواجب أن يكون على هذه الشريعة كما قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ [البقرة:[illegible]].

[illegible] صفة الفرض [illegible] ممكن، ومعلوم أن [illegible] غير واجب عليه [illegible] مع [illegible] ومن [illegible] لعلمه أن لا يكتبها إلا من [illegible] من [illegible] أركانها، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أسلم فليسلم في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»[3].

والسلم [illegible] وأنه متى أراد أن يسلم [illegible] كتاب الدين والأجهزة [illegible] من كتب [illegible] الكاتب أن يكتبه على الوجه الذي أمر الله تعالى به، وأن يستوفي له شروط صحته ليحصل المعنى المقصود.

---

[1] انظر: تفسير المنار [illegible]

[2] انظر: المصدر السابق [illegible]

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلم، باب السلم في وزن معلوم، الرقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب السلم [illegible] رقم [illegible]

يكتموها

ثالثاً: الحفظ من التبديل والتحريف.

ومن شرائط الكتابة حفظها من التبديل والتحريف، ولذا مدح الله تعالى الربانيين والأحبار بكونهم استحفظوا كتاب الله فحفظوه، والحفظ يشمل كتابة الصك وأمثاله حفظ صحيح، حفظ كتابة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٤٤.

فقوله ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ أي: بالذي استحفظوه من جهة النبيين، وهو التوراة، حيث سألوهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل على الإطلاق، ولا ريب في أن ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها، وفي إبهامها أولاً ثم بيانها ثانياً بقوله تعالى: ﴿مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ من تفخيمها وإجلالها ذاتاً وإضافة وتأكيد إيجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى.

وفي التعبير عنها بعنوان الكتاب الإشارة إلى إيجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة[٢].

والأحبار: هم العلماء، جمع حبر أو حبر، وهما لغتان، وهو مأخوذ من التحبير والتحسين؛ لأن الحبر هو الأثر الحسن في قرطاس، ويكره التحسين. الذين يحسنون العلم ويدرسونه ويزينونه بالقول الحسن، والطريق الحسن، أو هو مأخوذ من الحبر الذي للكتابة لتعلقهم بحسن كتابه، ومرعيه الكاتب، والمراد أن حظاً من علمهم.

والمفسرون على أن الربانيين والأحبار لرعاية لم يتولوا حكم التوراة بالإنابة بعد أن تربصوا وبرزوا بالعلم والفقه، والأمرية جمعوا الطلب والرأي ومرضيته، وعلى هذا التفسير الذي يجمع فيه ذوي الطاعة من غير الدوام على أن الذين أسلم على التوراة مسلمة.

ألخصها: جمع حفظها وإحكامها بالكتابة وإتقانها.

وكان حرصهم ظاهراً في الأقضية.

أي: إن الكتابة ومنهم الأحبار الحبر الخلاصة ما يظهر على صحيح لسيرة نبوية والأمرية ومع الربانية ظاهر مميزين أقسمهم من كل البر، ويحرون علمهم كتبه يتحكم قويه حتى يأخذوا الحق له والقوي منهم ضعيف حتى يأخذوا الحق منه، كما يفعل الربانيون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضي الله عنهم.

---

[١] أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٨٨.

[٢] إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٣.

ويتأكد [illegible] على الأحبار [illegible] الذين يطالبهم العلم على العمل بالحكم في الآية من علم الطريق الأمثل الواضح من سبل الرشاد، [illegible] الذين يحكمون بحكم الشريعة.

وقد خص الله تعالى الربانيين والأحبار بقوله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ فالباء هنا متعلقة بـ ﴿يَحْكُمُ﴾ أي إن النبيين والربانيين والأحبار يحكمون بها في التوراة لأنهم حفظوا أمانة حفظ كتاب الله بحيث لا يغيرونه ولا يبدلون أحكامه [illegible] الباء متعلقة بالربانيين والأحبار على معنى العلم أي [illegible] [illegible] [illegible] الرعاية والعلم بسبب أنهم حفظوا أمانة الكتاب.

و﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ بالبناء للمجهول أي طلب إليهم [illegible] ما [illegible] من [illegible] إليهم أمر المحافظة على كتاب الله المنزل على نبيه، والمراد بكتاب الله هنا التوراة وعبر عنها بكتاب الله تعالى للإشارة إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] بتحليله وإلى مكانة التكليفات والأحكام التي اشتملت عليها.

والاستحفاظ هو طلب الحفظ بأمانة [illegible] [illegible] [illegible] لأن الربانيين والأحبار [illegible] كتاب الله تعالى [illegible] طلب العمل والعلم [illegible] [illegible] [illegible].

وكان حفظهم من الله لأنه استحفاظ لكتاب الله تعالى الشريعة، وحفظ الكتاب يكون بالعمل عليه ومنعه من الضياع والتحريف وحفظ الأحكام التي بيّنت فيه ومنعه فيما بعد.

وكان الربانيون والأحبار شهداء أي رقباء يحافظون على نصوصه كاملة ويشهدون بصدق ما أنزل من عند الله ويردون التحريف ويكونون أيضًا رقباء على التنفيذ بحيث [illegible] من غير تحريف.

وكذلك في نسبة القرآن يكون الأمين القرآن والكتاب [illegible] في أنه من جهة المحافظة يحفظ في مرتبتين لا في موضع واحد، أي أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، [illegible] [illegible] إنما يحفظ حفظه حتى يرد إلى الرسم الصحيح عليه من الأصحاب المتولين إليه جيلًا بعد جيل على هذه التي وضع عليها أول مرة، ولا [illegible] إنما بكتابة كتاب حتى ورد ما هو [illegible] المصاحف بالإسناد الصحيح المتواتر.

ويؤكد المحافظة الواجبة التي يحملها الله في العرب الأمة المسلمة [illegible] [illegible] في القرآن محفوظًا في سطور وصدور [illegible] أوعد الله الذي القائل بحفظه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩].

---

[1] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٢٢

ولم يصبه ما أصاب الكتب السماوية من التحريف والتبديل والضياع فحسب لأن الله لم يتكفل بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس، قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. أي بما طلب إليهم حفظه[1]

والمقصود أنه في إطار هذه الضرورة في الأخذ من الكتاب والسنة ينبغي على المسلمين أن يكونوا هم على هذا المستوى من الكتاب الكريم على الكتابة فيما له صلة بالنص الذي الموضوع على أساس حفظ المفردات ولا سيما على الأميين الذين عرفوا به لأنه

ولهذا قال: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ففي هذا النص بيان لأهمية الكتابة للحكم بها والسعي من أجلها حتى الأمر بها على سبيل الإيجاب.

أي: عليكم أيها المؤمنون إذا تعاملتم بالدين إلى أجل معين أن تكتبوا هذا الدين وليتولى الكتابة بينكم شخص بصفتها وعدالة خبيرا بأحكامها، يكون على معرفة بشروط المعاملة وأركانها، وما يكون من الشروط موافقا للشريعة الإسلامية وما يكون منها غير موافق، وعلى هذا الكاتب أن يلتزم العدل مع الطرفين بالقسط في كتابته لأن الله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ [البقرة].

فالمعاملة الشرعية تقتضي المتعاملين يعلمون أن يكتبوا الكتابة ليحصل ذو الحق له حقه الكتابة والتوثيق بشروط العقد والكاتب كما أمر الله بالاستقامة والصدق الحق ومعرفة ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ متعلق بما بالصفة أي: وليكتب بينكم الكتابة كاتب بالعدل والقسط بالطرف ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ للملابسة، فلا ينبغي للكاتب أن يميل لأحد ولا يغير به أحد المتعاملين؛ لأنه في هذه الأمور فيما يجب أن يراعيه منهما[2]

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن

[2] انظر: التفسير الوسيط طنطاوي ١/٦٤٥

[illegible]

لقد [illegible] وثيقة بالكتابة في [illegible] القرآن الكريم بأساليب متنوعة [illegible] أساليب القرآن الكريم في ترغيبه لهذا الموضوع وقد رأيت أن أبين بعض هذه الأساليب فيما يأتي:

أولاً: القسم بالمكتوب والأداة

من أساليب القرآن في الحث على الكتابة القسم بالمكتوب به وأداة الكتابة في سورة القلم قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

أقسم تعالى بالقلم الذي يكتب الناس به العلوم والمعارف، فإن القلم أخو اللسان ونعمة من الرحمن على عباده، والمعنى: أقسم بالقلم وما يكتبه الكتبة على صدق محمد وسلامته مما نسبه إليه المشركون من السفه والجنون.

وفي القسم بالقلم والكتابة إشادة بفضل الكتابة والقراءة، فالإنسان من بين سائر المخلوقات خصه الله بمعرفة الكتابة ليفصح بها عما في ضميره.

ويكفيك دليلاً على شرف القلم أن الله أقسم به في هذه السورة المسماة بسورة القلم [illegible] ورثة من [illegible] أجل القلم في التعليم البيان كما في الحديث [illegible] والمعارف(١).

قال ابن كثير: والظاهر من قوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ أنه جنس من القلم الذي يكتب به وهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني وما يكتبون(٢).

أما الطبري فقد قال: وأما القلم فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة(٣).

وقد أطال ابن القيم في شرح قوله تعالى [illegible] حيث قال: فأقسم بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو إحدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين وأثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد، فوطدت به الممالك وأمنت به السبل والمسالك وأقام في الناس أبلغ خطيب وأفصحه وأنفعه لهم وأنصحه وواعظاً تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيباً يبرئ بإذن ربه من أنواع الألم يكسر العساكر العظيمة على أنه الضعيف الوحيد

---

(١) انظر: صفوة التفاسير - الصابوني [illegible]

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير [illegible]

(٣) جامع البيان - الطبري [illegible]

وبخلاف سطوره وبأنه في البادي [illegible] والأقلام عبر الأدب وشاعر المختلفة والمقام لسانه الشعر يعبه بما أمر من الأسماء ليسمع مثل المعاني في الظرفين فصوره أحسن من الوشي المرقوم يروعها سكنه حسن ورقم النجوم والأقلام نظام الأدب وكما أن اللسان بريد القلب فالقلم بريد اللسان تولد الحروف المسموعة من اللسان تولد الحروف المكتوبة من القلب والقلم بريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت[١]

ثم قسم الأقلام في مراتب الأدب حسبها اثني عشر قلماً[٢]

أولها: وأعلاها رتبة قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق وقد أقسم به لجلالة أمره.

الثاني: قلم الوحي يكتب به وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله.

الثالث: قلم التشريع والفتوى ويلي على الترتيب التالي: قلم طب الأبدان وقلم التوقيع عن الملوك والسلاطين وقلم الحساب تضبط به الأموال وقلم الحكم تثبت به الحقوق وتنفذ القضايا وقلم الشهادة تحفظ به الحقوق وصيانة من الإضاعة وقلم تعبير الرؤيا ووحي المنام وقلم التاريخ وقلم اللغة وشرح معاني ألفاظها ونحوها والتصريف وأشرف تلك الرتبة ثم القلم الجامع ويعبر الذي يرد على المبطلين.

وقد أقر المتكلمون والبلغاء في وصف القلم والمدح فقال ابن قتيبة من جلالة القلم أنه لم يكتب الله تعالى كتاباً إلا به ولذلك أقسم الله تعالى به وقيل الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرام وقيل البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان وفضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأيام وبيان اللسان تدرسه الأعوام وقال بعض المتكلمين: قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وله يقول ابن الرومي[٣]

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت
له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يعادله
ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت
أن السيوف لها مذ أرهفت خدم[٤]

ومن قول أبي الفتح البستي[٥]

---

[١] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ٣

[٢] انظر المصدر السابق ص [illegible]

[٣] الأبيات في ديوان ابن الرومي شرح أحمد حسن بسج ٣/٢٤٣

[٤] [illegible] للثعالبي ٢/١١٢

[٥] البيت في ديوانه ص ١٩-٢٠

إنه أقسم بالأقلام وما يسطرون

ويحيي بما يكتب المجد والفخر

كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة

مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

ويلي القسم بما يسطر الكتبة بالقلم إشارة إلى كل هذه الآثار المكتوبة وهي لا يكتب بها إلا ما كان من الحق والخير ولا ما كان داعياً إلى هدى ورحمة إلى خير.

إنه أداة تسجيل العلوم والمعارف ونقلها من جيل إلى جيل عن الأسلاف إلى [illegible] ويقيم لها بنيانا لا خلاف في الحياة بقدر ما يحصل القلم منه من خير وما ينشر من العلم [illegible] بأن يصاحبه من كل يحفظ وكذلك أن يحصل البوار(٢)

قال ابن عاشور: وابتدأ الله بالقسم بما هو من مظاهر حكمة الله تعالى في تعليم الإنسان الكتابة فيتضمن ترغيب عرب الجهل والأمية وإعلاء لهمة الأمة لتعلم هذه الأمة حضهم وحثهم على الكتابة والتنبيه لفكرة الكتابة والعلم بين الصحابة القرآن، ومن فوائد هذا القسم أن هذا القرآن كتاب الإسلام وأنه سيكون مكتوبة مقروءة بين المسلمين، ولهذا اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بكتابة ما يوحى به إليه، وعرف القلم تعريف الجنس

القسم بالقلم تشريف له، يكتب به القرآن وتدون به الكتب السماوية، وتكتب به كتب الشريعة ومكارم الأخلاق والعلوم وكل ما له صلة بما يقرب من الله تعالى(٣)

ومن الآيات المطابقة على ذلك قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ العلق: ٣-٥

فأقسم الله تعالى بما قد تقدم ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ تكريماً له والمسطور المكتوب(٤)

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ معنى يسطرون أي: مكتوب في رقه، والمراد الصحف التي يكتب فيها وقيل الملائكة أي ما يكتب فيه الحفظة [illegible] هو قسم من الله تعالى وقيل ﴿وَالْقَلَمِ﴾ آلة مخصوصة منها الكرام(٥)

والمراد بالمسطور لغةً أنه معنى الكتابة بسطور متعاقبة في حروفه مرتبة بحاسة الكتابة عليها(٦)

وفي وصف الكتاب بأنه مسطور إشارة إلى أنه مكتوب كتابة في أسطر على نحو ما يكتب الكاتبون.

وفي وصفه بأنه في رق منشور إشارة

---

(٢) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٢٩٨/١

(٣) التحرير والتنوير ٦٠/٢٩

(٤) روح البيان للقنوجي ٦٣٢/٢ [illegible] ص ٢٦ [illegible] المستخلص ص ٣١

(٥) السراج المنير الشربيني ٤/ [illegible]

(٦) انظر المصدر السابق

الذي يرى أنه مطلق العمل حول العبارات وأنه حسن أي حسن القارئين عن [illegible]

وفي هذا كله تنويه بالكتابة ورفع لشرفها، وأنها باب واسع من أبواب العلم وطريق ميسور من طرق المعرفة.

وليس هذا بالأمر المستغرب من رسالة افتتحت بهذا الأمر من رب العالمين إلى النبي الأمي في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ۝ خلق الإنسان من علق ۝ اقرأ وربك الأكرم ۝ الذي علم بالقلم ۝ علم الإنسان ما لم يعلم ۝﴾ [العلق: 1-5].

ثم تلا هذا الأمر قسم بالكتابة وأدواتها في سورة القلم إذ قال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون ۝﴾ [القلم: 1].

فالكتابة نعمة من نعم الله العظمى على الإنسان، الذي بها استطاع الكتابة التي وهبها سبحانه وتعالى في فم الإنسان، فلا عجب إذاً أن يقسم الله سبحانه وتعالى بالكتاب من حيث هو جنس عام لكل ما يكتب، وأن يعظمه في أسلوب واضح مع هذه المطالع المباركة التي أنزلها الله سبحانه على رسوله النبي الكاتب والكتاب المسطور والسقف المرفوع والبحر المسجور[1].

ومما يلفتنا أيضاً من أسلوبه ﷺ أنه مرتل، وكل طالب الاستعداد على هذا العلم هو من جلود الحيوانات[2].

ومما يلاحظ ويجب الكتاب بالمسطور أيضاً أنه حسن الكتابة معظم الحروف مرتب المعاني، المراد بالكتاب المكتوب والمسطور الذي سطرت حروفه وكلماته تسطيراً منسقاً منسكاً، والأكثر أنه المقصود به القرآن الكريم؛ لأن الله تعالى قد أقسم به كثيراً.

ووصف الكتاب بثلاث صفات:

- أنه مسطور، أي: مكتوب على وجه الانتظام، فيه أسطر ترتيب الحروف والكلمات[2].
- أنه في رق، والرق كل ما يكتب فيه من الرق وغيره، وأصله الجلد الرقيق الذي يكتب عليه.
- أنه منشور، والمنشور: المبسوط، أي: أنه بيّنا الكتاب المسطور كائن في صحائف مبسوطة ظاهرة لكل من ينظر إليها[3].

والمقصود أنه من أساليب القرآن في الحث على الكتابة أنه أقسم بأدواتها وهي القلم وما يكتب ويسطر به كما في قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون ۝﴾ [القلم: 1].

الآية إشارة إلى سر القلم من حيث هو آلة الكتابة التي يحفظ بها العلم ويحفظ [illegible]

---

[1] التفسير [illegible] القرآن الكريم [illegible]

[2] روح البيان [illegible]

[3] روح المعاني للآلوسي [illegible]

[4] التفسير الوسيط للطنطاوي [illegible]

ويعمل على ضمان [illegible] والسكينة [illegible] للأجيال، ولا يجمع العالم [illegible] ما هو المكتوبة من [illegible] الطلب [illegible] الكتابة على أن [illegible] البيان القرآني ما له في [illegible] الأمي والعرب الأميين [illegible] أنه من آيات الخالق التي خلق الإنسان من علق، وعلمه ما لم يكن يعلمه بما هي من الخصائص الإنسانية عند [illegible] والقلم وكسب العلم، وهذا من الخصائص الإنسانية التي [illegible] أول الوحي من بعد ذلك ما [illegible] إلا يحصل العلم [illegible] الإنسان الأول [illegible] في الخلافة في الأرض [illegible] بضرب الأمثلة للناس [illegible] خلقه تعالى على العالمين[1]

ثانياً: الأمر بالكتابة

ومن أساليب القرآن في الحث على الكتابة الأمر بها، وقد سبق الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

ففي قوله ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ وقوله ﴿وَلْيَكْتُب﴾ أمر [illegible] بالكتابة، [illegible] حث على تعلم الكتابة؛ لأنه لا يتم [illegible] بالكتابة إلا بتعلمها.

شرعت الكتابة لحفظ ما يقع بين المتعاملين في معاملاتهم الآجلة؛ لأن النسيان يقع كثيراً في المدة التي بين المعاملة وحلول الأجل، وقد تطرأ عوارض من موت أو غيره، فشرع الله الكتابة لحفظ الحقوق وضبط الوقائع، كما أنها شرعت لحفظ العلم والقيم، ونقل العلوم من جيل إلى جيل.

وقد ذكر السعدي رحمه الله من فوائد [illegible] أن [illegible] الكاتب [illegible] الأمور التي [illegible] كل واحد من صاحبه؛ لأن المقصود من ذلك التوثق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع.

ومنها: أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية؛ لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم.[2]

وظاهر هذه الآية الكريمة أن كتابة الدين واجبة؛ لأن الأمر من الله يدل على الوجوب، ولكنه أشار إلى أنه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية؛ لأن الرهن لا يجب إجماعاً، وهو بدل من الكتابة عند تعذرها في الآية، فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً، وصرح بعدم الوجوب بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية.

---

(١) [illegible] ٢/٣٣٨

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

فالصحيح أن الأمر في قوله [illegible] للندب والإرشاد [illegible] إلى الكتابة فيه إنما هو على جهة الحيطة للناس(١)

ويرجح ابن عاشور أن الأمر بالكتابة هنا للوجوب [illegible] من الأمر بالكتابة [illegible]

[illegible]

وقال ابن عطية: والصحيح عدم الوجوب [illegible] أن يجب هذا الحق ويترك [illegible]

قال ابن عاشور: وهذا كلام لا ينبغي [illegible] بعلم الشريعة ومقاصد الشريعة [illegible](٢)

والصحيح أن في هذا الأمر الإلهي بالكتابة [illegible] سواء كان أثره على الوجوب أو على الندب [illegible]

ثالثًا: الثناء على أهل الكتابة

ومن أساليب القرآن في [illegible] على [illegible] تعالى الملائكة بأنهم كاتبون فقال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪﴾ [الانفطار: ١١].

[illegible]

---

(١) أحكام القرآن للجصاص [illegible]

(٢) [illegible] لأن الله تعالى ندب إلى [illegible] على جهة الحيطة [illegible]

(٣) التحرير والتنوير [illegible]

ومما تجدر الإشارة إليه أن في وصف السلطة ما يجلب السلطات من تعظيم مخالفين كرامة تكسبهم بضرورة، علاوة على أنه اجتمع لهم كل صفات الكمال من خلق، علم، سياسة، وعلم بما يكتنفه وذلك توجيه لما يجري في ولاة الأمور من إعانة في اكتساب الكتاب والأعمال وذلك التزام على القاضي أن يحذر كثيرًا أمثاله حسن الخلق للسلطة ومن هذا الرسم يعلم أنه لا يحفظ عليهم عمل يعمل وكرامتهم سلطة لا بضرورة أمثاله ولو كان حقه ذلك.

وفي تعظيم الأئمة يكتسب عظيم تعظيم الأمر للمؤمنين ولذلك عبد الله من جلال الأمور وإنذار ذلك لما وكل ويضبط ما يحسب عليه يستلزم به المكانة الكرام السلطة الكبيرة هي إمام والعدل وتقديم الحسنات(٢) والحث للمؤمنين، ومن الفضل أنه كان إذا رآهما أخذ ما أعطاهما من أنه على الجليل.

فالأمر مفهوم القضية البحثية الأعمال في المعاملة وما يصدر عنهم من الأعمال وأما صفة الكتابة فهي مما ضبط ما وكل يحتاجه ضبطًا لا يعرض للحساب، ولا للإسراف ولا الإهمال.

وأما صفة العلم بما يعمله الناس فهو الإحاطة بما يصدر عن الناس من أعمال وما يخطر بالعلم من الفكر مما يراد به عمل من أمر من أمور الخير.

والعلم أنه يتوجه من علم الأئمة أنه علم السلطان الأمين في عمله السلطان الشرعية في كل من يلزم بعمل الأمة في الإسلام من قراءة ومذهب الفقه ومحافظة المصالح ما استحفظوا عليه وأركان الحفظ الأمانة وعدم التفريط.

فلا بد لهم من الحرص وهو ذلك النظر أنه أي خطورة النفس ومن الضبط لما يجري على يده بحيث لا تضيع المصالح العامة ولا الخاصة بأن يكون ما يصدره مكتوبًا أو كالمكتوب محفوظًا لا يستطيع أحد به ويمكن لكل من يلزم بذلك العمل بعد الأمر به أو في حضرته أن يرى ما أمر به من الأعمال وهذا أصل عظيم في وضع الكتابة الأصول والتراتيب، ومنه تنشأ دواوين الأعمال ودفاتر الشورى والحساب على الرعية وإصدار نسخ الأحكام والأسماء وغيره الكثير.

ومن إحاطة العلم بما يتعلق بالأمور التي أسندت إلى الموظفين عليها بحيث لا يستطيع أحد من المستخدمين أو غيره أن يرى عليه شيئًا أو أن يلبس عليه مقالات بحيث يخفى منه خلافها وإخفاء في تدبير الأمور

---

(١) انظر: أصول البيان للقلقشندي [illegible]

(٢) المصدر السابق.

انظر: السير الكبير [illegible]

(٣) الأحكام السلطانية [illegible] ٧

بلقيس ما يمكن.

ومن الغرائب بالكتابة مجيء الكتب المكتوبة والغرائب في قول الله تعالى على لسان بلقيس: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝٢٩﴾ [النمل: ٢٩].

لسليمان عليه السلام كتب كتابًا: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين.

قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه – يعني كتابًا مختصرًا – وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء كانت تكتب جملًا لا يطيلون ولا يكثرون، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه فقال للهدهد: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾ [النمل: ٢٨].

قال عطاء والضحاك: سماه كريمًا لأنه كان مختومًا، وقال قتادة ومقاتل: ﴿كَرِيمٌ﴾ أي: حسن، وهو اختيار الزجاج، وكذلك حسن ما فيه، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَرِيمٌ﴾ أي: شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريمًا لأنه كان مصدرًا ببسم الله الرحمن الرحيم لم يسبق بمثله أحد قبله ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾[2]، وقيل: كريم مضمونه، وقيل: كريم مرسله أي: من ملك[3] أو لأنه من عند الله كريم[4].

والمقصود وصفه بالكريم؛ الكريم مضمونه ومرسله أو الكريم مرسله يعطي موافقه، وهنا ذلك بالمسابح أو يكون كتابه مختومًا باسمه على عادة الملوك والعظماء أو يكون وصوله به الطير أو لبدئه باسم الله عز وجل، أو لطريقة دخوله ووصوله إليها على جناح هدهد، وقيل: إن الله ألقاها إليه بسبب أن العجل أمر طير، أن الكتاب سماوي، وليس كذلك يلقي[5] الكتب من دون المحاكي مختصرًا.

ثانيًا: لم قدم سليمان اسمه على اسم الله؟ الجواب: كأنها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لأحد إليها طريق ورأت الهدهد علمت أنه من سليمان، وحين فتحت الكتاب ورأت البسملة قالت ما قالت، أو لعل سليمان كتب على عنوان الكتاب ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ ثم قرأته، فعرفته أولًا ثم عرفت بما في الكتابة، أو لعل سليمان قصد بذلك أنها لو قدمته لأجل كرامة حصل الذم لسليمان لا لله تعالى[6].

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٩/ ٢٥١.

[2] معالم التنزيل، البغوي ٦/

[3] غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني ٢/ ٨٤٨.

[4] معالم التنزيل، البغوي ٦/

[5] روح المعاني، الآلوسي ١٩/ ١٨.

[6] غرائب القرآن، النيسابوري ٥/ ٣٠٣.

والمقصود أنها حسنة كتاب سليمان عليه السلام بالكرم والرحمة، ولكن هذا الترغيب بالكتابة ومدحها لما كانت لا مقصورة على نفسه وحده، بل كانت الكتب التي كانت الوسائل للدعوة إلى الله ونشر دينه وإعلاء كلمته.

ومما يؤكد هذا المعنى أيضاً قول الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

فقوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل الذي أنزله عليك بعد أن علمناك الكتابة والقراءة [illegible] عليهم، وقيل: إنه علمه كتب الأولين المنزلة على الأنبياء قبله لأن فيها التوراة، مع أن التوراة سابقة بعده والبلاغة الأحسن والأدب والكتاب مع الكتابة والعلم[1].

في هذا امتنان من الله تعالى على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة، فيه حث وترغيب عليها وعلى العلم.

رابعاً: النهي عن الامتناع عن الكتابة:

ومن أساليب القرآن في الحث على الكتابة النهي عن الامتناع عنها لمن احتاج إلى كتابته، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وفي هذا نهي عن الامتناع عن الكتابة والترغيب فيها.

و﴿لَا يَأْبَ﴾ نكرة في سياق النهي فتعم[2]، ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب إنما هو على سبيل الإرشاد والأولى تحصيلاً لحاجة المسلم ومكافأة لما علمه الله من كتابة القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقيل: إنه على سبيل الإيجاب ولكنه نسخ بقوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقيل: إنه فرض كفاية فإنه لم يوجد إلا كاتب واحد وجبت الكتابة عليه، وإن وجد أكثر منه فالواجب كتابة أحدهم، وقيل: معنى الإيجاب هو أن يكتب كما علمه الله، يعني أنه يكتب بالعدل، أو يكتب بالواجب أن يكتب كما علمه الله، وأنه لا يخل بشرط من الشروط كيلا يحتج الحاكم ببطلانه، من باب سبيل الإشارة إلى هذه الأمور بعينه.

والحاصل أنه من أساليب القرآن في الحث على الكتابة والترغيب فيها النهي لمن يعرف الكتابة أن يمتنع من كتابة الدين أو غيره من مصالح المسلمين إذا دعي إلى كتابته، لما أنعم الله عليه بأن علمه ما لم

---

[1] روح المعاني، الآلوسي ٧/ ٥٦.

[2] البحر المحيط، أبو حيان ٢/ ٣٤٤.

يكون يعذب الناس من خلال رجل اختاره ويزله الله ويقذفه في سواء الجحيم، فالأمر كله لله وحده في الأبد.

وفي كونه إلهي فإنه يحبني، أنه أمر لا يتخيله عقلي، بل يحبني بشوق وتوق الوالد الأعمى بابنه الوحيد الذي ضل طريقه، إنه يحبني بالرغم من كل ما فعلته، بالرغم من كل ما سأفعله، بالرغم من كل ما أنا عليه، إنه يحبني بالرغم من كل ما أنا عليه، إنه يحبني بالرغم من كل ما أنا عليه، إنه يحبني

[illegible]

الكتب المنزلة

ياسر الموسوي

- مفهوم الكتب المنزلة [illegible]
- الاعتقادات الفاسدة [illegible]
- محطة من تاريخ الكتب [illegible]
- الكتب المنزلة وأصحابها [illegible]
- الكتب المنزلة والموقف منها [illegible]
- بين القرآن الكريم والكتب المنزلة قبله [illegible]

[illegible]

مفهوم الكتب المنزلة

أولاً: المعنى اللغوي:

الكتب المنزلة مركب من مفردتين (الكتب) و(المنزلة).

الكتب لغة: الكتب جمع كتاب، وهو من الفعل كتب، وأصل معناه: الضم والجمع، قال الراغب بعد أن بين أن أصل الكتب ضم أديم إلى أديم بالخياطة: والكتاب في الأصل مصدر ثم سمي المكتوب فيه كتاباً، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه[1].

وقال الثعالبي: قيل كتاب لما جمع فيه، ومنه كتبت الكتيبة أي جمعتها[2].

كما تأتي مادة كتب بمعنى الفرض والإيجاب والتقدير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

المنزلة لغة: المنزلة اسم مفعول من الفعل نزّل، فعل مضاعف، والمنزلة: اسم مفعول من أنزل، أصل معناه: نزل بالمكان ينزل نزولاً وانحط، ونزل من علو إلى أسفل، ونزل في المكان، ونزل من الدابة، ومنه منزل القوم، والمنزل الموضع من منازلهم، وأنزل الله الشيء، وأنزل الكتاب ينزله ونزلت الملائكة[3]، والنزول في الأصل: انحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

ونزل كذلك، وأنزله، ونزول الله تعالى: نعمه ونقمه على الخلق، وإعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك[4].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الكتب المنزلة هي الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ليبلغوها الناس، فتشمل ما أنزله الله تعالى من صحف إبراهيم وموسى والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم خاتم الكتب المنزلة، إلى ما أنزله الله ولم يقص علينا خبره.

---

[1] المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٦٩٩.
[2] معاني القرآن، النحاس، ١/٩٩.
[3] انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٥/٣٦، المفردات، الراغب، ص٧٩٩.
بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٥/٣٩.

[illegible]

القرآن

القرآن لغة

القاف والراء والياء أصل صحيح يدل على الجمع والاجتماع، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها(1)

القرآن اصطلاحا

كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، المتعبد بتلاوته، المعجز، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس(2)

الصلة بين القرآن والكتب المنزلة

القرآن الكريم آخر الكتب المنزلة من الله عز وجل إلى أنبيائه لهداية الناس.

التوراة

التوراة لغة

قال أبو هلال: التوراة اسم عبراني وأصله [illegible] في [illegible] [illegible] بعد تكرير [illegible] الأسماء الأعجمية لا يدخلها الاشتقاق وأنها لا [illegible] [illegible] عربية(3)

التوراة اصطلاحا

التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى عليه السلام(4)

الصلة بين التوراة والكتب المنزلة

التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام.

---

(1) انظر: الصحاح للجوهري (1/ [illegible]) [illegible] لابن فارس [illegible]
(2) انظر: [illegible] [illegible]
(3) [illegible]
(4) المصدر السابق.

الإنجيل

الإنجيل لغة:

قال ابن منظور: الإنجيل: كتاب عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يؤنث ويذكر، فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب [illegible] ويجمع على أناجيل.

وقد اختلف العلماء في أصله اللغوي، وهل هو عربي أو معرب، والراجح عندي أن كلمة الإنجيل معربة.

الإنجيل اصطلاحاً:

كلمة إنجيل لها إطلاقان اثنان:

الأول: الكتاب المنزل من عند الله تعالى على المسيح عليه السلام، وهو مفقود ولم يعد موجوداً الآن البتة بما بين أيدي النصارى الآن. قال الطاهر بن عاشور في تعريفه بهذا المعنى: اسم للوحي الذي أوحي به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه.(٢)

الثاني: الإنجيل الذي تعتقده النصارى الآن، وهو عبارة عن أربعة كتب تعرف بالأناجيل الأربعة.

الصلة بين الإنجيل والكتاب المنزل:

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.

---

(١) لسان العرب [illegible]

(٢) التحرير والتنوير ٣/[illegible]

الحكمة من إنزال الكتب

لا يمكن للبشرية في سيرها أن تحكم أهواءها فتسير إلا لأمرها المطلقة البشرية ولا لتجاربها المحدودة ولا للحس أو للحدس أو غير ذلك من وسائل المعرفة والإدراك أو الظنون والأوهام أو الخرافات والأساطير، فمع أهمية العقل والتجربة والحواس وتقديرنا لمصادر الإنسانية إلا أن ذلك لا يكفي ولا يغني إذ لا غنى للبشرية عن هداية السماء ولا وجود لهم إلا بتعاليم الأنبياء من هنا تبدو قيمة الكتب الإلهية المنزلة وأهميتها ومكانتها، فقد أنزلت هداية من الله ونورا وحكمة ورحمة وتبيانا أنزلت لإخراج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان والعلم أنزلت هداية للبشرية ورشادا ومنهاجا ودستورا لها في طريقها أنزلت بالأحكام والتشريعات العادلة والأخلاق والترغيب والترهيب [illegible] كله [illegible] صلاح الناس وسعادتهم.

أولا: إخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد.

الحكمة من إنزال الكتب هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالله تعالى يتولى عباده المؤمنين ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

وأيد الله تعالى رسله بالمعجزات والآيات الواضحات مع الكتب التي فيها الخير لهم ولمن اتبعهم.

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤].

ويبين تعالى أن غاية رسالة موسى عليه السلام إخراج قومه من ظلمات الكفر والجهل والظلم إلى نور الإيمان والعلم والعدل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥].

وبناء على ذلك بعث ربنا الرسل والأنبياء جميعا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور[١]

إن وظيفة الرسل وغاية إنزال الكتب إخراج الناس من الظلمات التي تعتريهم

---

[١] رسالات الرسل [illegible] ص ٣٦٢

والحياة بعد في النور الذي يمشي به، ثم [illegible] [illegible] سبيل الله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أن أعظم مقاصد القرآن إخراج الناس من الظلمات الجاهلية إلى النور الساطع.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩].

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

ألا ما أسوأ الإنسان الذي [illegible] النور الذي يمشي به، ثم [illegible] [illegible] الظلمات [illegible] من بصيرة من الناس [illegible] ظلام الشك والشهوات.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فلا يستوي الناس من النور الذي يمشي [illegible] [illegible] ومن حرم من النور الرباني حتى جاءه [illegible] في الظلمات ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

قال ابن كثير: «الظلمات: جمع ظلمة، وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة ظلم الناس بالقتل وارتكاب المحرمات، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والنور الذي أرسله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور»(١).

(ب) التفريق بين الحق والباطل وإقامة العدل في حياة الناس

من مقاصد إنزال الكتب إحقاق الحق وإبطال الباطل، فالكتب هي الفارقة بين الحق والباطل، والكتب هي الداعية إلى إقامة موازين العدل بين الناس.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

أي: ميزانه، وبالقسط: العدل(٢).

وإن الشريعة هي [illegible] [illegible] بالتعميم للأمة والوطن [illegible]

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير [illegible]

(٢) تفسير [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بصيرة السبيل على من آثر طرق الهدى والباطل، ولولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][1].

وكذلك [illegible] [illegible] [illegible] بالوحي الصحيح والعقل الرجيح إلى الحقائق المطلقة من الآيات الآفاقية والنفسية والأمور الشرعية والمعاملات والعقل والأحكام والحكم [illegible] في القرآن الذي أنزله الله تعالى ليوضحه بين عباده ليأخذوا به ما التبس من الأمور ويعرفوا به حقيقة ما أمرهم به ونهاهم عنه[2].

ولما أنزل الله الكتاب أنزل الميزان، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)﴾ [الشورى: ١٧].

[illegible] [illegible] بالفرقان [illegible] [illegible] بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ [الفرقان: ١].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨)﴾ [الأنبياء: ٤٨].

كذلك سمي القرآن بالفرقان قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)﴾ [آل عمران: ٣ - ٤].

﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ [illegible].

فالفرقان ما يفرق بين الحق والباطل، بين الصالح والطالح، بين ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3].

ثالثاً: بيان تكاليف العباد من العبادات والمعاملات وغيرها

خلق الإنسان لعبادة ربه جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولم يترك سبحانه وتعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرسل [illegible] بالكتاب قال تعالى: ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ [النحل: [illegible]].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] انظر: لطائف الإشارات للقشيري ج ٢ ص ٣٢٣.

[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١.

[3] [illegible] [illegible] [illegible] ج ٣ ص ٢٥.

الغايات، وهي عبادة الله تعالى، والقيام بمصالح الناس وإصلاح معاملاتهم. لهذا فإن ما جاء به الأنبياء عليهم السلام يخرج من مشكاة واحدة ويقصد إلى غاية واحدة هي هداية البشرية وإسعادها بالزاد الروحي والقيمي الإلهي الذي يضمن سعادة الإنسان ويصلح المعاش والمعاد.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ⑬﴾ [الشورى: 13].

أي: لقد شرع لكم من الدين ما وصى به الرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام(1).

وذلك بمضمون ما يوحيه الله تعالى لهم إلا الرسالة الخاتمة: الرسالة بتوحيد الله والإقرار له بالعبادة. فذلك هو الدين الذي شرع لهم(2).

فأصول الدين واحدة لا تختلف في جميع الشرائع، وأما الفروع فمختلفة.

الكتب السماوية السابقة

تحدث القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة، وبين ما جاء فيها من الهدى والنور، ونسخ القرآن من شرائعها وأحكامها كثيرا من أحكامها وتشريعاتها، وتكفل بالعمل بها، واستقل القرآن بها وهيمنته عليها.

ومن الكتب السماوية التي تحدث القرآن عنها: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، وصحف إبراهيم وموسى.

أولا: التوراة

التوراة: الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام(1)

---

(1) لفظ التوراة: لفظة ليست من الألفاظ العربية، وقد خرجت في اشتقاقها [illegible] أبو إسحاق الزجاج [illegible] التوراة أصلها [illegible] الكلام حول اشتقاقها [illegible] [illegible] عربي [illegible] العبرية [illegible] بعد التعريب [illegible] العربية [illegible] والله أعلم.

انظر: تهذيب اللغة للأزهري [illegible] العروس للزبيدي [illegible]

[illegible] التوراة [illegible] التي يسمي أيضا باسم العهد القديم، هو مجموعة مختارة من أسفار متصل بعضها [illegible] [illegible]

(1) جامع البيان للطبري ٢١/ ٥١٣.

(2) الكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٣٠

وقد احتلت التوراة حيزا مميزا ملموسا مما يدل على مكانتها عند القرآن من نزولها وكتابتها ومن طائفة تعاليمها وما اشتملته من أوامر ونواهي يدعو إلى الإيمان بها ونزولها على موسى عليه السلام وأنها نزلت بالحق والهدى.

اهتمام القرآن من نزولها في مواضع كثيرة

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ آل عمران: ٣

فهنا أنزل الله تعالى القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما بين يديه كما أنزل التوراة والإنجيل من قبل مجيء القرآن الكريم الخاتم المهيمن من حيث الكتاب والرسالة ومن ثم فهي مصدقة في مصدرها ومضامينها ومن هنا تبدو مكانة التوراة في مواضع كثيرة من القرآن لأنها يصدق بعضها بعضا ويكمل بعضها الآخر ومن ثم كلها كلام رب العالمين فضلا عن ذكرها ونعتها بالهدى.

وقد جاء الحديث عن ذكر التوراة في مواضع أخرى.

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⓽٣﴾ آل عمران: ٩٣

فحملت الآية من الدلالات: التوراة المنزلة من عند الله تعالى، والتوراة الموجودة في أيدي اليهود، والتي فيها ما فيها من أسباب ولذلك تحداهم ﷺ أن يأتوا عليهم بما فيها من حقائق تخالف ما جاء به القرآن وتخالف ما هم عليه من الباطل ولو كانت في أيديهم لما [illegible] الإسلام لنصوص التكذيب التي أصابها من المبدلين.

قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

ويأتي الحديث عن التوراة المنطوقة ومن ذكرها ومضمونها وأحكامها العملية في سورة المائدة.

---

(١) [illegible] لفظ أمر الشريعة [illegible] [illegible].

ويقول في كتابه القرآن والمسيحية: من [illegible] والتي [illegible] على كلمات [illegible] التوراة [illegible] [illegible] [illegible] نزول القرآن [illegible] القرآني [illegible] الكتاب المنزل من عند الله على موسى عليه السلام [illegible] والتشريعات والأحكام [illegible] في حين أن [illegible] التوراة هي مجموعة [illegible] من الأسفار [illegible] بعضها من [illegible].

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

فالتوراة منزلة من عند الله تعالى بالهدى والنور، وهي شريعة الله تعالى التي حكم بها موسى عليه السلام ومن بعده من الأنبياء عليهم السلام، وعلى نهجهم سار الربانيون والأحبار العلماء بها حرصوا على حفظها وتصدروا في ظلالها بمحاضرة العلماء بجموع الأحبار، وفي إقرار الصحيح من إرادة الله، والتي بأنها نزلت من عند الله تعالى، وبأن لنورها محفوظة وبها تستضيء في إيمانها وهي الهداية والنور.

أسماؤها وأوصافها وإطلاقاتها

تعددت في القرآن من أسمائها: التوراة والفرقان والكتاب والألواح والصحف.

١- التوراة

ورد هذا الاسم في القرآن في ستة عشر موضعا، وفي هذا ما يدل على عظم شأنها في كلام رب العالمين.

٢- الكتاب

أما التعبير عنها بالكتاب فقد ورد في أكثر من ثلاثين موضعا أكثرها معرفا وأكثرها بمواضع، وفي كل هذه المواضع يقصد السياق أنه كتاب موسى عليه السلام.

٣- صحف موسى

وردت في موضعين في سورة النجم والأعلى، وفي هذا كله ما يدل على عظمة التوراة ومكانتها وجلال قدرها. ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النجم: ٣٦].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

أي كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه موسى الكليم واصطفاه به على سائر الناس في زمانه.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤].

أنزلها الله تعالى هداية وبشرى للمتقين الذين بالتوراة يعملون ويسترشدون بالهداية.

٤- الفرقان

لأن الله تعالى فرق بها بين الهدى والضلال والحق والباطل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

٥- الألواح

وقد وردت في ثلاثة مواضع من سورة الأعراف.

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ

من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥].

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴿١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠].

﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴿١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤].

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في محاجة آدم وموسى، وفيه: (فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم: فهل وجدت فيها (وعصى آدم ربه فغوى)؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى)[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت التوراة له في الألواح بعد أربعين ليلة[2].

خصائصها

نزلت التوراة مكتوبة ومفصلة وفيها وعظ وتفصيل وهداية ورحمة، وفيها نور وبصائر أنزلها الله نزلت جملة لا كسائر التنزيل، كما نزلت متضمنة للأحكام والآداب والقصص والأخلاق والمواعظ والبشارات.

نزلت خاصة لبني إسرائيل وبلغتهم العبرانية.

قال تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ [الإسراء: ٢].

وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾ [المؤمنون: ٤٩].

كما نزلت تبصرة لهم ورحمة بهم لعلهم يتذكرون بما حل بالقرون السابقة من الهلاك.

قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ [القصص: ٤٣].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، حديث ٣٤٠٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، واللفظ له، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٤/ ٢٠٤٢)، رقم ٢٦٥٢.

[2] انظر [illegible] (١/ ٢٢٢).

فمن المعاني أن التوراة هدى ونور، وشرعة ومنهاج، وأنها مصدر للحق ومنار له، يحكم بها الأنبياء والقضاة بها الربانيون والأحبار، وتعني أنها المضامين، فهي مصدر بما اشتملت عليه من صحيح [illegible]، مصدر بما حوته من حكم وأحكام، مصدر بما اشتملت عليه من مواعظ ورقائق وقصص وأخلاق ومشاعر الخير [illegible]، مصدر بما حوته من علوم ومعارف تضيء الطريق وترشد إلى سبل الهدى.

وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ (الأنعام: 154).

فمن خصائص التوراة أنها تامة وكاملة، وهدى ورحمة [illegible]، وشريعة كاملة وهداية ورحمة [illegible] أعطاها الله موسى جزاء لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة، [illegible] أحسن من غيرها فهي من تمام الإحسان على أهل الإحسان من الأنبياء والمحسنين إلى [illegible] عليهم بالحجة.

قال الطبري بعد سرده الأقوال السابقة: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا، لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة، فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة[1].

ومن خصائص التوراة كما في الآية: تفصيلها لكل ما يحتاج إليه الأمر والنهي في الدين ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [illegible] التوراة مفصلة وموضحة وشاملة بالتفصيل وبيان لجميع ما يحتاج إليه في دينهم كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾ (الأعراف: 145).

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ تفصيل لكل شيء مما يحتاج إليه من أحكام الشريعة والعبادات والمعاملات[2].

﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ التوراة مصدراً للأحكام الشرعية والعقدية.

ومن معاني من خصائص التوراة: الفرقان بين الحق والضلال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ (الأنبياء: 48).

التوراة هي الفرقان لأنها تفرق بين الهدى والضلالة، وهي [illegible]

---

[1] جامع البيان [illegible].

[2] [illegible].

[illegible] الذين [illegible] ربهم [illegible] بأحوالها.

ومن خصائصها: إمامة الناس [illegible] ورحمة.

قال تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة﴾ [هود: ١٧].

فالتوراة جاءت رحمة وسبيلا [illegible] إلى الإيمان بالقرآن الذي [illegible] التوراة على موسى إماما للمتقين ومنارا للسالكين ورحمة للمؤمنين.

قال ابن عاشور: [illegible] عن التوراة بـ(كتاب موسى) [illegible] الإمامة [illegible] الأمم [illegible] وهو [illegible] التوراة [illegible] إلى اسم موسى من [illegible] كتاب أنزل على بشر كما أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] القرآن على كتاب موسى بالمشابهة في جميع الأمور»(١).

[illegible]

[illegible]

جاءت التوراة بالشرائع والأحكام المفصلة في [illegible] هدى ورحمة وبيان.

قال جل وعلا: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

فاشتملت التوراة على الهداية [illegible] والنور والرحمة والبصائر والمواعظ [illegible] القرآن [illegible] في التوراة من [illegible] وأحكام [illegible] [illegible].

الهداية

[illegible]

قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴿٢٣﴾﴾ [السجدة: ٢٣].

[illegible] خصائص ومعاني التوراة الأمر

---

(١) التحرير والتنوير [illegible]

يكون سببه كان التطهير وحده الله المجيد التوراة حتى أتى أمر الله [illegible] [illegible] وكل من دون الله [illegible] الإخلاص لله في عبادته هو أمر الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه[1].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٧)﴾ [النجم: ٣٦-٤٧].

فاشتملت صحف موسى وهي التوراة على أصول الإيمان: الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر فضلًا عن الإيمان بالرسل والكتب والملائكة والقدر.

ومن ذلك وعده تعالى لعباده المؤمنين بالجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾ [التوبة: ١١١].

٢- الأحكام:

لا تختلف الكتب المنزلة عمومًا في أصول التشريع كالعبادات والصيام والزكاة وإن اختلفت في فروعها وجاءت شريعة الإسلام مسك الختام وخاتمة الشرائع.

مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ [الأعلى: ١٤-١٩].

فهنا يوافق المصحف صحف إبراهيم وكذلك صحف موسى أي التوراة على الترغيب في الزكاة والصلاة والتطهير من الانشغال بالدنيا وإيثارها على الآخرة.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ

---

[1] انظر: [illegible]

فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)﴾ [المائدة: 44]

فكشف الله تعالى لنا عن شيء مما تضمنته التوراة في جانب الأحكام الشرعية الخاصة التي تولت تحديد الإنسان وحفظ حياته ودينه وعقله ونسله وماله وعرضه.

٢ البشارات

مما تضمنته التوراة كما بين القرآن الكريم بشارتها بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)﴾ [الأعراف: 157]

لقد جاءت أوصاف نبينا صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة والإنجيل وعلى إثرها [illegible] من آمن من علماء أهل الكتاب وكبار اليهود والنصارى [illegible] النبي الأمي الذي بعث [illegible]

[illegible]

٣ ضرب الأمثال

جاءت كتب التوراة بالأمثال على الضرب المثلي إلى الأمثلة وأرسلها في [illegible] قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾ [الفتح: 29]

فلم يقتصر الحديث في التوراة والإنجيل عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التفصيل كلامًا عن أوصاف أصحابه ومناقبهم كما أشارت الآية الكريمة أن الله تعالى ضرب لنبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أروع الأمثال في التوراة والإنجيل حيث بدأت دعوة الإسلام [illegible] ولم [illegible] أن [illegible] والنمو [illegible]

لنذرها بصورة الصحائف والأساطير.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقد قاله تعالى في كتابه العزيز المستهزئين المكذبين الذين ظنوا ذلك السخرية والاستهزاء بأنه ليس منه.

ثانيا: الزبور

أنزل الله الزبور على نبيه داود عليه السلام وكان من أعظم الكتب وأجلها لا تشتمل على مسائل فقهية وأحكام وإنما مواعظ وبشارات وقد تضمنت القرآن منه في مقام المدح بما جاء فيه وكشف لنا عن شيء مما ورد فيه.

وأصل كلمة الزبور في اللغة العربية من زبر يزبر زبرا والزبر الكتابة في المعنى، والزبر أي الزجر لأن الزبور والزبر الكتب التي اشتملت على زواجر أي مواعظ وحكم من الأنبياء، وقيل هو من الحكمة والعظات، ومنه زبر السفينة في اللغة العربية ويقال: من الزكاة فإن ذلك كتابتهم(١).

وقد وردت بعض مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم فجاءت بمعنى القطعة من الشيء، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣].

وترد الزبور في اللغة العربية وجاءت بمعنى القطع والفرق.

قال تعالى في سورة القمر: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ أي البراءة في الزبر والكتب التي، وجاءت بمعنى الكتب والمواعظ والزواجر التي أنزلت على الأنبياء(٢).

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾.

فالبينات هي الحجج والمعجزات والزبر هي المواعظ والزواجر والكتاب المنير هو اسم جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه لهداية الناس وإرشادهم(٣).

---

(١) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد الطالقاني ٣٢٨/٨؛ الصحاح، الجوهري [illegible]؛ القاموس المحيط، الفيروزآبادي [illegible].

(٢) انظر: الطبري في تفسيره [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

(٣) انظر: [illegible] [illegible] [illegible].

وذلك قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝﴾ (ق: 31-34)

ويكون القلب الأواب [illegible] وهو قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] من الأنبياء [illegible]

[illegible]

[illegible] تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝﴾ (الشعراء: 88-89)

[illegible] القلب [illegible]

في أم الكتاب[1]

وفي هذا [illegible] القلب على أنه لله تعالى على نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13)

أوصى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كما أوصى لمن قبله من الأنبياء بالتوحيد [illegible] من الله تعالى [illegible] نوح عليه السلام، والذي [illegible] بالتوحيد [illegible] [illegible] القلب السليم [illegible]

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝﴾ (الصافات: 83-84)

فقد فضل الله نوحا عليه السلام [illegible] القلب السليم [illegible] نوحا عليه السلام [illegible] الأنبياء [illegible]

---

[1] [illegible]

[illegible]

[illegible]

والزبور المزعوم بين يدي أهل الكتاب المسمى عندهم بمزامير داود يبشر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحجة على أهل الكتاب الذين يكذبون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته إذ ذاك الفضل لله يؤتيه من يشاء كما تفضل الله على النبيين من قبل جملة وعلى نبيه داود عليه السلام فضلاً.

مقاصد الزبور

أنزل الله الزبور على داود عليه السلام كما أنزل سائر الكتب على الأنبياء هداية وإنارة وبيانا وبشارة ووحيا على البشر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

ونعلم من سياق هذه الآية الكريمة أن الزبور هداية ورسالة إلى داود عليه السلام.

والبشارة في الزبور كما ذكر القرآن.

قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٧].

وهذا يكشف لنا القرآن جل وعلا قيمة ما جاء في الزبور سيما أنه اشتمل على هذه البشارة العظيمة بالتمكين لعباد الله الصالحين الذين يرثون الأرض بمشروعية الرسالة في أرجائها.

والآن من الشرح المستفيض ولله الحمد يستحب أن نورد ولو بإشارات موجزة لأنه الإسلام ومن الشرح على وجوه هذه البشارة في الشرح أو في الزبور الذي لم يسلم من التبديل والتحريف ولعلك في ما بقي عند أهل الكتاب بمزامير داود يدرك هذه المعجزة القرآنية. وقد جاء في المزمور السابع والثلاثين من المزامير المنسوبة لداود عليه السلام: والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة.

وتعقيب على البشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أيضا بلاغة في الغيب فنحن أمام إعجاز قرآني رائع جلي.

ثانيا: الإنجيل

تحدث القرآن عن الإنجيل بما كشف لنا عن نزوله ومقاصده وبشاراته وما ورد فيه من أحكام وبشارات، فالإنجيل كلام الله

تعالى التي أنزله على نبيه موسى عليه السلام هداية ونوراً لبني إسرائيل والشريعة الخيرية [illegible] لبعض ما يرد فيه.

وأما من يعد الإنجيل: فإنه على الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام[1] بإرساله وإنزاله وبطاعته ومتابعته.

ويعد الله تعالى بأنه هدى ونور، وهدى للناس والتي يأتيهم أثر التحريف، يعني تعالى أنه مصدقٌ لما بين يديه من التوراة مؤيدٌ لها، على شرائعها، ومصححاً لها، وينسخ لبعض ما يرد فيها من أحكام كان كل نبي وكل كتاب [illegible].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ② نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ③ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

فالتوراة والإنجيل كلاهما نزل من عند الله هداية للناس، وكذلك القرآن.

وبهذا صرح القرآن بأنه نزل الإنجيل من عند الله تعالى. لم يُعرف في الأناجيل الأربعة على تعددها واختلافها تصريح بأنها من عند الله؛ لأن [illegible] عيسى عليه السلام ورسالته السماوية التي أنزل الله عليه الإنجيل هدى وموعظة ونوراً للقلوب.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

وهذه الآية تصرح بأن الإنجيل وحي من الله تعالى أكرم به عيسى عليه السلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

فالإنجيل من أشرف الكتب التي أنزلها الله تعالى، بدليل حديث القرآن عنه في مواضع كثيرة [illegible] [illegible] هداية ونور وموعظة وذكرى [illegible] من كتب الله تعالى، [illegible] على [illegible] سيما إذا [illegible] ذلك [illegible]

---

[1] جاء في كتب المعاجم: الإنجيل كلمة [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وفي المعجم الوسيط ٣٩: الإنجيل كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام، وهي كلمة يونانية معناها البشارة.

والمعروف لدى النصارى الآن الأناجيل الأربعة [illegible] من الرسائل [illegible] يطلق على مجموعها العهد الجديد كما في [illegible] الإنجيل.

انظر: [illegible]

الإنجيل في "الأناجيل الأربعة" حيث لم ترد كلمة "الإنجيل" إلا في سبعة مواضع: مرة في إنجيل متى، والباقي في إنجيل مرقس، بينما لم ترد في إنجيل يوحنا ولا لوقا، ومع ذلك لم يعرف أحد بالتحديد من صاحبه أو مؤلفه أو جامعه أو راويه أو الشخص الذي استكتبه أو اعتمده في [illegible] من كتبوه.

والإنجيل سمة عظيمة اسم لما أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام ومن آمن به، قال تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ (المائدة: [illegible]).

والإنجيل اسمه وسمة سماه به الله تعالى، وقال سبحانه: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾ (الحديد: 27).

وفي ذكر الإنجيل [illegible] والتذكير [illegible] كونه [illegible] في [illegible] الله على [illegible] لذا فإن الإنجيل هداية للمتقين وتذكرة للصالحين.

قال تعالى: ﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ (المائدة: [illegible]).

فالإنجيل هدى ونور، ومصدق لما بين يديه من التوراة، وموعظة للمتقين، والنور وصف بالإنجيل لظهور هذا المعنى ولبيانه كونه هداية عامة لبني إسرائيل، هداية يهتدي بها [illegible] خاصة لمن اتقى به من المتقين، كما قال تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ أي: العمل على الهداية والنور في [illegible] ﴿[illegible]﴾ الأمر [illegible] من [illegible].

قال الرازي: معنى كون الإنجيل هدى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، أما كونه نورا، فالمراد به كونه بيانا للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف، وأما كونه مصدقا لما بين يديه فيمكن حمله على كونه مبشرا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وأما كونه هدى مرة أخرى فلاشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم سبب لاهتداء الناس إلى نبوته(١).

وقال ابن كثير: الإنجيل هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل

---

(١) تفسير الرازي، [illegible] ٣١٤

[illegible] (1)

اشتماله على جملة من الأحكام

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝﴾ [المائدة: 46-47].

فقد أنزل الله الإنجيل مشتملاً على جملة من الأحكام الواجبة على أهل الإنجيل.

مصادقته التوراة ونسخه لبعض ما جاء فيها

قال تعالى في قصة عيسى عليه السلام مع قومه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝﴾ [آل عمران: 50].

ثم أتى عيسى بالعمل بالتوراة باستثناء ما نسخ منه تخفيفاً وتيسيراً عليهم، فقد حرم الله على اليهود من طيبات بظلمهم ومعاصيهم تشديداً وتعسيراً عليهم.

قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [النساء: 160-161].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝﴾ [الأنعام: 146].

والذي عليه أكثر أهل العلم من أهل السنة أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة (2).

بشارته بخاتم الرسل وآخر الكتب

كما جاء الإنجيل مصدقاً بالتوراة التي سبقته فقد جاء مبشراً بخاتم النبيين والمرسلين الذي سيأتي بعده.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [الأعراف: 157].

فهذه الآية تكشف جانباً في التوراة وكذا الإنجيل بالبشارات الصريحة الدالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible] التوراة والإنجيل [illegible]

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(2) المصدر السابق.

النبي الأمي ورسوله أرسله بآخر رسالاته ومحمد صلى الله عليه وسلم وأنه جاءهم بالرحمة والتيسير والنور والصلاح ويدعوهم إلى الإيمان به واتباعه ونصرته ويخبرهم أن ذلك هو سبيل الفلاح.

رابعاً: القرآن

حوى القرآن الكريم لب الكتب المنزلة وأبقى صحيحها وأزال عنها ما لحقها من التحريف والتبديل وأضاف إليها أحكاماً جديدة على ما يرد فيها من أمور من جعلها الله رسالة خالدة ومصدراً تشريعياً باقياً إلى يوم الدين، وبين أنه هو مهيمن عليها لما سبقه من الكتب بما يغني عنها في حين أنها لا تغني عنه، ويعد القرآن الكريم ناسخاً لما سبقه من كتب انتهى العمل بما فيها من أحكام بنزول القرآن الذي ليس بعده تحريف وبعد اتفاق القرآن مع الكتب التي نزلت قبله في الأصول.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

ويرجع الاختلاف في بعض الفروع مراعاة لاختلاف الزمان والمكان ومراعاة المصلحة عبر الأجيال ومسايرتها والبقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9].

كما جاء القرآن ناسخاً لما قبله من الكتب فهو ناسخاً وهو المنهاج الذي يجب على البشرية أن تحتكم إليه وتطبق أوامره، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: 114].

وبنزول القرآن انتهى العمل بما سبقه من كتب لأنها باتت منسوخة، قال تعالى بعد أن تحدث عن شريعة التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 48].

وتكفل الله بحفظه ومنعه الأسباب وهيأ السبل المؤدية على ذلك فهو رسالة الله الخالدة وكتابه الذي لا يحرفونه، قال ابن الجوزي رحمه الله: لم يأت الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصوصية من الله تعالى لهذه الأمة وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرءونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب، وإنه حين الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا

سلطانه ولا دخل عليهم في شيء منه شكٌّ ولا ريبٌ"[1].

فحفظ الله تعالى كتابه من التحريف والتبديل فسلم من التناقض والاضطراب الذي اعترى التوراة والإنجيل بسبب تحريفهما، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: 9].

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝﴾ [النساء: 82].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾ [فصلت: 41-42].

فالقرآن الكريم لا يتطرق إليه شكٌّ ولا يقع فيه اختلافٌ ولا يتسرب إليه باطلٌ ولا يعتريه نقصٌ ولا زيادة [illegible] بل بقي محكمًا ومحفوظًا بحفظ الله تعالى له.

ولهذا جاء الأسلوب القرآني متميزًا عن الكتب السابقة؛ إذ مع كونه عربيًا كما هو معلوم [illegible] والإنجيل العبري الذي نزل على موسى عليه السلام وكذا على عيسى عليه السلام إلا أنه يختلف عن هذه الكتب بحيازة الخصائص مع خاصيته في الرسالة الخاتمة والشريعة الكاملة والمحكمة.

الثاني:

القرآن آية ربانية وحجة ساطعة ومستمرة

خالدة، تحدى الله به الناس كافة وهو معجز في ألفاظه وتراكيبه وأساليبه ونظمه، معجز في كل ما جاء به من حقائق وعلوم، معجزٌ في أحكامه وتشريعاته، معجزٌ في أخباره وأنبائه، معجزٌ في قصصه وأمثاله، معجز في ترتيبه وسوره، معجزٌ في أخبار الغيب والمستقبل، معجزٌ في تشريعاته المتكاملة، معجز في واقعيته ومثاليته، معجزٌ في أسلوبه وبيانه مع موافقته الحق والعقل ومناسبته لكل عصر ومصر، معجزٌ في كل جوانبه، فهو المعجزة الكبرى والآية العظمى الخالدة والرسالة الخاتمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة"[2].

تحدى الله به العرب وغيرهم أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

---

[1] النشر في القراءات العشر لابن الجزري 1/[illegible].

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم [illegible]، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته 1/[illegible] رقم [illegible].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑪١ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑪٢﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑩﴾ [الأحقاف: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ⑲٦ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ⑲٧﴾ [الشعراء: ١٩٦-١٩٧].

[illegible] الله به [illegible] والبينات على أنه [illegible] من [illegible] من [illegible] عن [illegible] هذه الصحف [illegible] ما في القرآن من [illegible].

خامسا: صحف إبراهيم وموسى.

ورد الحديث عن الصحف التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى عليهما السلام في سورة النجم.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ③٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ③٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ③٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ③٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ④٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ④١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ④٢ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ④٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ④٤ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ④٥ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ④٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ④٧ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ④٨ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ④٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ⑤٠ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ⑤١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ⑤٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ⑤٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ⑤٤ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ⑤٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ⑤٦﴾ [النجم: ٣٦-٥٦].

وفي سورة الأعلى قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ⑮ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ⑰ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ⑱ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ⑲﴾ [الأعلى: ١٤-١٩].

كذلك جاءت إشارة إلى الصحف الأولى بعمومها في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ⑬٣﴾ [طه: ١٣٣].

عن مجاهد قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ قال: [illegible](١).

وعن قتادة قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ قال: الكتب التي خلت من قبلهم(٢).

وعن صحف إبراهيم [illegible]

---

(١) انظر: تفسير مجاهد، ص [illegible].

(٢) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].

عليهم السلام والعرب في الجاهلية كانوا عارفة بقصته ومكانته وكانت لدى أهل الكتاب عارفة بنبوته ورسالته [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتعظيمها والتعظيم [illegible] [illegible] وصحف موسى لأنه من أولي العزم من الرسل [illegible] [illegible] [illegible] وأنزل الكتاب [illegible] [illegible] والعمل بما جاء به وصحف موسى هي التوراة وهي من الصحف الأولى [illegible] [illegible] على ما [illegible] من التفسير [illegible] [illegible] [illegible] والإنجيل والقرآن.

[illegible] [illegible] [illegible] ما في الصحف الأولى [illegible] ما فيها حتى القرآن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما في الكتب الأولى التوراة والإنجيل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

والآيات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الإنسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فلا [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible].

[illegible] الصحف الأولى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالأمور والمواعظ [illegible] [illegible] بالأولى

---

[1] [illegible] [illegible] [illegible]

الله [illegible] عن قصدها نصين من أسلوبها وأشمله للمسائل حرصه [illegible] الحق أو الحرف وبالتحديد [illegible] المطهرة في موضع الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨].

لتعم من تلك الإشارة الكل ما ورد في السورة من معانٍ وحكم وأحكام وهي ومنهم من جعل الإشارة إلى قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝﴾ [الأعلى: ١٤-١٧].

وإن كان التأويل الأقرب هو الأول باعتبار أنه هو القريب والأصل في الإشارة أنها تعود للقريب.

وكانت صحف موسى عبرًا وكانت صحف إبراهيم أقرب للرسالة الأخلاقية في الأخلاق والأمثلة الرمزية عبر الرؤية مكانها التطبيقية وقد ورد الحديث عنها كذا في القرآن على طلاقة ما في التقديم والتأخير من أثر في البيان والاستعمال المعاني مع مراعاة الفاصلة في كلا الموضعين وفي سورة الأعلى لما أشار إلى الصحف عطفًا وكأنها الأولى ناسب ذلك ترتيبها حسب زمانيها فبدأ بصحف إبراهيم وثنى بصحف موسى.

أما في سورة النجم فقد بدأ بصحف موسى لأنها أشمل وأوسع وأقرب عهدًا ولا زالت حتى بقيةٌ باقيةٌ في تدوين أهل الكتاب بينما اندرست صحف إبراهيم المتضمنة صحف موسى [illegible].

قال الزركشي: تقدم ذكر صحف موسى [illegible] الصحف أنها في سياق الاحتجاج عليهم بالترك وكانت صحف موسى منتشرًا أكثر انتشارًا من صحف إبراهيم والتقديم مراعاة لرؤوس الآي(١).

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ج١/ ٣٣٩.

[illegible]

عن القرآن الكريم ما يوجب على الأمم تصديق الكتب التي أنزلها على أنبيائه ومن الإيمان بها واحترامها والعمل بما جاء فيها والتصديق بوحدانيته سبحانه وتعالى ذلك أنه الإسلام أن يؤمن بالكتب السماوية كما جاءت فيها وبينه وأسمائها وتعظيمها فضلاً عن إيمانه بالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية.

أولاً: الإيمان بها جميعاً

دعا الله تعالى في كتابه الكريم إلى الإيمان بما سبقه من كتب أنزلها على أنبيائه إيماناً بها إجمالاً وتفصيلاً بما فصل.

قال تعالى: ﴿[illegible] لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ [illegible]﴾ ([illegible])

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ (النساء ١٣٦)

والكتاب الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم خاتم الكتب نزل على خاتم النبيين، والكتاب الذي أنزل من قبل السماوية بأجمعها أمر ما نزل قبل القرآن، وإنما لم يقل الإنجيل المذكورة في الأصل والإنجيل جاء منهما ليدل أن المراد بالكتاب ما سبق من كتب وليس المراد منها كتاباً بعينه إنما واحداً فرجعها جميعها من مشكاة واحدة [illegible] كلها الهداية والدعاء إلى توحيد الله تعالى وعبادته والبعد عن الشرك.

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة ١٣٦)

فأمر الله بالإيمان الكامل والتصديق التام بكل ما أنزله على أنبيائه دون تفريق بين نبي ونبي، وأن هذا الإيمان المطلق لله تعالى والإيمان بكل ما أنزله من صفات المتقين كما جاء في مطلع سورة البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (البقرة ٤)

وفي ختام السورة ذكر الإيمان بسائر الكتب.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ (البقرة ٢٨٥)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى ١٨-١٩)

فالإيمان بسائر الكتب المنزلة واجب على كل مؤمن لا يستقيم إيمانه إلا به، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ [illegible] ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧].

أي: فلا تكن في مرية من [illegible] [illegible] [illegible] من الله [illegible][1].

ومن الإيمان بالكتب: الإيمان بما على إطلاقها وأنها منزلة من عند الله على أنبيائه ورسله، والإيمان بما ورد فيها من [illegible] [illegible] [illegible]، وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره[2].

فالمؤمن مطالب بأن يعلن عن موقفه من الكتب المنزلة بصدق عن إيمانه بها، [illegible] في دعوة الإسلام الإيمان بالكتب المنزلة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] مكتوبة الإيمان بالكتب جميعًا، ولا [illegible] ولا يستقيم منهجه حتى يؤمن بالكتب المنزلة كلها، هذا هو منهج الإسلام [illegible] [illegible] المسلم.

وقد بينت الآية الكريمة [illegible] أن الإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان، وأن الواجب على الأمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا يصح [illegible] [illegible] [illegible] الكتب المنزلة [illegible] [illegible] الإيمان بالكتب المنزلة كلها ركن من أركان الإيمان لا [illegible] لا [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وجوب الإيمان بكل كتاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3] [illegible] بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] لا [illegible] إلا [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإيمان [illegible] المنزلة

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير [illegible].

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، [illegible] رقم [illegible].

[3] [illegible]

على رسله ومن الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد[1]

فالإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان الستة لا يصلح ولا يقبل بدون الإيمان بها إجمالاً فيما أجمل، والتفصيل فيما فصل، ومن مقتضيات تمام الإيمان بها معرفة خصائصها وأحكامها وأسرارها.

أولاً: تصديق الكتاب المتأخر لما نزل قبله

كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضاً فكل رسالة تأتي مصدقة لما قبلها من الكتب الإلهية يصدق بعضها بعضاً ويفسر بعضها بعضاً كله مرتبط في التوحيد والعبادات والأصول والشرائع[2]

وقد جاء الإنجيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

قال ابن كثير: (مصدقاً لما بين يديه من التوراة) أي متبعاً لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه[3]

كما جاء القرآن الكريم مصدقاً للتوراة والإنجيل وما سبقهما.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 48].

فالله أخذ على النبيين الميثاق والعهد بالتصديق والإيمان بكل من يأتي بعده من الأنبياء إلى خاتمهم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: 81].

قال الطبري: [illegible] أخذ الله ميثاق النبيين بما آتاهم الله تعالى [illegible] والحكمة التي والتصديق عليه، من آتاهم منهما لكلمة ورسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه أأقررتم على ذلك إصري؟ قالوا: أقررنا، وأخذتم على ما والتصديق عليه من الإيمان بالرسل الذي آتاكم يصدق ما معكم من عندي [illegible]

---

[1] معارج القبول 2/ 673 باختصار.

[2] [illegible] 2/ 23.

[3] تفسير القرآن العظيم 2/ 36.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشريعة التي أنزلها الله [illegible] بما [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] من الإيمان برسالة الذين أرسلهم مصدقين لما سبقها من كتب الله [illegible] الله ﴿[illegible]﴾ أي [illegible] بما أعلمه به [illegible] من الإيمان [illegible] وعلى أي [illegible] بصدق ما معكم من الكتب والحكمة [illegible] على أنفسكم وعلى [illegible] من الأمر لا [illegible] أحكام [illegible] على الله ولا [illegible] من [illegible] عليكم وعليهم بالله.

ثالثاً - وجوب تحاكم النبي وأمته إلى الكتاب المنزل

ما أرسل الله نبياً إلا وجعل له شريعة يحكم إليها ويلتزم بها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فما من رسول أرسله الله تعالى إلا وأرسله بالحجج الباهرة والدلائل الواضحة والشريعة الغراء التي تقيم موازين العدالة بين الناس وتراعي جميع الحقوق المشروعة.

قال أبو حيان: ليقوم الناس بالقسط [illegible] أن هذا [illegible] [illegible] [illegible] ويجوز أن يكون [illegible] [illegible] والميزان [illegible] لأن القسط هو العدل في جميع الأشياء من [illegible] [illegible] لا [illegible] في [illegible] عنهم[1].

وقال الشوكاني: ليقوم الناس بالقسط أي ليعملوا بما أمروا به من العدل [illegible] بالعدل[2].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في التوراة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في التوراة [illegible] من [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible].

[illegible] الله تعالى على أمة من الأمم [illegible] بالكتب التي أنزلها على [illegible] الشريعة من [illegible] من الأنبياء.

قال تعالى عن أحكام التوراة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا

---

[1] البحر المحيط [illegible]/ ٢٢٦.

[2] فتح القدير، الشوكاني [illegible]/ [illegible].

[illegible]

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]

فالربانيون [illegible] من الله تعالى [illegible] من [illegible] [illegible] بالعبادة [illegible] [illegible] الناس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى مرتبة [illegible] بسلطتهم الأخلاقية وهي عنصراً فاعلاً مؤثراً تستقل بها الشعوب التي [illegible] الأوامر لله [illegible] بحكمته في [illegible] وسلوكهم، والعطاء منها بحكم أنهم أولئك الربانيون الذين يجمعون بين تحصيل العلم النافع والعمل الصالح، ويطلقوا جهادهم في تعليم الناس وتربيتهم [illegible] [illegible] ربانية، والربانية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والأحبار هم العلماء الذين [illegible] في العلم [illegible] [illegible] [illegible] على كتاب الله شهداء عليه حراس له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] بصورة على [illegible]؟

فلا [illegible] في العمل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في آيات الله ويتبعونها [illegible] [illegible] [illegible] ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿[illegible] كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

فقد وصفها الله بأنها جامعة لأصول الإيمان والمواعظ والأحكام، وأمر [illegible] [illegible] في [illegible][1].

قال ابن العربي: الربانيون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأولى وأصحاب الرأي[2].

وقال الشوكاني: [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] والعمل بالشريعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المأمور به وترك المنهي عنه[3].

فالمراد [illegible] [illegible] في الاستعداد [illegible] والمسارعة إلى العمل بأحكامه [illegible] [illegible] [illegible] كما قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

وقد أمر الله يحيى عليه السلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن يأخذ بها.

قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ

---

[1] انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، [illegible].

[2] أحكام القرآن، ابن العربي [illegible].

[3] فتح القدير، الشوكاني [illegible].

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ [النساء: ١١].

يبين الله تعالى هنا ما تضمنته الشريعة في جانب الأحكام الشرعية المتعلقة التي تراعي مصالح الإنسان وحفظ وجوده ووجوده وعقله وماله ونسله وعرضه. قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

أي: لعظم وخطورة قتل النفس البريئة والاعتداء على حقها في الوجود أوجب الله تعالى على بني إسرائيل في كتابه وعلى لسان رسله وأنبيائه أن من قتل نفسًا لا يستحق القتل لأنه لم يقتل أو يفسد في الأرض فكأنما يعتبر هذا قتل الناس جميعًا ومن ساهم في إنقاذ نفس فكأنما أحيا الإنسانية جميعًا، ولقد أرسل الله رسله إلى بني إسرائيل بالمعجزات الباهرة والشرائع الواضحة التي تقرر تحريم البغي على النفس والإسراف في الأرض بإفساد النسل وهتك الأعراض واستحلال الأموال.

وكتب الله تعالى ثوابت الحكم والحدود حماية النفس والقصاص بوجوبه في القتل العمد لردعه [illegible] [illegible] الظالم [illegible] قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

وقد شدد الله عليهم في الأمر بحكمها بعد أن رأى منهم التحايل والتفريط، قال تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

فحرم الله تعالى عليهم [illegible] المحكم التوراة بعد [illegible] وأنه [illegible] ما كانوا عليه من المعاصي وتجاوزوه، فغضب الله تعالى لذا يجري على العمل بها أصحاب القرية الفاسقة والهم الطغيان وعلت الآية المطهرة صحبة إلى تعظيم التوراة والقيام بمقتضاها ودليل على أصالة القرب والنور حتى يؤاخذوا بها قطعًا.

قال مجاهد: بسبب رفع الجبل عليهم لهم أبوا أن يقبلوا أن يقروا بالتوراة لما فيها من المشقة لرفضهم موسى فلم يقبلوه، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن أطعتموه بعد والسجود، وإلا أتى عليكم. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والطبري وغيرهم [illegible]

[illegible] يهود[1]

[illegible]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ آل عمران: 23.

[illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: 65.

[illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة: [illegible].

[illegible] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [illegible][2]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

ذلك لحكمهم بالإنجيل لأنه مما أنزل الله فتركوا ذلك مما أنزل الله ا علمه وكفروا به وبدلوه ا

وقوله: ﴿أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ دالٌّ على أن دعوته بعيسى خاصة موجهة لقومه خصوصاً، هم بنو إسرائيل خاصة، ومن هنا فإنه لم يؤمن بالتوراة من لم يؤمن بالإنجيل ولم يؤمن بموسى من لم يؤمن بعيسى عليهما السلام.

قرأ حمزة ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بكسر اللام وفتح الميم، والمعنى: آتيناه الإنجيل ليحكم أهل الإنجيل مع ما لم ينسخ من التوراة شريعة ومنهج للنصارى، وقرأ الباقون بسكون اللام والجزم على سبيل الأمر ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾[1] وله وجهان:

الأول: أن يكون التقدير: وقلنا ليحكم أهل الإنجيل، فيكون هذا إخباراً عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل، ثم حذف القول لأنّ ما قبله من قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٤-٤٦] يدل عليه، وحذف القول كثير كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

أي: يقولون سلام عليكم.

والثاني: أن يكون المراد: قل ليحكم أهله أي النصارى بالحكم في الإنجيل.

والمقصود أن يحكموا بما أنزل الله فيه مما لا يزال باقياً لم يحرف ويجوز ذلك موافقاً للحق الذي جاء به القرآن، وإلا فإن تلك الأمور كلمة الإنجيل تختلف من أمر من إنجيل، فالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام غير الإنجيل الحالي.

وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة]

وبما أشارت الآية الكريمة إلى الإنجيل الموجود في أيدي النصارى حالياً فيجب أن يقبل منه ما دلت القرائن على أنه من بقايا

---

[1] قرأ حمزة بكسر اللام ونصب الميم على التعليل بلام كي والباقون بالجزم.
النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٤.
تقريب النشر في القراءات العشر ١/ ٣٤٣.

الإنجيل الحق الذي أنزله الله بدليل قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ ولم يقل مثلاً: وليحكم أهل الإنجيل بما فيه، فدل ذلك على أن ما في الإنجيل ليس كله مرجعه الوحي والتي من وضع البشر.

قال ابن حزم: فأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ فحقٌّ على ظاهره لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع دينه، ولا يكونون أبداً حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد صلى الله عليه وسلم، فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتحلونه فهم أهله، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلاً وليس بإنجيل، ولا أنزله الله تعالى كما هو قط، والآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل لا نصاً ولا دليلاً، إنما فيها إلزام النصارى الذين يتسمون بأهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه وهم على خلاف ذلك[2].

ويدل عليه الآية نصاً على النصارى وليهود الحجة إليه فلا برهان لهم ولا دليل إلا في القرآن الذي سلمنا من تحريفه ويقصد الإنجيل الحقيقي أو ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ ما لم ينسخ بالقرآن ليبطل العمل به، ومما يجب فيه أن الحكم بما في الإنجيل إنما يقتضي الحكم بالقرآن لأنه مصدق الإنجيل الذي في القرآن.

أما القرآن الكريم فقد جاء بالشريعة الغراء الكاملة التي ارتضى الله عز وجل الإسلام بها والعمل بأحكامها.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

فأنزل الله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما بين يديه من الكتب السابقة، وبما تضمنه دلّ على صدقها، وهو مهيمن عليها أميناً ورقيباً وحاكماً وشاهداً، وسبيلاً لما قبله وموضحاً لما أشكل فيها وسقط، وما اعترضها من التحريف والتبديل بما لا أساس له من التأويل والتحريف.

---

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/٥٩).

[illegible] لما جاء في [illegible] [illegible] عن [illegible] الذي يحتكم إليه عند التنازع في شأنه [illegible] يحتكم [illegible] والعمل به والتحاكم إليه من الإباء ما عليه أهل الضلال من أهل الكتاب ولذا جعل الله [illegible] شرعة تحكم إليها ومنهاجا تسير عليه بما يحقق مصالحها ويلبي حوائجها ولو شاء الله لجمع البشرية على شرع واحد ومنهج واحد.

ولكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سنة الله [illegible] ثم يأمر الله تعالى بحكم شرعه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أهل من [illegible] [illegible] عن [illegible] ما عليه أهل الضلال من أهواء [illegible] إليها مع ما فيها من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] أهل الإسلام عن [illegible] [illegible] عليهم [illegible] الأحكام [illegible] [illegible] في [illegible].

ولما كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] بما أنزل الله [illegible] [illegible] [illegible] عن شرعة الله ومنهاجه [illegible] [illegible] أن الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] والإعراض [illegible] عن شريعة الله تعالى والتحاكم إليها [illegible] ثم [illegible] الله على من [illegible] [illegible] بأهوائه وأحكام الجاهلية مع ما [illegible] من [illegible] [illegible] والتخبط [illegible] [illegible] مع ذلك [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] على من [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] هو [illegible] [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] لشريعة الله إلا أهل [illegible] [illegible] الإيمان في [illegible] [illegible] الله [illegible] بحكم الله.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] الإيمان [illegible]

ما بعث الله من نبي ولا أنزل من كتاب إلا [illegible] [illegible] [illegible] أرسله للمؤمنين [illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

قال جل وعلا: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴿١٥٧﴾ (الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧).

فقد جاءت أوصاف نبينا صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة والإنجيل وعلى إثرها وفي غيرها آمن من آمن من علماء أهل الكتاب وكهان اليهود والنصارى ورهبانهم حتى جاء النبي الأمي الذي يحمل الرحمة ويرفع الله به الحرج ويضع عنهم الآصار التي أرهقتهم ويسقط الأغلال التي أثقلتهم ولكن [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] فلما جاء آمن منهم من آمن [illegible] [illegible] أبى وأعرض عن [illegible] وتكبر.

وقال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿٢٩﴾ (الفتح: ٢٩).

فهذا تصوير للصحابة في التوراة والإنجيل على أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وإن بدت الصحابة كذلك من أوصاف أصحابه ومحبيهم كما أشارت الآية الكريمة أن الله تعالى ضرب لنبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في التوراة والإنجيل، حيث بدأت دعوة الإسلام ضعيفة ولم تلبث أن قوي عودها واشتد عودها وأورقت غصونها وأينعت ثمارها، ولا تزال الكتب السابقة تنطق بالبشارات التي جاءت ناطقة وحاكية لظهور إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم.

وقال جل وعلا: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ (الصف: ٦).

فقد جاء عيسى عليه السلام مبشرا بالتوراة ومبشرا بخاتم الأنبياء.

موقف القرآن من الكتب السماوية قبله

يتحدث القرآن الكريم عن موقفه من الكتب السماوية فقد جاء مصدقاً لها داعياً إلى الإيمان بها مهيمناً عليها حافظاً لأصولها ومصححاً لها مزيلاً لما حرف منها [illegible] التحريف والتبديل [illegible] الصحيح منها القرآن وأصل لها.

أولاً: القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب:

جاء القرآن الكريم مصدقاً لتلك الكتب في أنها نزلت بالحق من عند الله تعالى، وأنها بشرت بالنبي العربي الأمي، وقد ورد الحديث عن تصديق القرآن الكريم بالكتب السابقة في أكثر من عشرة مواضع في تلك المعجزة الخالدة، ولذلك جاء القرآن مصدقاً للكتب المنزلة قبله مصدقاً بوجودها بما جاء في تلك الكتب التي بين أيديهم من حقائق لم تحرف ولا زالت بشارات تبشر بالنبي في كتبهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته.

وقد جاء الحديث عن تصديق القرآن للكتب السابقة في سياقات متعددة القرآن ورسوله، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان به وإقامة الحجة عليهم وعلى غيرهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

والتصديق لها لأنها أخبرت بمجيئه، وأن ظهور المخبر به يدل على صدق من أخبر به، ويدل كذلك على صدق القرآن؛ لأنه لو كان من عند غير الله لم يوافقها. عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي القرآن شاهداً على التوراة والإنجيل مصدقاً لهما ويبين عن [illegible] الكتب التي قبله كلها.

وقال ابن كثير عن قوله: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء التي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن العظيم عليه.[2]

فالقرآن جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل، وسائر الكتب المنزلة من عند الله تعالى، ومصدقاً بنزولها من عند الله تعالى، ومصدقاً لمضامين تلك الكتب وتعاليمها، ومصدقاً على وجه الخصوص بما بشرت به.

وقال الرازي: والمصدق له مصدق الكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج٤، [illegible]

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١

أخبروا به عن الله عز وجل ثم في الآيات وبينات الأولياء لله تعالى عنه بذلك على صحة القرآن الذي لو كان من عند غير الله لم يكن موافقاً لسائر الكتب، لأنه كان أمياً لم يختلط بأحد من العلماء ولا اختلط بأحد ولا قرأ على أحد شيئاً، والنصارى إلا أنه كان الصحيح أن المسلم من الكتاب والمسلمين فلما لم يكن كذلك تبين أنه إنما عرفه من الوحي الذي أعلمه الله تعالى به، مسائل المرأة عن الله تعالى لم يبعث إليـنا نبياً إلا بالدعوة إلى توحيده والإيمان به وتنزيهه عما لا يليق به والأمر بالعدل والإحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان، فالقرآن مصدق لما قبله من الكتب في كل ذلك(2).

فتصديق القرآن بما بين يديه من الكتب دليل على صدقه وصدق من جاء به ورسالة التطابق في مسائله وشروعه من المشكلة التي حرفت سواه وكتب الله تعالى بعضها بعضاً، قال ابن القيم في هداية الحيارى: فلو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور نبوته تصديق لنبوتهم وشهادة لها بالصدق، فإرساله من آيات الأنبياء قبله، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في قوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: 37).

فالقرآن مثل بشارة وأتى بما يوجب لصحته من غير سبق من علم وكلمة الصدق، إنه لا أمر قبل ما أخبروا به ولا أتى من عند غير الله الآخر إذ الصدق المرسلين والكتب ... من الله سبحانه وبحسب ذلك المسيح ... هذا قول المسيح ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: 6).

فالتوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقاً لها ثم بشر هو بما يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة فعادة الله في رسله أنه السالف يبشر بالأعلى والأصل يصدق السالف، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره(1).

وبهذا قال تعالى أهل الكتاب الإيمان بالقرآن الذي جاء مصدقاً لما معهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

---

(2) المصدر السابق 1/

(1) هداية الحيارى، ابن القيم 1/ [illegible]

﴿...﴾ [البقرة: ٤١].

ومعنى كونه مصدقًا لما معهم أي مطابق لما عندهم من البشارات والصفات الدالة على بعثه وظهور نبوته صلى الله عليه وسلم.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني: أن القرآن مصدق لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة، فأمرهم بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقًا منهم للتوراة؛ لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباعه نظير الذي من ذلك في الإنجيل والتوراة، ففي تصديقهم بما أنزل على محمد تصديق منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيبهم به تكذيب منهم لما معهم من التوراة[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: لأنه المصدق للأخبار التي بأيديهم من البشارات[2].

والله جل وعلا دعا بني إسرائيل للإيمان بكتابه المبين الذي جاء مصدقًا بما معهم ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

وهذه الآية مصرحة بالإيمان بالقرآن العظيم ونبوة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم التي أتت عليها كتبهم في تصديق لما جاء في كتبهم من بشاراته، وقبل إسلام كثير من الأحبار والرهبان والعلماء حيثما ظهر ما جاء في كتبهم بما يعلمونه ويعرفون من أوصافه وأحواله نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام[3] وغيره.

احتج عليهم ربنا تعالى كيف لم يؤمنوا بهذا الكتاب مع مجيئه مصدقًا لما معهم!

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

يبين تعالى حال كثير من اليهود الذين جحدوا وكابروا مع ظهور الحجج ووضوح البراهين على صدق نبوة إمام المرسلين لما جاء به من عند رب العالمين فساروا إلى الكفر [illegible] والزيغ لنبيهم مع مجيء القرآن مصدقًا لما بين أيديهم من البشارات والأخبار وأنه كان معهم من أوصاف نبيه التي ينتظرونه، مع ذلك كله كفروا به بغيًا وحسدًا وكبرًا وعنادًا وطمعًا في أعراض دنيا فانية.

---

[1] جامع البيان، الطبري، [illegible].

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible].

[3] عبد الله بن سلام: كان إسلامه [illegible] البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه، رقم: [illegible].

قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾(١)

كما أبدى القرآن عليهم عداوتهم لأمين الوحي جبريل عليه السلام مع كونه نزل به مصدقاً لما معهم، قال جل وعلا: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧].

فتصديق الكتب السابقة من مقاصد نزول القرآن الكريم، ومن عداوة اليهود أنهم عادوا جبريل عليه السلام وهو أمين الوحي لأنه نزل بالكتاب الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب.

عن أنس رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترف، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٢)

وجاء القصص القرآني مصدقاً لقصص التوراة والإنجيل وشاهداً على أنها من عند الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

أتى مصدقاً لما جاء في الكتب السابقة حيث تناول القصص في مستوياتها العامة وإن اختلفت في التفاصيل، فالقرآن الكريم هو القصص الفصل لأنه من عند الله تعالى وهو خالٍ من التحريف بينما الكتب السابقة وقع عليها التحريف والتبديل، وإن [illegible] بمسائل وأخبار مختلفة، فجاء القصص القرآني مصدقاً ومبيناً ما [illegible] بالأنبياء والأمم بما أنزل عليهم كما جاء

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ٣٣، وأخرجه ابن إسحاق في سيرته [illegible]، والطبري في تفسيره [illegible]، وابن أبي حاتم في تفسيره [illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب من كان عدواً لجبريل [illegible].

مصدقة بما لديها في كثير من حقائقها، أما ما حرف منها فقد صحح القرآن بأصله الحقيقي وأصل له التحريم الكريم في صورة الحقائق من الأباطيل وتمييز الأصيل من الدخيل.

فكلام الله تعالى يصدق بعضه بعضًا، وكل كتاب نزل مصدقا لما قبله، والتصديق بالكتب السابقة أنها نزلت من عند الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام، والتصديق بما ورد في هذه الكتب من بشارات عن مجيء النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وإيراد الكتب السابقة بما ورد فيها من عقائد وأحكام وآداب وقصص وأخلاق.

فالقرآن جاء مقررا لما ورد في هذه الكتب من حقائق التوحيد، فيعرف أهل الكتاب أن يصدقوا القرآن الذي جاء مصدقا لما معهم، ولكن الفرقة منهم لما جاءهم القرآن [illegible] كونه مصدقا لما معهم لهذا [illegible] التصديق والتسليم بأصل الكتب المنزلة أنها كلها من عند الله، أما الكتب المحرفة فقد جاء القرآن بتصحيح ما ورد فيها من معتقدات لم تبدل وأحكام لا تزال.

ولا يعني التصديق لما سبقه من الكتب السابقة العمل بمضمونها بل القرآن مهيمن على ما جاء به سابقه التي أنزلت من قبله والتي كانت مع هذا مؤقتة [illegible] مع كونه آخر الكتب لذا لا يتعارض التصديق بها مع نسخه لبعض أحكامها، واستقلاله بأحكام لم ترد فيها، بل وأسقط العمل بما جاء في الإنجيل على سبيل النسخ منه مصدقة التوراة حتى لأحكامها ولما نسخ بعضها.

والتصديق لما سبقه من الكتب يدل على صدقه إذ لو كان من عند غير الله لما وافق كلامه ولم يصدقه، [illegible] المشركين [illegible] الكتب [illegible] ولو كان كما يزعمون [illegible] ويأتي بما يوافق الكتب التي سبقته مصدقا ويحكي كلاما لم يدرسه ولم يتعلمه من قبل، وهو النبي الأمي؟ ألا يكون ذلك دليلا على أنه [illegible] تلك الكتب السابقة بل إنه تنزيل من [illegible] ومصدق للكتب المنزلة [illegible] على أنه كلام الله [illegible] إلى كل من سمعه أو قرأه [illegible] الأنبياء.

ثالثا: القرآن هو المهيمن على الكتب السابقة جميعها

كما جاء القرآن مصدقا لما قبله من الكتب فقد جاء مهيمنا عليها حافظا ومؤتمنا وحسيبا ورقيبا وحكما وقاضيا.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

والهيمنة تعني: القيام والشهادة والحفظ والتمكن من الشيء، جاء في لسان العرب: المهيمن اسم من أسماء الله تعالى في القرآن: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قال بعضهم: معناه الشاهد، يعني: وشاهدًا عليه، قال ابن عباس: المهيمن: المؤتمن، وقال الكسائي: المهيمن: الشهيد، وقال غيره: هو الرقيب، يقال: هيمن يهيمن هيمنة إذا كان رقيبًا على الشيء، وقوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال بعضهم: معناه وشاهدًا عليه، وقيل: رقيبًا على الكتب(٢).

وقال الزمخشري: هيمن الطائر على فراخه: رفرف عليها، ومهيمن على كذا إذا كان رقيبًا عليه حافظًا، والله عز سلطانه المهيمن(٣).

وقال الطبري: وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن(٤).

فالقرآن حافظ أمين لما قبله من الكتب الخالدة قبله، وهو حافظ لها ويكشف عما حذفوه من الصحيح وما أضافوه من الباطل، ليقوم ما اعوج من تحريفهم ويظهر ما ألبسوا من الباطل وهو الحق(٥).

قال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ أي: شهيدًا، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ أي: حاكمًا على ما قبله من الكتب، وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله(٦).

والقرآن شاهد عليها، ورقيب على ما حرّفه أهل الكتاب منها، فالقرآن الكريم وحده الكتاب المحفوظ من الله سبحانه من التحريف والتبديل، وأثبت ما تضمنته من أحكام وآداب وقصص وأمثال ووعد ووعيد وأخبار [illegible]، [illegible] من [illegible] أهل الكتاب [illegible]، قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب(٧).

وقال الزمخشري: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

---

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣/٤٣٦، [illegible].

(٣) أساس البلاغة ٢/[illegible].

(٤) جامع البيان، الطبري ٤/[illegible].

(٥) [illegible] عبد الله [illegible] في [illegible]، ص [illegible].

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

(٧) معالم التنزيل، البغوي [illegible].

ودل على سائر الكتب أنه يشهد لها بالصحة والإبانة (١)

فالقرآن جميع القرآن ويحوي ما سبقه من الكتب بل حث عليه لمن تمسك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في ذلك والقرآن يغني عما سواه ولا يغني ما سواه عنه.

قال ابن جرير [illegible] الله جل ثناؤه الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب ومختصها بالمعارف والعلوم والهداية حيث جمع له محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ⑨ ﴾ [الحجر ٩]

وكذلك مجيئه مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به وحث عليه وأكثر من الطرق الموصلة إليه (٣)

جاء القرآن الكريم يحكي عن العقيدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المبطلين [illegible] [illegible] من اليهود [illegible] الوحي على الأنبياء أنزل الله تعالى قوله ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ⑨١ ﴾ [الأنعام ٩١]

ومنها نفي اليهود والنصارى الأول [illegible] في إبراهيم وتعليمهم أنزل الله تعالى قوله ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ⑥٥ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ⑥٦ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ⑥٧ ﴾ [آل عمران ٦٥ - ٦٧]

ومنها صدوا الحق عند [illegible] في تعليمهم بالاستدلال على النبي صلى الله عليه وسلم وإنكاره ما ورد في تعليمهم أنزل الله تعالى قوله ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ⑰٤ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ⑰٥ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي

---

(١) الكشاف الزمخشري ج١ ص[illegible]

(٢) انظر جامع البيان [illegible] [illegible] [illegible] القرآن الطبري ج[illegible]

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢٢٦

تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿48﴾﴾ المائدة.

قال ابن عطية: «المهيمن على الشيء هو المعني بأمره الشاهد على حقائقه الحافظ لحاله ولأمره على ما ليس منه، والقرآن جعله الله مهيمناً على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرفون إليها فيصحح الحقائق ويبطل التحريف، وهذا هو شاهد ومصدق ومؤتمن وأمين»[1].

لماذا هيمن القرآن؟

- لأنه آخر الكتب؛ فكان مهيمناً لما قبله.
- لأنه كتاب مستكمل الفضل بما فيه ما حوت الصحف والأديان، وجميع ما سبق ما قبله.
- لأنه سلم من التبديل والتحريف؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظه وبيانه.
- لأنه حاكم على هذه الكتب وعلى أصحابها بالعدل وهو يخصهم بحكم أيهم ويبين ما خفي عليهم.
- لأنه جاء مصدقاً لما قبله من الكتب حاكماً وشاهداً بصدقها عليها. قال أبو السعود: «ومهيمناً عليه: أي رقيباً على سائر الكتب المحفوظة من التغيير؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات، ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها، ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها»[2].
- لأنه جاء مستقلاً، لم يحتج إلى ما قبله، بينما لا غنى بما قبله عنه، قال ابن تيمية رحمه الله: «فالقرآن مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه إلى كتاب آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن، وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب، فلهذا كان مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها، وينسخ ما نسخه الله، فيقرر الدين الحق، وهو جمهور ما فيها، ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها، والقليل الذي نسخ فيها، فإن المنسوخ قليل جداً بالنسبة إلى المحكم المقرر، والأنبياء كلهم دينهم واحد، والكتب بعضها مصدق لبعض متلازمة، وبعضهم مصدق لبعض متلازمة متوافقة»[3].
- لأنه نزل أيضاً موسوعة لمقالات الكتب السابقة: أخبار، وقصص، أحكامها وتشريعاتها أسرارها، فله الفضل على وشاهد ومهيمن على كل كتاب قبله.

---

[1] المحرر الوجيز لابن عطية 2/199 باختصار.

[2] إرشاد العقل السليم لأبي السعود 3/46.

[3] الجواب الصحيح لابن تيمية.

جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال الشيخ [illegible] رحمه الله في كتابه [illegible] وعدم التحريف دون الكتب السابقة: أن سائر الكتب السماوية جرى فيها على [illegible] التحريف لا تحفظه، وأما هذا القرآن جاء به مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان مثبتًا لما فيها من الحقائق النافعة [illegible] ومع ذلك [illegible] ولم يكن [illegible] بعد [illegible] إلى قيام الساعة [illegible] ومع التكاليف العلمية»[2].

ولذلك أكمل الكتب وأعظمها أثرًا وأنفعها، وقال ابن تيمية: «[illegible] على [illegible]»[3].

ثانيًا: القرآن يبين للناس الذي اختلف فيه أهل الكتاب أو كتموه:

جاء القرآن الكريم مبينًا كثيرًا مما أخطأ أهل الكتاب من الكتب من الحقائق والوقائع، وكشف عن كثير من المواضع التي حرفوها أو بدلوها أو أخفوها ولبسوا الحق بالباطل، كقصة الخلق، وقصة أصحاب الكهف، وقصة إبراهيم، وقصة يوسف، وقصة موسى.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝﴾ [المائدة: ١٥].

فبعد أن ساق القرآن من أخبار الماضين وأنباء من خلق وأمم لا يمكن لهم معرفتها إلا بمراجعة ولا سبيل لمعرفتها إلا بوحي من الله تعالى منزل إلى الإنسان، هذا النبي الذي جاء ليبين لهم كثيرًا مما أخفوا من الحقائق التي وردت في التوراة والإنجيل والتي أخفاها بعض الأحبار والرهبان من أتباعهم ولا يعرفونه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أخفوا آية الرجم من التوراة فبينها الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، ومن لم يأمنه الله [illegible] كثيرًا من أحكامه وحدوده، وأخفوا صفة

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

[2] القواعد الحسان، عبد الرحمن [illegible].

[3] [illegible] العلم والإيمان [illegible] القرآن [illegible].

محمد عليه الصلاة والسلام في الأصول وفي ذلك علما أخبرهم بأسرار ما في نفوسهم كان ذلك إخبارا عن الغيب تكون معجزة (١)

وقوله: ﴿[illegible]﴾ بما [illegible] بالقياس رجالا من أمة صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى [illegible] وأنه [illegible] لا [illegible] وقال [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] والقرآن [illegible] وإخبارهم بما [illegible] والسيرة وأقوال [illegible]

[illegible] القرآن بالبيان [illegible] من [illegible] لأهل الكتاب [illegible]

قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

فقد كانت الموعودة من أهل الكتاب [illegible] النبي [illegible] ولا شك أن [illegible] بعد ظهور [illegible] الرسل [illegible] إلى [illegible] لا إلى [illegible] عليه [illegible] القرآن [illegible]

وبيان القرآن الكريم يحسم الاختلاف الذي وقع فيه أهل الكتاب [illegible]

قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

فقد [illegible] عليهم بعد أن [illegible]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك [illegible] كتاب التفسير. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

النبية والرهافة، وبين طرق الهداية ويظهر بشكل الرسالات بين أهل الإيمان فإن يكشف معالم الطريق إلى الحق والخير، ويقيم لمن يهتدي به خطة محكمة للتطبيق العملي ومتابعة. فالقرآن الكريم ميزانه عدل وحق، ويفصل ما بين الحق والباطل ويحكم ما بين الخير والشر. لذا اشتمل على مؤيدات أمور الحق والخير، وما انحرف عنه أمور الباطل والضلالات. فعلى هديه يجتمع أهل الكتاب على كلمة سواء بعد ما اختلفوا فيه وبه يحكم أهل الوحي لفصل بينهم بما يرفع الخصام والشقاق فيما اختلفوا في العقائد والتشريعات(1).

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل: 76).

فنجد ما مر في تلك السورة الكريمة من القصص الحق لقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وقومها، وقصة صالح عليه السلام، وقصة لوط عليه السلام، يوضحها أورد الله في سورة من دلائل التوحيد وشواهد القدرة ومشاهد العظمة الربانية من [illegible] كتب تقر هذا الكتاب الحسن بالقول الفصل الذي يحسم الخلافات التي اختلف بنو إسرائيل في أصول الدين والشرائع، فقد انحرفوا في التوحيد وأشركوا وأتبعت النصارى في ذلك الضلالات وغير ذلك من أشكال الانحراف، ولعل أبرز الاختلافات عن العقيدة عندهم هو الكيد بأنبيائهم وحربهم لمفاهيم العقيدة بأسمائهم وتحريفهم وتعاليمهم وكتبهم وتصورهم والتوراة.

فجاء القرآن الكريم فصلاً ومحكماً عدلاً ومؤكداً للرسالة ومصححاً لأسس العقيدة وبيان الضلالات ومعيار أحكامها وإبطال مطامعهم وقد أيدها لتصبح الحقيقة التوحيد والإيمان على كلمة سواء.

ومن أمثلة الاختلافات الحاصلة في شأن عيسى عليه السلام حتى اتهموا والدته اليهود افتروا عليه بدعوى قتله وصلبه وكفروا به، والنصارى غلوا فيه وألهوه حتى جعلوه مع الله إلهاً، فانقسموا في شأنه فمنهم من قال إنه الله، ومنهم من زعم أنه ابن الله، ومن قال إنه رسوله، ولذلك لا نحصي كثرة اختلافهم في أمر البعث هل يقع بالروح والجسد أم بالروح وحدها؟!

واختلافهم في حكم الزوجين حول اختلافهم في حكم الطلاق وعدة الزوجات وغير ذلك من وجوه الاختلافات بينهم التي لا تحصى، إنه بالحق موضحها إلى أصحابها بأسمائهم وأحكامهم وكتبهم وأحكامهم

---

(1) التفسير المنير في ظلال القرآن الكريم ٣٤٩

[illegible] وتحريفهم وتصرفهم بدينهم عن الهدى [illegible] سبيل القرآن.

قال الرازي: «بين الله تعالى أن كونه مصدقاً من وجوه أحدها: أن الأقاصيص المذكورة في القرآن موافقة لما كانت مذكورة في التوراة والإنجيل مع العلم بأنه عليه الصلاة والسلام [illegible] أحداً من العلماء ولم يشتغل قط بالاستفادة والتعلم، فإذاً لا يمكن ذلك إلا من قبل الله تعالى. والمقصود [illegible] مصدقاً [illegible] ما أخبروا به [illegible] ما [illegible] مصدقاً [illegible] الأمور [illegible] والأديان [illegible]»(1)

ولهذا وجب [illegible] بالقرآن من أتباع الكتب السابقة جميعاً.

لا يسع أهل الكتاب إلا الإيمان برسالة خاتم النبيين وكتاب رب العالمين الذي جاء به [illegible] بخاتم النبيين من مقتضيات إسلامهم وهو جزء من الإيمان بما قبله من الكتب وبما فيها من بشارات، فمن أمارات إسلام أهل الكتاب بما في التوراة والإنجيل إسلامهم بخاتم النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فمن مات منهم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم كان على أصل [illegible] وبين [illegible] وأن به [illegible] حيث كانت الرسالة بالبشارة [illegible] الرسالة بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: 19)

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿85﴾﴾ (آل عمران: 85)

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(2)

ولقد حسم لنا القرآن أمر موقف أهل الكتاب [illegible] بالإسلام.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿36﴾﴾ (الرعد: 36)

حيث يعد القرآن من الكتب السماوية [illegible] والمرجعية [illegible] التي يرجع إليها من بعد الرسالة بالتوراة والإنجيل إلى دين الحق، وهو الإسلام، وكتاب الله [illegible]

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي: 3/ [illegible]

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم 153.

[illegible] الله به [illegible] المؤمنين سيما وقد وجدوا القرآن مصدقا لما بين أيديهم وأبصروا الرسول مطابقا [illegible] على مرأى [illegible] في [illegible] الأزمنة [illegible] من [illegible] على [illegible] من أرض [illegible]

ولقد كان [illegible] من [illegible] من هذه الأمثلة [illegible] من [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ولا [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال القاسمي: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

به من [illegible] ما لم يحصل لهم من [illegible] إلى حين [illegible] عليه وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام [illegible] من القرآن [illegible] التي لا تحصى(1)

ويضرب الله المثل بمن أوتي العلم من أهل الكتاب [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] من أهل الكتاب [illegible]

---

(1) محاسن التأويل، القاسمي [illegible]

[illegible] السماوية و[illegible] بكتاب الله تعالى الذي بشرت به الكتب السابقة بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥].

لقد سطر القرآن الكريم [illegible] في [illegible] من النصارى [illegible] السماوية التي [illegible] القرآن [illegible] الكلمات التي أنزلها على [illegible] في [illegible] تسري [illegible] الكلمات إلى قلوبهم [illegible] الدمع من [illegible] وإيمانًا [illegible] القرآن مع ما [illegible] من الكتب في [illegible] الهدى [illegible] لتعيش [illegible] القلوب [illegible] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

إنه إيمان [illegible] على [illegible] ويمضي إلى [illegible] بالأجر العظيم: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [illegible] ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [illegible]

[illegible]

إبراهيم عليه السلام، الإنجيل، التوراة، داود عليه السلام، عيسى عليه السلام، محمد عليه السلام، موسى عليه السلام

[illegible]

الكتمان

ملف الموضوع

مفهوم الكتمان	١٧٠
الكتمان في الاستعمال القرآني	١٧٩
الإفصاح عن الحقيقة	١٩٣
الكتمان وعلم الله تعالى	٢٥٢
نماذج للكتمان	٢٨٤
الكتمان يوم القيامة	٢٩٩
مفهوم الكتمان	٣٠٢

[illegible]

أولاً: المعنى اللغوي:

[illegible] ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible] تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] [illegible]

قال ابن فارس: [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible][2]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

[illegible][3]

[illegible] ﴿[illegible] كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: [illegible]]

[illegible] ﴿[illegible] وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

[illegible][4]

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

[illegible]

---

[1] انظر: [illegible]

[2] انظر: [illegible]

[3] انظر: [illegible]

[4] انظر: [illegible]

تطبيقات على الاستعمال القرآني

وردت مادة (كتم) في القرآن الكريم [illegible] مرة

[illegible] التي وردت في

الصيغة	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	[illegible]	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة]
الفعل المضارع	[illegible]	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر:٢٨]

ويأتي الكتمان في الاستعمال القرآني بمعنى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][٢]

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible].

(٢) انظر: [illegible] [illegible] [illegible]، المفردات، الراغب الأصفهاني، ص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

[illegible]

الإخفاء لغة:

الستر والكتمان، يقال: خفيت الشيء [illegible]، وأخفيت الشيء: [illegible] [illegible]

[illegible]

والإخفاء اصطلاحًا:

[illegible] لا يحصل [illegible] [illegible][2]

الصلة بين الكتمان والإخفاء:

إن الكتمان هو [illegible] من قوله تعالى: ﴿[illegible] مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: [illegible]] [illegible] والإخفاء [illegible] في الأشياء [illegible] [illegible] الإخفاء أعم من الكتمان[3]

السر

السر [illegible]:

ما يكتم في النفس من [illegible] خلاف الإعلان، والجمع الأسرار [illegible] [illegible] في السر قوله تعالى: ﴿[illegible] الكتاب﴾ [illegible] [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible][4]

---

[1] انظر: [illegible]

[2] انظر: المفردات، للراغب الأصفهاني ص [illegible] [illegible]

[3] انظر: الفروق اللغوية، للعسكري ص [illegible] [illegible]

[4] انظر: المفردات، للراغب الأصفهاني ص [illegible] [illegible]

السر اصطلاحاً هو:

اسم لما يكتم ويخفى في القلوب من العقائد والنيات والأقوال والأعمال ونحوها(1)

الفرق بين الكتمان والسر

إن السر أعم من الكتمان؛ لأن الكتمان يختص بالمعاني مثل الأسرار والأخبار ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible]) (2)، فقد تبين لنا أن [illegible] السابقة من الكتمان في الأسرار والسر يختص بالمعاني والأشياء؛ لأن الأصل في السر تغطية الشيء وإخفاؤه ثم استعمل في غيرهما مجازاً(3)

■ الإكنان

الإكنان لغة

الستر والتغطية والإخفاء(4) ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ (النحل: 81).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة: 235) أي: أخفيتم وأضمرتم والأكنان: جمع كن وهي الأمر المستتر في الجبال والأغطية وكل ما يحفظ ويستر من الحر والبرد وغير ذلك ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible] مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات: 49) أي: المصونة(5)

الإكنان اصطلاحاً

وقاية كل شيء وستره والكن: البيت أيضاً والجمع أكنان وأكنة ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ (النحل: 81) والكن: الشيء المستتر ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة: 235) أي: أضمرتم(6) [illegible]

---

(1) [illegible]، تاج العروس، الزبيدي، [illegible]

(2) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص [illegible]؛ الكشاف، الزمخشري، [illegible]

(3) انظر: الفروق اللغوية، العسكري، ص [illegible]

(4) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص [illegible]؛ لسان العرب، ابن منظور، [illegible]؛ الصحاح، [illegible]؛ تاج العروس، الزبيدي، [illegible]

(5) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص [illegible]؛ [illegible]

(6) [illegible]؛ لسان العرب، ابن منظور، [illegible]؛ تاج العروس، الزبيدي، [illegible]

٣ جهاراً [illegible]

الإعلان اصطلاحاً هو:

الجهر والمجاهرة، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للإعلان عن المعنى اللغوي له[1]

الصلة بين الإعلان والإظهار:

إن الإعلان يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار، لأن الإعلان أشمل منهما كما سيأتي، والإظهار يختص بالجواهر والأعراض، لأن الأصل في الإظهار ظهور الشيء بعد خفائه[2]

الجهر

الجهر لغة:

جهرت الشيء إذا كشفته، وجهرته واجتهرته: أي رأيته بلا حجاب بيني وبينه، والجهر العلانية في الصلوات، وكلام جهير وكلام جهوري[4] أي: صاحب جهر ورفيع لصوته، والجهر هو ما ظهر

والجهر أيضاً رفع الصوت، يقال جهر بالقول إذا رفع صوته به[5]

الجهر اصطلاحاً:

هو رفع الصوت بحيث يسمع نفسه ومن يليه[6]

الصلة بين الجهر والإعلان:

أن الجهر خلاف الإسرار، ويعتبر فيه [illegible] المعنى [illegible] ويرتفع الصوت به[7]

---

[1] انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]، المصباح المنير للفيومي ص [illegible]

[2] انظر: [illegible] ص [illegible]، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]، المفردات للراغب الأصفهاني ص [illegible]، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي [illegible]

[3] انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]، المصباح المنير للفيومي ص [illegible]، تاج العروس للزبيدي [illegible]

[4] أخرجه أبو داود في سننه كتاب [illegible] باب [illegible] برقم [illegible]، وأحمد في مسنده برقم [illegible]،
وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

[5] انظر: لسان العرب لابن منظور [illegible]، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص [illegible]

[6] معجم لغة الفقهاء لقلعجي ص [illegible]

[7] انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص [illegible]

شمول علمه سبحانه وتعالى

إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء كما ورد في كتابه الكريم بالنص، ويظهر موضوع الإعجاز وعلم الله تعالى في القرآن الكريم من خلال الجدول التالي:

أولاً: سعة علم الله الكامل لكل شيء.

إن علم الله واسع وكامل وشامل، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو بكل شيء عليم، والآيات الدالة على سعة علم الله بكل شيء كثيرة في كتاب الله العزيز ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه].

والواسع من صفات الله تعالى ومعناه: الذي وسع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء، وهو الكثير العطاء، والذي يسع لما يسأل، والمحيط بكل شيء، وفيه إشارة إلى علم الله تعالى بجميع المعلومات السابقة للأحداث الكونية في علمهم وتقديرهم وأفعالهم.

ومما يدل على سعة علم الله تعالى بالمعلومات الآيات التي تدل على أن الله بكل شيء عليم.

فقد بين الله تعالى أنه بكل شيء عليم ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران].

---

(1) انظر: تفسير الغيب للرازي [illegible]، وجامع البيان [illegible]، تفسير القرطبي [illegible]، التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]، روح المعاني للآلوسي [illegible]، [illegible] عبد الكريم الخطيب [illegible].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾ [الحديد: 3].

دلت الآيات أن الله بكل شيء عليم كما أكد لفظ (كل) المفيد للعموم، و﴿عَلِيمٌ﴾ مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم كائنا ما كان ظاهرا أو غير ظاهر، ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل صالحا أو فاسدا، وإنه لا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الطاعات والمعاصي والأسرار فهو سبحانه المرجو لنيل المطالب العظيمة المستحق للعبادة الذي يعلم حال العباد وما يصلحهم وما يضرهم[1].

وكذلك الآيات التي تدل على أن الله عالم بالغيب والشهادة ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (22)﴾ [الحشر: 22].

وقوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)﴾ [المؤمنون: 92].

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ⑨﴾ [الرعد: 9].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑯﴾ [الحجرات: 16].

ويترتب على أن الله بكل شيء عليم أنه يستوي في علمه السر والجهر، أن تظهر صفة المراقبة لله تعالى في السر والعلن، وذلك أن العبد إذا استحضر عظمة علم الله وسعته، وشموله لكل ما خلق الله سبحانه له، يعني [illegible] الله الذي يعلم السر وأخفى، يراقب سبحانه [illegible] من العلم الذي يتجه في عبده [illegible] ولذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: 14][2].

ومما يدل على سعة علم الله الآيات الدالة على إحاطة علم الله بكل شيء:

إن علم الله محيط بكل شيء والإحاطة بالشيء علما هي أن العلم بوجوده وجنسه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه [illegible] لا لله تعالى، ومعنى الإحاطة من الاجتماع التام والقدرة والسلطان، ولذا أرى أبين هذا المعنى في آيات في كتابه العزيز منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (126)﴾ [النساء: 126].

---

[1] انظر: روح البيان لإسماعيل حقي ٩/٣٧٣.

[2] انظر: مفهوم الأسماء والصفات، سعد عبد الرحمن ندا، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد [illegible] عام [illegible] ١٤٠١هـ، ص ٥.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: 89].

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: 80].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ⓺⓪﴾ [الإسراء: 60].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ⓹④﴾ [فصلت: 54].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

وهذه الآيات وأمثالها تدل على أن الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، والمحيط والإحاطة إثبات لعظمة الله وسعة علمه واقتدار سلطانه الذي يشمل كل شيء ويصله إلى كل شيء، ومن كان هذا شأنه فإنه منزه عن الحد والمكان، [illegible] يولي الإنسان وجهه إلى شيء أو جهة معينة سواه. وإسناد الإحاطة إلى اسم الله تعالى مجاز عقلي؛ لأن المحيط هو علم الله تعالى، فإسناد الإحاطة إلى صاحب العلم مجاز في عدم خفاء شيء من معلومات من علم الله تعالى، ويلزمه أنه مجازيهم عن أعمالهم بما يجازي به العليم القدير عن العاصي على عصيانه، والمحسن [illegible] الوعيد الشديد والترهيب [illegible] الله تعالى محيطا بجميع الأوقات والأمكنة [illegible] [illegible] الجهات منه بمنع أو تقييد[1].

وأما الآن [illegible] مما يذكر في الغيب الذي اختص الله تعالى بالغيب المطلق الذي لا يطلع عليه ولا يعلمه إلا الله تعالى، فالله المطلق سبحانه وتعالى يعلم السر وما أخفى، قال تعالى عنه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ⓶⓺ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: 26-27].

ومن هذا الغيب المطلق الساعة، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ⓺⓹﴾ [النمل: 65].

فالساعة لا يعلم وقتها إلا الله سبحانه، إلا أنه جعل لها علامات وعلامات تدل عليها وعلى قربها[2].

---

[1] انظر: التفسير [illegible] [illegible] [illegible]، المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 265، التفسير القرآني للقرآن، الخطيب [illegible]، التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]، [illegible] 223.

[2] انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، أحكام القرآن، ابن العربي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، فتح القدير.

وقد سمى الله تعالى نفسه العليم، وهو بصيغة المبالغة على وزن فعيل، وورد في القرآن الكريم اثنين وخمسين ومائة مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:].

ومن أسماء الله تعالى العالم على وزن الفاعل، وقد ورد في القرآن خمس عشرة مرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد:].

ومن أسماء الله تعالى العلام على وزن الفعّال، وهو صيغة مبالغة يدل على سعة العلم وشموله، وقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة:].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨].

والعلم صفة لله تعالى أزلية، وهو صفة من صفات الذات سبحانه، وتقتضي علمه بالظواهر والسرائر، وإحاطته بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ليعلم ما يصلح العباد وما يجري عليهم، وأن العبد إذا استشعر عظمة علم الله ومحبته وشموله التزم ما أمر الله جل وعلا به، يسعى طالبًا رضا الله الذي يعلم السر والنجوى، ويطلب من علمه أن يمده بالعلم الذي ينفعه في دينه ودنياه وآخرته.

ثانيًا: إحاطة علم الله بما يكسبه العباد.

وردت آيات في كتاب الله تعالى تبين إحاطة علم الله تعالى بما يكسبه العباد من السر والجهر، وغيرها من الأعمال، منها:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه:].

---

(١) انظر: [illegible] ٢٢

(٢) انظر: [illegible] الأسماء الحسنى [illegible]

(٣) القرآن الكريم وإعرابه، أحمد [illegible] ٣٣

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله [illegible] ﴾ [آل عمران: ٢٩].

فقد سطر الله تعالى في الآيات السابقة العباد جميعا المؤمنين والعصاة والمنافقين والكفار الذين يسترون معاصيهم وكفرهم ونفاقهم عن الناس بأنه سبحانه وتعالى مطلع على ما يسترونه من قول وفعل وكل أعمالهم فلا تخفى عليه خافية.

فالكتمان والسر والجهر والإعلان والظهور عند الله تعالى سواء لأنه يسمع السر كما يسمع الجهر ويعلم الخفي كما يعلم الظاهر ويعلم ما يجهر به من القول ويعلم ما يكتمون، وأن هذا الإنسان لن يكتموه شيئا وأنه سبحانه يعلمه لا محالة في ذلك.

قال تعالى: ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٨].

وأخبر سبحانه أنه سيحاسبهم على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴿٢٣﴾ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤].

وجميعها بصورة مطلقة على ما تصوره كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible: ٣٣].

وقد وردت آيات تبين أن الله تعالى يحيط بما يكتمه العباد بألفاظ أخرى وهي بمعنى الكتمان منها:

بلفظ السر

قوله تعالى: ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠].

والمعنى: أنه من هو مستخف بالليل في ظلمة الاختفاء ومن هو منصرف بالنهار ظاهر في وجوهه سواء في علم الله تعالى وإحاطته

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري [illegible]، المحرر الوجيز لابن عطية [illegible] ٣، أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/٢٧٤، مفاتيح الغيب للرازي [illegible].

(٢) السارب هو الظاهر البارز الذاهب حيث يشاء والمنصرف في حوائجه كما يأتي السارب بمعنى [illegible] والمستخفي من المستخفي المستتر عن الأعين الذي من خلال الستر، ويبين أن معنى السارب هو الظاهر الذي في مقابل المستخفي. انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٢٥، معاني القرآن للأخفش [illegible]، معاني القرآن للنحاس ٣/٤٨٦.

بعضها، وذهب ابن عباس ومجاهد إلى معنى مقصده: أنه المستخفي بالمعاصي والسارب [illegible] [illegible] [illegible] بالليل ويظهر بالنهار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] معنى الآية الجاهر بنطقه والمضمر في السر والظاهر في [illegible] والمستخفي في [illegible] على الله ليس [illegible] سواء[1].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ⑦﴾ [طه: 7].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: 19].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ⑩⑪⓪﴾ [الأنبياء: 110].

وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑬ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ⑭﴾ [الملك: 13-14].

وفي هذه الآيات الكريمة [illegible] بالصفة بأنه سبحانه يعلم جميع الأشياء الواقعة [illegible] وهو [illegible] في السر والعلن، [illegible] ولها [illegible] للمتقين [illegible] المرائين والفجار [illegible] لأنه [illegible] يقوم على كشف [illegible] [illegible] الإيمان والتقوى[2].

ويدل قوله تعالى على أنه مطلع على الضمائر والسرائر قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑬﴾ [الملك: 13].

أي: سواء أخفيتم كلامكم أو جهرتم به يعلم بما يخطر في القلوب وما تلفظ اللسان، لا يخفى عليه شيء من [illegible] من المعاصي سواء كانا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] بالنسبة إلى علم الله تعالى، وقدم السر على الجهر لأنه مقدم عليه [illegible] [illegible] من أمر إلا وهو [illegible] أولًا في النفس لم يجهر به، والتصابر من [illegible] والسر الذي قد يطلق منه العلم به، والآية خطاب عام لجميع الخلائق في جميع الأحوال، [illegible] ما كان يسر به [illegible] من الكلام في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما يطلق مما لا يرضي الله تعالى[3].

---

[1] انظر: جامع البيان، للطبري [illegible]، تفسير الوسيط، للواحدي [illegible]، المحرر الوجيز، لابن عطية [illegible].

[2] انظر: جامع البيان، للطبري [illegible]، تفسير الوسيط، للواحدي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible].

[3] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي [illegible]، أسباب النزول، للواحدي ص [illegible]، [illegible] [illegible].

٣- صفة الإحاطة

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٥].

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

والآيات في هذا المعنى تدل على أن الله لا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه علم شيء؛ لأنه الله خالق كل شيء، ومن يحاول غير العالم بما يخلق علم الخفي غير العالم، والعليم بجميع المعلومات عالم قديم أزلي بأنه عالم بذاته ولا شيء خفياً عنه من موجود أو ما سيوجد ولم يوجد بعد إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ مكتوب بأنه فيه ومرسوم حده ووقته والوقت الذي يوجد فيه والحال التي يأتي فيها(١)، وفي الآيات تهديد ووعيد للعصاة والمنافقين والكافرين الذين يخفون معاصيهم ونفاقهم وكفرهم بأن الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر، وأنه يحاسب عليه كما يحاسب على الظاهر(٢).

ثانياً: إظهار الله ما يكتمه العباد

إن الله تعالى يظهر ما يكتمه العباد من أعمال وتصرفات ومخالفات، وإنه يكون ذلك الإظهار في الدنيا فيفضح من يكتم الشر والمعاصي والكفر والنفاق ويظهر ذلك، وإنه يكون في الآخرة بأن يفضح الله تعالى العصاة والكفار والمنافقين على رؤوس الأشهاد يوم القيامة بالعقاب على التفصيل الآتي:

إظهار الله تعالى ما يكتمه العباد في الدنيا:

إن الله تعالى يفضح من يكتم الشر والمعاصي والكفر والنفاق ويظهر ذلك في الدنيا فيحذره الناس ويحترزون به العقاب العاجل، هذا ويدل على ذلك آيات في كتاب الله العزيز منها قوله تعالى: ﴿أَمْ

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١١/ ١٣٣، والمحرر الوجيز لابن عطية، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٣٦، تفسير الكريم الرحمن للسعدي.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١١/ ١٣٣، التسهيل لابن جزي ٢/ ١١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٢٩، الكشاف للزمخشري ٢/ ٣٣٠، مفاتيح الغيب للرازي.

[illegible] ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢] فالآية تدل على أن الله تعالى يظهر ما يكتمه العباد من الأخبار والسرائر، فقد اشتملت الآية على أن الله تعالى يظهر ما يكتمه القاتل، وكذلك [illegible] الكفار المشركة وغيرها.

وكذلك يظهر الله تعالى ما يكتمه المنافقون والكافرون من الضلال والكفر، وكذلك أصحاب الأفكار الباطلة [illegible] والمقاصد الفاسدة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٩].

فقد [illegible] الله تعالى المنافقين الذين يسرون [illegible] والمسلمين أن تنزل على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم أي بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولونه فيما بينهم ويسرونه، ويحذرون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠]

ولحن [illegible] الخطاب، لفظ عام يتناول كل ما يحتمله الإنسان [illegible] ويعرف [illegible] من معانيه بعد [illegible][2].

إظهار ما يكتمه العباد يوم القيامة:

يظهر الله تعالى ما يكتمه العباد يوم القيامة؛ لأن في ذلك اليوم تكشف السرائر، ويعرض الناس على عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى على الله تعالى من أعمال العباد وأحوالهم وأسرارهم وأسرار العباد شيء، ويدل على هذا المعنى آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق: ٩].

وقوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦].

وقوله جل شأنه: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨].

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري [illegible]، الكشاف [illegible] والسراج المنير [illegible] ٢٣٨/٣، معالم التنزيل للبغوي [illegible].

[2] انظر: جامع البيان للطبري [illegible]، الكشاف للزمخشري [illegible]، مفاتيح الغيب للرازي [illegible]، محاسن التأويل للقاسمي ٨/٥، أحكام القرآن للجصاص [illegible]، إرشاد العقل السليم لأبي السعود [illegible]، صفوة التفاسير للصابوني [illegible].

[3] انظر: جامع البيان للطبري ٢٢/[illegible]، الكشاف للزمخشري [illegible]

كما يدل على هذا المعنى آيات أخرى منها:

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ⓭﴾ (الإسراء: ١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ (الزلزلة: ٧-٨)[2].

وكذلك الغادر والمسيء، ويدخل في ما يظهره الله تعالى يوم القيامة مما يكتمه العباد، لما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»[3]، ووجه الدلالة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس فيكشف الغدر والغادر يوم القيامة علانية ويطلع عليه بصورة فيها شيء من الإعلان ويصير علما مشهورا على صاحبه بما فعل[4].

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]، معالم التنزيل، البغوي [illegible]، أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible]، تفسير [illegible] [illegible].

[1] انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]، معالم التنزيل، البغوي [illegible]، أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible]، تفسير [illegible] [illegible].

[2] انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، النكت والعيون، الماوردي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]، فتح القدير، الشوكاني [illegible]، التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]، أضواء البيان، الشنقيطي [illegible]، في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، رقم ٦١٧٧ [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم ١٧٣٥ [illegible].

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

أنواع الصمت

إنَّ من أشكال [illegible] صمت [illegible] على كلمات الإنسان وكلمات [illegible] ما هو ملحوظ ويكون الاتصال ملحوظاً في كلمات الفعل وكلمات الحركات وكلمات الجسم ويمكن بيانها في النقاط الآتية:

أولاً: الاتصال الصامت

ويكون الاتصال صامتاً في الأمور الآتية:

١- الاتصال الإيمائي.

أ) استخدام الإشارة من أجل التعبير والتفاهم معها، وفي مرحلة [illegible] على الطفل بما أشار إليه الشرع، وقد ذكر الله تعالى في معرض الحديث [illegible] من آل زكريا [illegible] لسانه وذلك في قوله تعالى: ﴿ [illegible] سَوِيًّا ⑩ ﴾ مريم: [illegible]

وكان هذا الاتصال من [illegible] حكمة [illegible] من أجل [illegible] [illegible] [illegible] وليس [illegible]

ليصل هذا الموضوع كان إيماءً واضحاً وليكون قائماً على التفاهم [illegible] الكلامي.

ويكون هذا الاتصال من أجل أن الرجل لم يكن يريد الإيحاء [illegible] بل إنه كان يريد أن يكون داعياً إلى الدعوة [illegible] إلى الالتزام بالله تعالى وحده، ولو أنه أطلق لسانه [illegible] في الدعوة [illegible] إلى أحد من [illegible] كما أن [illegible] لما استطاع الدعوة إلى كلمة [illegible] والأعداء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذا الموضوع [illegible] في سبيل [illegible][٢]

[illegible] الرجل [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible] الرجل [illegible] الله عز وجل وكان [illegible] [illegible] في [illegible] كما كان [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] لا [illegible] من [illegible]

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٣/ ٢٦.

(١) انظر: روح البيان في تفسير القرآن ٤/ ٢٢٣، التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٧/ ٢٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي [illegible]

عند فرعون، وهي قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: 28].

[illegible] الأصل أن يقاتل دون الدين لأنه من عادة المشركين قتل المسلمين والتنكيل بهم وإخراجهم من ديارهم من غير ذنب إلا أنهم يؤمنون بالله ويوحدونه، وقد ذكر الله تعالى في أصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧﴾ [البروج].

وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ㊴ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 39-40]. إلى غير ذلك من الآيات.

وكتب التفسير أيضاً على أنه إسرائيلي أو ليس من آل فرعون؟ والصحيح أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية هو من جماعة فرعون، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، ورجح أنه إسرائيلي [illegible] القرآن وصفه بأنه من آل فرعون[3] [illegible] أنه يكتم إيمانه [illegible] [illegible] في المجتمع الفرعوني، ومع هذا لم يكشف القرآن عن اسمه إلا ما يعني الأسبق في علم الرجال القيم الإنسانية في القصص؟

إلا أنه هو هنا [illegible] لا [illegible] ولم يظهر شخصه لا الأسبق للعموم أن الرجولة في الإيمان، لأنه كان هذا المؤمن في أي زمان ومن في أي مكان، وبأي اسم وبأي صفة، المهم [illegible] أنه يقال مؤمناً ليكون مثالاً واقعياً لكل مؤمن في كل زمان ومكان [illegible] على هذا الوصف في [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ولا الأشخاص [illegible] [illegible] والقيام به [illegible] في الزمان والمكان والأشخاص، وهذا هو من البلاغة القرآنية.

وهذا هو المطلوب من هذه القصة، فلا يقال إنه كان من آل فرعون وكان سبباً في

---

[1] رواه [illegible] في سننه، كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، رقم [illegible]، [illegible]، والنسائي في سننه، كتاب البيعة، فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر، رقم [illegible]، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم [illegible] 2/1329، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [illegible].

(2) انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]، التفسير [illegible] [illegible]، المحرر الوجيز لابن عطية [illegible].

(3) انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]، المحرر الوجيز لابن عطية [illegible].

ويجوز له، ولا يقال إنه كذلك أصحاب السلطة، وكذلك ما يراه ابن تيمية أن الإيمان الذي يوصف به المؤمن عرفًا لا يقال إنه الإيمان الذي يصدر في حق صاحب القلم والعلماء، إنه الرجل الذي يجب إيصاله إلى الحق ليغيره ويدفع عن أهله الأذى، فالرجل ليس من أصحاب السلطة أو السطوة، وإنما من أصحاب الإيمان الذي يدفع أهله إلى تغيير المنكر بكل ما يستطيعه، فهو أعلى درجة لا يكون في منكر ويسكت عليه[1].

ويمكن القول بأن سورة يس هذا المؤمن لا ترده إلى القصة فيه لأنه اعتبر أن الحرف الإيجابي الفردي في وقت الحاجة إليه لا بالشخص الذي صدر منه، ولأنه لو اسم هذا الشخص وصورة مركزه الاجتماعي لا يوحي بأن الأمر المنكر قد يكون مقصورًا على من هو مساوٍ له في الطبقة ومركزه الاجتماعي.

وقد ذكر الله تعالى أن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يكتم إيمانه، فقد كان هناك من الموحدين من أهل مكة من يكتم إيمانه، وقد وردت آيات تبين هذا المعنى.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥].

وكذلك لولا الذين يخفون إيمانهم هم السبب في عدم تسليط الله المؤمنين على أهل مكة، فقد ذكر الله تعالى أنه لولا وجود رجال مؤمنين ونساء مؤمنات من أهل مكة يكتمون إيمانهم ويخفونه خوفًا على أنفسهم من الكفار لرفع تسليط الله المؤمنين على الكافرين فقاتلوهم وأخذوا بعضهم، ولكن بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات لزم لا يعرفونهم حالة القتال.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ [الفتح: ٢٥].

والسر في ترك البيعة والكفارة ربما يجب المؤمن من القتل من قبل المسلم على يد أن المؤمن يعلم الكفار ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفتح: ٢٥].

أي: لو تميز بعضهم من بعض من بين أظهرهم المؤمنون وارتفع كفر بعضهم إلى الإسلام[2].

ويكون الحس الإيجابي للإيمان كان هناك بعض المستضعفين من المسلمين في مكة لم يهاجروا ولم يظهروا إسلامهم

---

[1] انظر: تفسير المراغي ٢٤/٧٧، التفسير القرآني للقرآن للخطيب ١٢/[illegible]، أضواء البيان للشنقيطي ٧/[illegible].

[2] انظر: جامع البيان للطبري ٢٦/[illegible]، أحكام القرآن لابن العربي ٢/٢٦٢٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/[illegible]، في ظلال القرآن لسيد قطب ٦/[illegible].

إلا في وسط المشركين، ولم تعرف الحروب بمناسبة المصاهرة [illegible] بينهم لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible]

حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مسلمين[1]

ولعل جمعا من المفسرين [illegible] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الممتحنة: ٧].

وآيات الممتحنة ﴿[illegible]﴾ [الممتحنة: [illegible]][2].

ويلاحظ أن الدين الإسلامي [illegible] ومصالحهم [illegible] من المصالح من أجل [illegible] لا [illegible] [illegible] على ذلك ما رواه أبو [illegible] عن [illegible] قال: [illegible] رضي الله عنه قال: [illegible]

ويجعل [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ كما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3]

ولولا أن المؤمنين [illegible] [illegible] منهم كما قال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥] قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: [illegible] [illegible] [illegible] وقيل: لو زال المؤمنون من بين أظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف [illegible] ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار[4]

وهذه الآيات تبين أن دين الإسلام هو دين العزة والكرامة [illegible] في التعامل [illegible] لا يخل بالعلاقة [illegible] ولا يرضى الإنسان أن [illegible] في هذه الأرض [illegible] وجد في مكان لا يقدر فيه على إظهار دينه [illegible] الهجرة من ذلك المكان إلى مكان يستطيع إظهار دينه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible]

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[2] انظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة.

[3] التربية القرآنية في [illegible]

[4] التفسير [illegible] [illegible]

[5] انظر: [illegible] أحكام القرآن للجصاص [illegible] أحكام القرآن لابن العربي [illegible]

من المستمعين، وكذا المغتاب يشغل وقته ووقت من يغتاب عنده [illegible] ما [illegible] به حق [illegible] والمراقبة فإنه [illegible] مع السعي في سبيل [illegible] والقرار بينه والمراقبة سبيلاً واضحة.

[illegible]

٢- كتمان السر

إن كتمان السر من الأخلاق المحمودة وقد ورد في آيات عديدة تدل على هذه الصفة في كل من الأمانة والوفاء والوقار، فمن الأمانة أن يكتم الإنسان سر أخيه الذي يؤتمن على سر ليحافظ عليه ويكون موضع الأمانة، لأن إفشاء السر خيانة محرمة.

ويكفي في تعظيم كتمان السر [illegible] من هنا كان كتمان السر ركناً من الأمانة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة»(١).

وكذلك هذا النوع ضرب من الأمانة ونوع من الوفاء ودلالة على الوقار.

وأكد [illegible] السر وأحقها بالكتمان ما يكون بين الزوجين، وقد جاء في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(٢).

ومن كتمان السر المحمود أن يكتم الإنسان ما يحصل معه من مصائب من [illegible] فالستر واجب على المسلم في خاصة نفسه إذا [illegible] وكما يجب عليه ذلك في حق نفسه فإنه يجب عليه في حق غيره.

أما يروى من ذلك عن زيد بن أسلم أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتي بسوط مكسور فقال: فوق هذا، فأتي بسوط

انظر: تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ص [illegible]

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في نقل الحديث ٤/٢٦٧ رقم ٤٨٦٨، والترمذي في سننه أبواب البر والصلة باب ما جاء أن المجالس أمانة ٤/٣٤١ رقم ١٩٥٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وحسنه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ٣/[illegible]

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة رقم ١٤٣٧.

بجديد لم تقطع ثمرته، فقال: بين هذين، فأتي بسوط قد ركب به ولان، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد، ثم قال: «يا أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»(١).

والحديث: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٢).

وهذا النوع من الإفصاح من المحرم [illegible](٣).

ومن شروطه أن يحافظ المسلم على سر أخيه وكتمه وإلا كان مفشياً له، من حق المسلم على المسلم أن يكتم عنه ما يكون قد وصل إليه من سره، خاصة إذا كان قد عهد له بحفظ هذا السر وعدم إفشائه، ومن هنا كان إفشاء السر نوعاً من خيانته [illegible].

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

ثانياً: الإفصاح المحرم

يكون الإفصاح محرماً في الحالات الآتية:

١- الإفصاح الكاذب

نهى الله تعالى عن الإفصاح الكاذب الذي هو سبيل الغش وتضليلهم في الصراط المستقيم الواجب بيان الحق وعدم المغالطة، ومن ذلك أنه يجب على العالم إذا رأى الناس على باطل أو منكرات أو شرك أنه لا يسكت بل يجب عليه أن يبين ولا يترك الناس يغرقون في عبادة القبور وعبادة الأشخاص [illegible] ويسكت.

وقد ورد في هذا المعنى آيات في كتاب الله العزيز منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا، رقم [illegible]، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، [illegible] (٤/ ٣٨٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨٠) [illegible].

(٣) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم [illegible].

(١) انظر: التفسير الميسر، مجموعة مؤلفين [illegible].

والقيم مطلب أيضًا ۝﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٨٧].

استدل العلماء بهذه الآيات على وجوب تبليغ العلم وبيان العلم على العلماء، والآية تشمل من كان عالمًا بأحد الأحكام مطلقًا، وإذا لم يتصدر لم يلزمه التبليغ إلا إذا عرف أن عنده غيره، ولكنك إذا كان هناك من يطلع الناس به وإذا تعين عليه أرشد.

إن هذا الكتمان من الكبائر لأنه تعالى أوجب به اللعنة، ولأن ما يتصل بالدين ويحتاج إليه المكلف لا يجوز أن يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته ويلحق من الشقاوة والعقوبات الثقيلة التي لا يدرك كنهها.

لكن يشترط لذلك شرطين:

أولًا: أن لا يخشى العالم على نفسه.

ثانيًا: أن يكون متعينًا عليه الأمر، فإن كان لا يوجد غيره أو عين للتعليم بحسب السلطة وإلا لم يحرم عليه[١].

والوارد في بيان العلم وإن لم يكن فيها ذكر الوعيد الشديد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] إذا كان هذا وعيدًا إلى الكاتمين أحكام الله مما يتعلق بها من طاعته، وهذا الإظهار فرض على الكفاية، لأنه إذا أظهر البعض حصل بحيث يمكن كل أحد من الرجوع إليه بوجه التوصل متى شاء، وإذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين إظهاره مرة أخرى[٢].

وكتمان ما أنزل الله تعالى يكون بإخفاء ما أنزله، وعدم ذكره للناس، وإزالته عن موضعه ووضعه في غير موضعه كما يكون تحريفه بالتأويل الفاسد عن معناه الصحيح جريًا مع الأهواء، وإنه فعل أهل الكتاب ولا سيما اليهود، كل ذلك فقد كانوا يحرفون مما بين أيديهم من آيات في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكتموها كما أخفوا الشريعة حسدًا له على ما آتاه الله من فضله كما أنهم حرفوا أحكام الله وأولوه تأويلًا حسبما تهوى أهواؤهم.

والآية وإن كانت نزلت على سبب خاص يعم الحكم إلا أنها عامة تشمل كل من كتم آيات الله، لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ لـ

---

[١] انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧، مفاتيح الغيب للرازي ٤/١٣٩، غرائب القرآن للنيسابوري ٢/١٢٠، روح المعاني للألوسي ٢/٢٨، التفسير الوسيط للطنطاوي ١/٢٨٥.

[٢] انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧، مفاتيح الغيب للرازي ٤/١٣٩، غرائب القرآن للنيسابوري ٢/١٢٠، روح المعاني للألوسي ٢/٢٨.

(ما) اسم موصول بمعنى الذي وهي تفيد العموم[1]

كما قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ فالمراد كل ما أنزله على الأنبياء كتبا ووحيا من أدلة العقلية، وقوله تعالى: ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ يدخل فيه الدلائل النقلية والعقلية؛ لأن اليهود حرموا من الدلائل، [illegible] الآية تدل على أن من أمكنه بيان أصول الدين بالدلائل العقلية التي كان محتاجا إليها ثم تركها أو كتم شيئا من أحكام الشرع مع شدة الحاجة إليه فقد لحقه الوعيد العظيم[2].

٢- كتمان الشهادة:

نهى الله تعالى عن كتمان الشهادة لأن كتمانها من أكبر الكبائر، وهي تعدل شهادة الزور؛ لأن الحق يبنى عليها لا يثبت بدونها ويترتب على ذلك ضياع حق من له الحق، والدليل على هذا المعنى آيات في كتاب الله العزيز، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

أوجب الإسلام إظهار الشهادة وحرم كتمانها لأن دين الإسلام دين العدل لا يقبل الظلم ولا يرضيه لأحد أيا من كان مؤمنا أو كافرا، عدوا أو صديقا، قريبا أو بعيدا؛ لأن بالشهادة تعرف الحقوق لأصحابها [illegible] لديه فإنه إذا كتم الشاهد ولم يقم الشهادة ضاع حق المشهود له، وقد توعد الله من كتم الشهادة وتركها أو حرفها وغيرها وأخفاها [illegible] فيها فإنه مرتكب حراما [illegible] الله تعالى خبير بحقه وأعماله [illegible] ويجازيه على ذلك بما يستحقه.

وأيضا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قال المفسرون: يجب إظهار الشهادة [illegible] لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن

---

[1] انظر: أحكام القرآن لابن العربي ([illegible])، مفاتيح الغيب الرازي ([illegible])، غرائب القرآن النيسابوري ([illegible])، روح المعاني الآلوسي ([illegible]).

[2] انظر: مفاتيح الغيب الرازي ([illegible])، البحر المحيط لأبي حيان ([illegible])، محاسن التأويل القاسمي ([illegible]).

تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴿٢٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٣]

وكتمان الشهادة فيه ضرر كبير على العدالة وإهدار لحقوقها، وفي مقابل شهادة الزور الجريمة النكراء والعاقبة الكبرى التي تعدل الإشراك بالله، والتي تهدم في أثرها بيوتاً وأسراً، وأزهقت أرواحاً بريئة، وانتهكت أعراضاً وأهدرت حقوقاً، وأسندت لغير أهلها في ساحة إلا وسادت فيها الفوضى وتمكنت فيها الأهواء، لذا وغيره من الأسباب الخطيرة حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها بقوله: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقال النبي: ألا وقول الزور، كذا حتى فجلس ثم قال: ألا وشهادة الزور وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمانها كذلك، ويصح أن الرجل قد يشهد الشهادة المزورة ويأتي من الكتمان لا يكون إلا عند الضرورة إلى الشهادة لإحياء الحق أو منع الخوف من إزالة الحق، لما كان الأمر حينئذ للوجوب عند عامة المفسرين. وقال ابن عباس: على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد، ويخبر حيثما استخبر، قال: ولا تقل أخبر بها عند الأمير، بل أخبره بها لعله يرجع ويرعوي.

وقوله تعالى: ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ استعارة، أي: لا أسند الكتم ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ﴾ أي: مرتكب، ويرتكب جنب ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ أي: كتمها من الشاهد الأعظم أي من جملة ذنوبه ومن يستحق عليها مع علمه بأن الكتمان لأنه العالم بالسر، ويحتمل أن يريد بذلك الإثم لأجل الكتب بأنه يستحق أن ذلك الإثم لا الكذب فيها، ولا لا تحل إلا على الشاهد الإثم لأجله لظهوره التسمية وتكميم لوجه الشهادة بل باستحقاقه لما هو متعلق الإثم، وهو أشد في الكتب منه العصر على صورة الكتب القلب لا أسند الظالم منه ويحتمل أنه المراد أنه المسلمين لو كتم على الشهادة لم يكن أسند الكاتم منهم[3].

وقال المفسرون: فظاهر قوله تعالى على كتمان الشهادة نوعاً من الوعيد لم يأت في

---

[1] انظر: التفسير الوسيط للواحدي ١/...، تفسير السمعاني ١/٢٨٣، معالم التنزيل للبغوي ١/٣٥٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٧٢٤.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم (٢٦٥٤) ٣/١٧٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، رقم (٨٧).

[3] انظر: تفسير السمعاني ١/٢٨٤، التفسير الوسيط لابن عطية ١/٣٨٤، تفسير الراغب الأصفهاني ١/٥٩٩، تفسير الثعلبي ٧/١٢٣، الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ٢/٣٢٢.

سائر الأعضاء، وهو إثم القلب، ويقال: إثم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلبا جعله منافقا وطبع عليه، نعوذ بالله من ذلك(١٥).

وإضافة الإثم إلى القلب الذي هو أشرف الأعضاء التي يعرفها في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ تأكيد في الإثم؛ لأن القلب محل اكتساب الإثم والأجر، ولأن الفعل الذي يقع بها إنما هو لما عرف أن إسناد الفعل إلى محله أقوى من الإسناد إلى كله.

ولأنه هو محل الكتمان فهو محل المعصية، وبفسادها فساد، وبفساده سائر المعاصي التي تتصل بالأعضاء الظاهرة، فإنها إنما كانت مسببة عن معصية القلب، وهو المتصل بالنص الذي هو ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١٦).

وهذه من صفات المؤمنين التي مدح الله تعالى كتمانها، والتي توجب إقامة الشهادة والقيام بها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق ٢]. أي: أدوها ابتغاء وجه الله تعالى صحيحة عادلة خالية من التحريف والتبديل والكتمان.

وقد نهى الله تعالى الشهداء عن الامتناع من تحمل الشهادة إذا دعوا إلى ذلك، وكذا إذا دعوا إلى إقامة الشهادة وأدائها، بل عليهم الإجابة إذا تعينت عليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة ٢٨٢].

وتحمل الشهادة فرض كفاية على الصحيح، وكذا أداؤها فرض كفاية كما هو مذهب جمهور العلماء، وقد ثبت من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء، هو الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها»(١٧)(١٨).

---

[١٥] انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١/[illegible]، المحرر الوجيز، ابن عطية [illegible]، تفسير الراغب الأصفهاني [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

[١٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم ٥٢، ١/٢٠، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم ١٥٩٩، ٣/١٢١٩.

[١٧] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب بيان خير الشهود، رقم ١٧١٩، ٣/١٣٤٤.

[١٨] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، التفسير الوسيط، الواحدي [illegible]، تفسير السمعاني [illegible]، فتح القدير، الشوكاني [illegible]، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن

وفي الجوار السيئة والقيام بما سن عليها أن عند الصحابة فيها حكم عظيمة ومصالح عديدة تدل على أن الفاظ لو اشتهرا بإيذاء فيه المفاسد [illegible] مع صلاح يجب الاشتغال على [illegible] والمحاسبة بما يؤدي إلى سقوط التحريف وقطع المساعرات والمعاملات والقائم أمر المجتمع والسعادة في الدارين والتي هي مرة كل إنسان (١)

٢- كتمان الحق

نعى الله تعالى على اليهود من أعمالهم الخبيثة من الإفتراء والإضلال ولبس الحق بالباطل بما بين من [illegible] وكتمانهم الحق الذي يعرفونه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي نزل عليه وبقايدهم الباطل وإخفاء الدلائل والبينات وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتاب الله العزيز منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (البقرة: ٤٢).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ (البقرة: ١٤٦).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ (آل عمران: ٧١).

فقد نعى الله تعالى في هذه الآيات بعض الأعمال الخبيثة التي اتسم بها طائفة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد كانوا يريدون التضليل للناس، وتحريف الكتاب، ولبس الحق(٣) بالباطل، وكتمان الحق وإخفاءه عن الناس.

كل ذلك عن الحسد وحب [illegible] المسند وإتباع الأهواء ورغبة للسلطة ذلك المنافس لا يريد منافسه والمنافس لا يحتمله والسلطة لا يرضيه إلا بزوال النعمة عن المحسود ونسبة هذا الكتمان وهذه الأعمال الخبيثة إلى الكل منهم فإنهم لم يكونوا كلهم كذلك فإن منهم من اعترف بالحق وآمن وأسلم كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود وأحبارهم وتميم الداري رضي الله عنه من علماء النصارى.

ومنهم من كان يكتمه عن جهل ولم يعلم به الجاهل أن يتبعه وهذا من هذا حكم القرآن على الأمم بالعدل وإن كثرت أساليبهم الخبيثة في كتمان الحق وإخفاءه ولهم في

---

(١) تفسير المراغي ج٢ ص٢٣٣

(٢) انظر تفسير الشيخ المراغي ٣/١٦٨، تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦٢

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٣/..

[illegible] قوله تعالى:

الأول: [illegible] على أنه كتاب الحق، [illegible] حق لا يأتيه [illegible] المشار إليها بقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (آل عمران: ٣).

ومن أعظم ما كتمه أهل الكتاب هو ما وجدوه في كتبهم من صفات محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفونه في كتبهم كما يعرفون أبناءهم ولكنهم [illegible] من ذلك قوله تعالى:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: [illegible]).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: [illegible]).

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: [illegible]).

وقد كتم أهل الكتاب وحرفوا من أحكام

[illegible]

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

ومن الأحكام التي أخفتها اليهود حكم رجم الزاني المحصن، فقد جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة زنيا، فقال لهم: [illegible] ذلك: نحممهما ونضربهما، فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها شيئًا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة[1].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] رقم [illegible].

[2] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

والثالثة: طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يميز أحدهما من الآخر، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١].

فبنو إسرائيل يخلطون الحق بالباطل بحيث لا يتميز الحق من الباطل، وقد سجل القرآن الكريم هذا الجرم عليهم.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [آل عمران: ٧١].

وفي الحق والباطل أربعة أقوال(١):

أحدها: أن الحق إقرارهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، والباطل كتمانهم بعض أمره.

والثاني: الحق إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم غدوة، والباطل كفرهم به عشية.

والثالث: الحق التوراة، والباطل ما كتبوه فيها بأيديهم.

والرابع: الحق الإسلام، والباطل اليهودية والنصرانية.

قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ قال قتادة: كتموا الإسلام وكتموا محمدا صلى الله عليه وسلم(٢).

ومن أبلغ اللبس والتلبيس في الماضي [illegible] ما فعله الكهنة والأحبار في التوراة التي بأيديهم أن هارون صلى الله عليه وسلم هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل واشترك معهم في صناعة العجل الذهبي [illegible] على عبادته من دون الله تعالى، وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحق مع الباطل حمل الحق [illegible] [illegible] [illegible] عليه السلام [illegible] بما لم يجد [illegible] [illegible](٣)، ولبس الحق بالباطل [illegible] وكل هو [illegible] والأحكام(٤).

وإذا كان أهل الكتاب يحرفون الكلام

البحر المحيط، أبو حيان ج١/ ص[illegible]؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٣؛ التفسير الوسيط، طنطاوي ج١/ ص[illegible].

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ج١/ ص٢٧٣؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible] ص٩١.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان [illegible] [illegible] بما لم يرو [illegible] من التفسير رقم [illegible] ج٣/ ص[illegible].

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ج٨/ ص[illegible]؛ البحر المحيط، أبو حيان ج٣/ ص[illegible]؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور ج٣/ ص[illegible]؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].

عن مواضعه، وهو نوع من [illegible] الذي [illegible] بنو إسرائيل، وقد [illegible] الله تعالى على أهل الكتاب هذا النوع من التحريف فقال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ [البقرة ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿[illegible] تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة [illegible]].

٤- كتمان الحق

ورد كتمان الحق في قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٤١﴾﴾ [البقرة ٤١].

[illegible] الله تعالى في هذه الآية [illegible] من الناس [illegible] الذين من [illegible] أنهم [illegible] الحق بالباطل [illegible] إلى ما [illegible] فيه من الجدل الذي هو أكثر [illegible] عن الحق [illegible] الناس بالباطل [illegible] الحق [illegible] الأهواء [illegible] الله الذي [illegible] علمهم [illegible] أم [illegible] من أمر الله عليهم.

فالباطل [illegible] الله عليه لا [illegible] عليه [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] [illegible] والأحبار مع [illegible] مع [illegible] ولهذا [illegible] الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [illegible] الحق والباطل [illegible] الله عليه [illegible] ثم إن هذا [illegible] على [illegible] الناس [illegible] من الله تعالى، ولا [illegible] وهذا [illegible] قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

والمراد بهذه الآية في قول ابن عباس وغيره: اليهود [illegible] بين الأحبار [illegible] بالحق والباطل [illegible] ما أنزل الله من [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible]

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]؛ تفسير [illegible]؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].

بالله تعالى، وقيل: المراد المتقون الذين كانوا يتعلمون ويعلمون الناس، وقيل: المراد الموصوفون بقوله تعالى: ﴿[illegible] [illegible]﴾ [illegible] من الرجال والنساء يرجع على هذا أن المخاطبين [illegible] الله [illegible] إلا في المؤمنين [illegible] أجمعوا أنه الموصوف إلى من [illegible] الله لا [illegible] من فيه المخالفة المطلقة من الإسلام [illegible] من المؤمنين، وأما الكافرون فإنه لعله لم [illegible] للفعل لرده المؤمنين من قوله الكافرين، ولذلك جعل الأول عدم الصحبة والثاني عليه [illegible](٢)

ولا يخفى أن لفظ أوسع من لفظه الأمر شمولاً، ولكن العبرة بالعموم لا بالخصوص كما هو مقرر عند علماء الأصول، ومما يدل على هذا أن لفظ (أولي) اسم موصول يفيد العموم فيدخل في الآية كل من اتصف بهذه الأوصاف [illegible] في قوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي: أصحاب [illegible] العلم، [illegible] العلماء [illegible] من

هلا قال: [illegible] الله تعالى ومن [illegible] الله عليه [illegible] كما أكمل [illegible] بالعقل والأخلاق ويجوز حمل [illegible] على ظاهره وذلك [illegible] المقام الطويل لأن طلب العلم [illegible] واجب [illegible] والعمل(١)

قال الإمام ابن كثير: المراد حمل بعض السلف عليه الآية على [illegible] بالظاهر العلم الذي [illegible] من صفة التي صلى الله عليه وسلم [illegible].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولم [illegible] الآية [illegible] أن الرسول في [illegible] إلى الله بطريق الأولى [illegible] سياق الكلام في الإطلاق على الأقارب [illegible] وكذلك الآية التي [illegible] وهي قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ النساء ٨٣.

[illegible] الطيبين وهم العلماء(٢)

قال أبو بكر الجصاص: [illegible] الله تعالى [illegible] ولعل الأمر إنما هو من [illegible] اسم الله تعالى

---

(١) انظر: [illegible] لابن عاشور [illegible]، روح المعاني للألوسي [illegible]

(٢) انظر: [illegible] [illegible] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

[illegible] في بيان الأحكام [illegible]، [illegible] لابن عطية [illegible]، [illegible] الرازي [illegible]، [illegible] القرآن [illegible]، [illegible] أحكام القرآن [illegible]، [illegible] أحكام القرآن للجصاص [illegible]

وكمالها ويسعدها، وهذا يدل على أنه يجوز للإنسان أن يتحدث بنعم الله عليه لا على جهة الفخر بل على جهة الاعتراف بالنعمة والشكر للمنعم ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪﴾ [الضحى: 11] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، يعني بنعم الله عليه وإبانة أنه ليس إخباراً بها على وجه الافتخار(1)

ويجوز أن يكون الإخبار بالنعمة عند من يخشى [illegible] حسداً [illegible] على [illegible] قال الله عز وجل في سورة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ④ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ⑤﴾ [يوسف: 4-5]

فالشمس والقمر أبويه والكواكب الأحد عشر إخوته الأحد عشر وهم يحقدون عليه [illegible] ولذلك خاف عليه [illegible] الإخوة الذين [illegible] لما [illegible] عليه بالنعمة(2)

[illegible]

أن الله تعالى يكشف للكفار حسرتهم مما ورد من أهوال الموقف يوم القيامة وما يحصل لهم من الخزي والفضيحة والعذاب تمنوا أن يكونوا سووا بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ④① يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ④②﴾ [النساء: 41-42]

وقد فسرت الآية أن الذين كفروا وعصوا الرسول يحترقون بحسرتهم ما فعلوه ولا يكتمون [illegible] حيث تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يوم [illegible] الله [illegible] ويعلمون أن الله هو الحق المبين(1)

ويكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ أن ما صدر منهم عند الله لا يقدرون على كتمانه والحق يودون لو أن الأرض سويت بهم وأنهم لم يكتموا الله

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، برقم [illegible]

(2) انظر: أحكام القرآن للجصاص [illegible]

(3) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية [illegible]، مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

(1) انظر: معالم التنزيل للبغوي [illegible]، الكشاف للزمخشري [illegible]، المحرر الوجيز لابن عطية [illegible]، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]، تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]، تفسير الكريم الرحمن للسعدي [illegible]

سبحانه لا غير كما يزعم

وما يرد من أن الكفار يكتمون كفرهم ويجحدونه كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]

فإن ذلك يكون في بعض مواقف القيامة حين يظنون أن جحودهم ينجيهم من عذاب الله ثم عن قريب تنطق وتشهد عليهم جوارحهم حينئذ يتجلى الأمر ولا يبقى للكتمان موضع ولا [illegible] ولا [illegible][1]

قال الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ يعني الكفار [illegible] أنهم [illegible] ترابا [illegible] ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ بين في موضع آخر أن عدم الكتم المذكور هنا إنما هو باعتبار إخبار أيديهم وأرجلهم بكل ما عملوا عند الختم على أفواههم إذا أنكروا شركهم ومعاصيهم وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ مع قوله تعالى عنهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله تعالى عنهم أيضا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨]، وقوله عنهم: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤]، للوجه الذي ذكرنا والعلم عند الله تعالى)[3]

قال سيد قطب: (يومئذ الكافرون [illegible] المتكبرون الباطرون المبطرون [illegible] الملاحدة المراؤون الذين لم [illegible] وجه الله هؤلاء هم [illegible] من خلال العصور [illegible] في الساحات [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] هؤلاء هم بكل ما [illegible] بكل ما كفروا وبما [illegible] بكل ما [illegible] بكل ما [illegible] ويظلم [illegible] بكل ما جاءوا [illegible] هؤلاء هم في حضرة [illegible] الذي كفروا به [illegible] التي [illegible] في اليوم الآخر الذي لم يحسبوا له [illegible] في مواجهة الرسول الذي عصوه [illegible] إنها المواجهة [illegible] والخجل [illegible] مع الاعتراف حيث لا جدوى من الإنكار)[4]

---

[1] انظر: معالم التنزيل، البغوي [illegible] [illegible] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible] [illegible]

[2] انظر: المصدر السابق.

[3] انظر: أضواء البيان.

[4] انظر: في ظلال القرآن ٢/٦٦٣.

عاقبة التشهير

أولاً: عاقبة الكشف المتعمد

إن كشف ستر المسلم عاقبته سيئة سواء في الدنيا أو في الآخرة، ومن أهم عواقب كشف الستر ما يلي:

1- كشف الأسرار من الذنوب والعيوب والمعايب والتتبع للأعراض والعورات، وتجرؤ [illegible] على الخطأ [illegible] وربما المعصية والسكر وغيرها من [illegible] والمنكرات التي [illegible] عن إشاعة الأسرار والإعلان بها وفي ذلك الظهور المعاكس [illegible] التي أرسى بها النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] المجتمعات على [illegible] [illegible] فإن كل أمتي معافى[2][3].

2- من كتم ذنب يستر عن الناس [illegible] بصورة كشف عن الحياء والصلاة والمحاسبة الذاتية، وإذا كان هذا موجب العبد سقطت عنه عقوبتها في الدنيا يستره الله في الآخرة[3]، كما رواه صفوان بن محرز أن رجلاً سأل ابن عمر رضي الله عنه: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال: يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم[4]، وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه[5]. فالذي يتتبع من يكتم ذنبه ويستره فإنه ستر الله [illegible] ستر المؤمن على نفسه الذي [illegible] الذنوب المعصية والمجاهرة بها أكثر

---

[1] أخرجه البخاري في الصحيح [illegible] الأدب رقم [illegible] [illegible] وانظر البخاري في كتاب الإيمان رقم [illegible]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم [illegible].

[2] انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ٣٠.

[3] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ج١ ص٣٢٣.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم [illegible].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب [illegible] رقم ٢٩٩٠.

ربه عليه بستره ومن فضحه افتضح، والستر سنة من سنن الناس من الله عليه بستره إياها.

3. من كتم عيب أخيه يستره عليه ولم يظهره الله، فأمر بستره في الدنيا والآخرة، الستر في الدنيا بأن لا يكون زلة يكثر الكلام فيها عليه، وفي الآخرة أن لا يطلع الله عليها أحداً يستره في الآخرة بالمغفرة للذنوب وعدم إظهار قبائحه ولو بالقول[2]، وذلك لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[3].

4. المحافظة على السر بين الزوجين يعتبر من الأسباب الرئيسة في ديمومة الحياة الزوجية واستقرارها، ومنع الأضرار الناجمة على الفرد والمجتمع والأسرة الناجمة من إفشاء الأسرار الاجتماعية، وقد عظم القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾ [التحريم: 3-5].

5. تعد الأسرار من أهم العوامل التي تساعد على تماسك المجتمع المسلم، وتعمل على تقوية العلاقات الاجتماعية، وتزيل عرى المحبة بين الإنسان ومن يكتم عليه سره، فقد يرى المسلم من إفشاء الأسرار، لأن المجالس تعقد بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، فيجب على المجالس أن يحفظ أسرارها، ولا يحل له أن يفشي عن إخوانه ما لا يجوز أن يطلع عليه غيره، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة»[1].

انظر: فتح الباري، ابن حجر، (٥/ ٩٧).

[2] انظر: سبل السلام، الصنعاني، (٤/ ٢٢٣).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم (٢٤٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨٠).

[1] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء أن المجالس أمانة، رقم (١٩٥٩)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، رقم (٤٨٦٨)، (٤/ ٢٦٧)، والحديث حسنه الترمذي، والألباني في

[illegible] في [illegible] الكتمان [illegible] [illegible] والأخلاق في الدنيا والآخرة [illegible] الكتمان [illegible] من [illegible] [illegible] الأخلاقية والاجتماعية الإسلامية الأصيلة.

أثر السر أو إفشاء السر على الفرد والمجتمع)

ثانياً: عاقبة الكتمان المذموم

ويمكن ملاحظة واستخراج عاقبة الكتمان المذموم من الآيات الواردة في الكتمان المذموم على النحو الآتي:

1- العذاب الأليم في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴿١٧٤﴾﴾ (البقرة: ١٧٤).

2- استحقاق اللعنة كما قال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة: ١٥٩).

3- عاقبة الكتمان المذموم هي عاقبة الظالمين، كما قال تعالى: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ (البقرة: [illegible]).

4- عاقبة الكتمان المذموم هو [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible]).

5- أن عاقبة الكتمان المذموم هو الكفر كما قال تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴿٣٧﴾﴾ (النساء: ٣٧).

6- أن عاقبة الكتمان المذموم هو الذم والاحتقار والإبعاد يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴿١٨٧﴾﴾ (آل عمران: ١٨٧).

7- أن عاقبة الكتمان المذموم هو تمني الهلاك والفناء قال جل علاه: ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ﴿٤٢﴾﴾ (النساء: ٤٢).

[illegible]

[illegible]

صحيح البخاري، رقم [illegible]

الكذب

عناصر الموضوع

مفهوم الكذب ٢٠٦

الكذب في الاستعمال القرآني ٢٠٧

[illegible] ٢٠٨

[illegible] من الكذب ٢١٢

[illegible] الكذب ومعالجته ٢١٨

[illegible] ٢٢٣

[illegible]

مفهوم الكذب

أولا: المعنى اللغوي:

مادة الكذب: الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق، وتلخيصه أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق. كذب يكذب كذبا، وكذبت فلانا: نسبته إلى الكذب، وأكذبته: وجدته كاذبا. ورجل كذاب وكذوب، والكذب نفسه، وأكذبها يسمى اسم له الكذب[1].

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه سواء بالقول أو بالإشارة أو بالسكوت عنها[2]. وقال الكفوي: الكذب كل خبر مخبره على خلاف ما أخبر به فهو كذب[3].

ولما كان الصدق والكذب مما توصف به الأقوال فإن كل قول خبري إما أن تكون دلالته مطابقة، وإما ألا تكون دلالته كاذبة، فالصادق ما وافق الحقيقة، والكاذب ما خالف الحقيقة، وكذلك الحركات الجسمية الدالة كالإشارات باليد والعين والحاجب والرأس، من الممكن أن تكون دلالتها مطابقة للحقيقة والواقع أو غير مطابقة، لأن إشارة اليد تقوم مقام القول في دلالتها[4].

---

[1] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٥/١٦٧، الصحاح للجوهري ١/٢١٨.

[2] التعريفات، ص١٨٤، والكليات لأبي البقاء الكفوي ص٧٦٥.

[3] الكليات ص ٧.

[4] انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ١/.

الكذب في الاستعمال القرآني

وردت مادة (كذب) في القرآن الكريم ([illegible]) مرة

الصيغ التي وردت فيها:

الصيغة	العدد	الشاهد
الفعل الماضي	١٢٣	﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ [illegible]﴾ [الأنعام: [illegible]]
الفعل المضارع	٩	﴿[illegible] بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ⑩﴾ [البقرة: ١٠]
المصدر	٦٦	﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]
اسم الفاعل	٣٦	﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ [المنافقون: ١]
صيغة المبالغة	٥	﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ㉕ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ㉖﴾ [القمر: ٢٥-٢٦]
اسم المفعول	١	﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65)﴾ [هود: ٦٥]

ويرد الكذب في القرآن بمعناه اللغوي وهو الإخبار بالأمر على غير ما هو عليه [illegible] [illegible] ولا يكون بالقصد الأول إلا في الخبر، ويكون أيضًا في غيره [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وخلاف [illegible] [illegible] من لوازم الكذب.[2]

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (كذب)، [illegible] المعجم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ألفاظ ذات صلة

الزور

الزور لغة:

قال ابن فارس: الزاء والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول. من ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريقة الحق. ويقال: زوّر فلانٌ الشيء تزويرًا. حتى يقولوا: تزوير الشيء في الصدر: مثله؛ لأنه يعدل به عن طريقة تكون أقرب إلى قبول السامع[1]

الزور اصطلاحًا:

هو تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به[2]

الصلة بين الزور والكذب:

أن الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، سواء بالقول أو بالإشارة، أما الزور فهو الكذب الذي قد سوّي وحسّن في الظاهر ليحسب السامع أنه صدق[3]

الافتراء

الافتراء لغة:

الفرية: الكذب، فرى كذبًا فريًا، وافتراه: اختلقه، ورجل فريّ ومفرًى، وإنه لقبيح الفرية[4]

الافتراء اصطلاحًا:

هو اختراع قضية لا أصل لها، أي: هو أخص من الكذب[5]

الصلة بين الكذب والافتراء:

الكذب: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، سواء بالقول أو بالإشارة. والافتراء أخص منه؛ لأنه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، وأيضًا قد يحسن الكذب في بعض الأحيان بخلاف الافتراء[6]

---

[1] مقاييس اللغة ٣/٣٦.

[2] جامع البيان ١٩/٣١٤.

[3] الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص ٣٤.

[4] انظر: لسان العرب، لابن منظور ١٥/[illegible].

[5] انظر: معجم مقاليد العلوم، للسيوطي ص ١٠٣، الكليات، لأبي البقاء الكفوي ص ١٤٤.

[6] انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص [illegible].

الإفك

الإفك لغةً:

كلمة تدل (أفك) على قلب الشيء وصرفه عن جهته، ويقال للكذب: إفك لأنه مأفوك عن جهته(1)

الإفك اصطلاحًا:

أعظم الكذب، وكل شيء في القرآن إفك فهو كذب(2)

الفرق بين الكذب والإفك:

أنَّ الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، سواء بالقول أو بالإشارة، والإفك هو الكذب الفاحش القبيح مثل: الكذب على الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو على القرآن، ومنه إفك أهل المدينة على المحصنة، وغير ذلك مما يفحش قبحه(3)

البهتان

البهتان لغةً:

مشتق من بهت الرجل يبهته بهتًا وبهتانًا، أي: قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهوت، والبهتان: الافتراء(4)

البهتان اصطلاحًا:

هو الافتراء على الغير، ويعني: الخبر المكذوب الذي لا شبهة للكاذب فيه، لأنه يبهت من يقال فيه(5)

وقيل: هو كذب يبهت سامعه ويدهشه ويحيره لفظاعته، وقال أبو البقاء: سمي به لأنه يبهت أي: يسكت لتخيل صحته ثم ينكشف عند التأمل(6)

الفرق بين الكذب والبهتان:

أنَّ الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، سواء بالقول أو بالإشارة، أما البهتان فهو مواجهة الإنسان بما لم يفعله وعلى وجه المكابرة(7)

---

(1) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٢١

(2) انظر: الكليات للكفوي ص ٣٣

(3) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص [illegible]

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(5) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٨/٢١٨

(6) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص [illegible]، الكليات للكفوي ص ٢٣٩

(7) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص [illegible]

التفكر من القلب

عبر القرآن الكريم عن القلب حيث ورد بأوصاف تصدق على معاني العقل ومنها ما سنتناوله فيما يأتي:

أولاً: التلازم بين القلب والعقل والتفقه والاستدلال

التلازم بين القلب والعقل

أورد سبحانه وتعالى عن القلب والعقل في مواضع من كتابه الكريم مما يدل على أن سمة التلازم بين القلب والعقل وسمة [illegible] الحق، قال تعالى: ﴿[illegible] قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج: [illegible]).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الحج: [illegible]).

واستدلت هذه الآية عن [illegible] حيث تقرير أن التلازم [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] إشارة إلى أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] من الأمم [illegible] [illegible].

وأخبر سبحانه أن الذين [illegible] عن [illegible] والقلب [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible]).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الحديد: [illegible]).

وأخبر سبحانه أن الذين [illegible] [illegible] وكذبوا [illegible] [illegible] [illegible] لهم [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] تعالى: ﴿[illegible] [illegible] [illegible]﴾ (الحج: [illegible]).

وأخبر سبحانه أن الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاءت به الرسل وأنكروا البعث بعد الموت في الغفلة [illegible] [illegible] ما [illegible] به في [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ (الروم: [illegible]).

٢- التلازم بين القلب والفقه

أخبر سبحانه عن التلازم بين القلب والفقه مما يدل على أن سمة [illegible] القلب والتفقه:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (التوبة: [illegible]).

[illegible] [illegible] الأعراب الذين ما جاهدوا وما [illegible] [illegible] بذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلام.

وقال [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾

[illegible] العرب، ابن منظور، [illegible].

في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب ولهذا قال ﴿أليم﴾ لأنه تعالى [illegible] بأن يخلصهم [illegible] ويخلصهم من هذا العذاب [illegible] (من) [illegible] على [illegible][1]

وقد أخبر سبحانه أن إخلاف الوعد والكذب من أسباب تمكن النفاق من قلوب المنافقين، قال تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ [التوبة ٧٧].

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الذي [illegible] إلا [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] من الأمر.

ولقد أخبر صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان[2]، والقول [illegible] من [illegible] [illegible] كما قال أهل العلم[3].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]﴾ [المجادلة ١٨].

وقد شهد الله سبحانه على المنافقين بالكذب [illegible] هذه العلامة قال تعالى في سياق الحديث عن مسجد الضرار ومقصد المنافقين منه أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخير والرفق بالمسلمين والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد قباء، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يحلفون عليه: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ [التوبة ١٠٧].

والله تعالى في سياق [illegible] المنافقين للرسول أنهم [illegible] من [illegible] بالرسالة [illegible] عليه [illegible] بعد قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون ١].

٣- التلازم بين الكذب والظلم

قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الصف ٧].

وقال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته [illegible]

---

[1] [illegible] القرآن [illegible] ٦٣

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب علامة المنافق رقم ٣٣

[3] قال النووي في شرحه على مسلم ٢/٤٧ عن الترمذي [illegible] معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل.

[illegible] ﴿[illegible] كنتم تزعمون﴾ [الأنعام ٢٢].

وقال تعالى: ﴿[illegible] أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الأنعام ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ [الأنعام ٢١].

أي: لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته[1].

ثم نفى سبحانه في حكمه أن الظالمين لا يفلحون أي لا يظفرون بمطالبهم في الدنيا والآخرة بل يبقون في خسرانهم [illegible] ونفي الفلاح عن الظالم [illegible] هذا لا يفلح الظالمون[2].

[illegible] من الشرك في [illegible] [illegible] [illegible] الشرك [illegible] أن [illegible] الشرك [illegible]

الشرك ظلم للحق وظلم للنفس وظلم للناس، هو اعتداء على حق الله سبحانه في أن يوحد وحده بلا شريك، واعتداء على النفس بإيرادها موارد الخسارة والبوار، واعتداء على الناس بتعبيدهم لغير خالقهم الحق وإفساد حياتهم بالأحكام والأوضاع التي تقوم على أساس هذا الاعتداء ومن ثم فالشرك ظلم عظيم كما يقرر عنه رب العالمين [illegible]

والله سبحانه يقرر الحقيقة الكلية بوصف السمة الأصيلة للشرك والمشركين [illegible] الظلم والظالمين [illegible] الصورة [illegible] الظلم في الأمد القريب [illegible] إلى [illegible] ومن أصدق من الله حديثا[2].

ثم أخبر سبحانه أنه لا يرشدهم إلى ما [illegible] إليهم قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الصف ٧].

قال ابن كثير رحمه الله: [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى ما ليس [illegible] إلا [illegible] دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم على [illegible]

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

[2] البحر المحيط، أبو حيان [illegible]

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

حتى يظهروا حسدهم وظلموا ربهم إلا ليسوا [illegible] من عليه وسجيته صدق صلى الله عليه وسلم إلى ما ليس به لسوء الأخلاق والحسد [illegible] الظلم الناس وحملهم على التكذيب وظلمهم بإخفاء الأخبار التي جاءت في التوراة والإنجيل حول صدق رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم [illegible] هذا الظلم بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ [illegible]﴾ لعلمهم أنه كلام صدق(١)

٤. [illegible] بين الكذب والاستكبار

قرن سبحانه في كتابه بين الكذب والاستكبار في مواضع من آياته لأنه من كذب بالحق [illegible] من [illegible] ملازمان الكذب والاستكبار.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأعراف: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٠).

فالاستكبار عن الآيات [illegible] [illegible] أن يكون [illegible] المستكبرين [illegible] [illegible] في المواضع [illegible] أن [illegible] الناس [illegible]

[illegible] منهم من كان يرى من [illegible] أن يكون صدق النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] منهم من كان [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] منهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلا من [illegible] [illegible] [illegible](٢)

٥. الوعيد [illegible] على الكذب

الكذب [illegible] الله [illegible] أن يعاقب الكاذب في الدنيا والآخرة [illegible] في مواضع من كتابه [illegible] الكاذبين والكذب منها:

١. [illegible] في العقاب

قال تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) التفسير [illegible]

(٢) التفسير [illegible] ج [illegible] ص ٣٦

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب [illegible] ﴾ [الإسراء: ٤].

المستطرون: يجوز أن يكونوا من الاستعمال أي: حمل الشيء على [illegible] أي: لا يحيدون عنه أي: لا يخرجون عنه ولم يرد التأويل بطريق المجاز؛ لأنه لما كثر بعد ذلك في الخطاب ناسب أن لا يكون المقصود من ورائهم المستطرين أنهم يكونوا في الخطاب فلا يكون [illegible] يطالبوا في الطريقة [illegible] أنواع من التأكيد.

ويجوز أن يكونوا مقصورين بمعنى علي هم إلى الخطاب حيث كثر في القرآن استعماله [illegible] بمعنى [illegible](١).

٢- ما [illegible] للخطاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [illegible]﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ [illegible]﴾ [الأنعام: [illegible]].

٣- الخطاب في المعجم

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ [illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

٤- الخطاب [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

فهل: أنهم [illegible] متصلٌ على ما قبله [illegible] كالضرب بالحقيقي والمجاز؟

ثالثًا: الغضب على الكافرين

أخبر سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قائلا من جاءه: أيها الرسول، في المسيح عيسى ابن مريم من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى عليه السلام فقل لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل إلى الله بالدعاء أن يجعل لعنته وغضبه على الظالمين في [illegible] المصرين على كفرهم.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وأخبر سبحانه وتعالى أن الذين كفروا على نعم في الدنيا قد سخط الله عليهم ولعنهم لما لا [illegible] الله تعالى: ﴿[illegible] سَخِطَ [illegible]

---

(١) [illegible] التحرير لابن عاشور [illegible]

(٢) المعجم [illegible] ٣٢ [illegible]

الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

ومن فضل الله على المؤمنين ستره وإكرامهم في مواقف الآخرة على رؤوس الخلائق من الملائكة والرسل والأنبياء وسائر البشر، والحديث عند البخاري يوضح ذلك: عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول: ﴿الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»[1].

رابعاً: ثمن الفلاح من المكاسب

أخبر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم أن الذين يفترون على الله الكذب بإسناد الولد والشريك إليه أنهم لا يفلحون مطلقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠].

والفلاح عبارة عن الوصول إلى المقصود والمطلوب، بمعنى أنه لا يفلح من أنه لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر، ومن الناس من إذا فاز بشيء من المطالب العاجلة والمقاصد الخسيسة ظن أنه قد فاز بالمقصد الأقصى، والله سبحانه أزال هذا الخيال بأن قال: إن ذلك المقصود الخسيس ﴿مَتَاعٌ﴾ في الدنيا ثم لا بد من الموت، وعند الموت لا بد من الرجوع إلى الله، وعند هذا الرجوع لا بد من أن يذيقه العذاب الشديد[2].

والمكذبون لا يفلحون أي نجاح، لا يفلحون في مطلب ولا غيره، لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، والفلاح الحقيقي هو الذي ينشأ من مسايرة سنن الله الصحيحة المؤدية إلى الخير وإلى صلاح المجتمع، ونماء الحياة ورقيها إلى الأمام، وليس هو مجرد الإنتاج المادي مع تحطيم القيم الإنسانية ومع انتكاس البشر إلى مدارج الحيوانية، فذلك فلاح ظاهري مؤقت، منحرف عن خط الرقي الذي يصل بالبشرية إلى أقصى ما تطيقه طبيعتها من

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ رقم (٢٤٤١).

[2] مفاتيح الغيب، الرازي ٦٣/١٧.

الاعتبار

وبعد أن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالحوار المشركين الذين لا يؤمنون أعقب ذلك في سورة الحج بخطاب للمشركين الذين كذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم ليلج ما يلقى عليهم فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: [illegible])

فهي تطلب من عقلاء سبل المشركين الذين ساروا وسرحوا بصيرة ما ينظرون ويستفيدون عليه من الأسباب ليحملهم من البصيرة والتأمل والرغبة والتسليم ونحو ذلك مما كان مدركا لهم ليعتبروا في مخاطبتهم فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ويدخل في هذا كل من لم ينتفع بعقله ليس له فيها مسعى شرعي أو عقلي لديه مما عليه أو سمع لديه مما أراد الله بمحو ولم يكتمه.

وقوله في قوله: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ تفصيل بعد أن القلوب التي يوجهه على ذلك قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي عن فهمها ولا في الأمر أنه في فهمها الصحيح الذي يكفيها في

الأمر الذي يحث على السير؟

وبعد هذا العرض كيف يصدر أمر على المشركين بالسير فلا من الله وبكل قسر في أنحائه ينزم عليه ما يشعرونه من العواقب؟ ويدل بنظر حولا أكادكره لهم فلاح في هذه الأرض ثم سعد خلالها كلا يعني تحت الله.

خامساً: الاعتبار بعاقبة المكذبين

أمر الله سبحانه بالنظر والتأمل في عاقبة المكذبين الأخيار والأقطاب وعاقبة الأخيار والأخطاء وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ليثبت قوله على طريق طاعته وصحابته المؤمنون كذلك وصحابته المكذبون أنفسهم أن كانوا ويحذروا عن تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.

أمر الله عز وجل الرسول صلى الله عليه وسلم بـ﴿قُلْ﴾ الجديرة الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله أن يأمر المشركين بالسير في الأرض والاعتبار بما حدث للمكذبين الماضين قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: [illegible])

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأنداد المكذبين بك الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندي

---

[1] في ظلال القرآن سيد قطب ج[illegible]

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج[illegible]

جولوا في بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس ﴿ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ﴾ أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار فاعتبروا به إن لم تنهكم حلومكم ولم تزجركم حجج الله عليكم عما أنتم مقيمون عليه من التكذيب فاحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم(١).

وأمر سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لقريش والمنكرين كيف كان عاقبة من كفروا بآيات الله ورسله؟ فيطلب منهم أن يسيروا على أقدامهم ليروا بأعينهم مثل ما أصاب من قبلهم قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١).

ثم أمر سبحانه وتعالى المشركين بمثل ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم -مؤكدا على أنه مبلغ عن ربه- أن يسيروا في الأرض ليبصروا بأعينهم كيف كان مآل المكذبين قبلهم؟ وماذا حل بهم من عذاب؟ ليعتبروا ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٦).

ثم خاطب سبحانه وتعالى المؤمنين لما أصيبوا يوم أحد تعزية لهم بأنه قد مضت من قبلكم أمم أمثال المؤمنين منهم بقتل الكافرين فالعاقبة لهم فسيروا في الأرض معتبرين بما آل إليه أمر أولئك المكذبين بالله ورسله قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

فإن قيل: ما الفرق بين قوله ﴿فَانظُرُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧)، وبين قوله: ﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾؟

قال الرازي رحمه الله: قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾ يدل على أنه تعالى جعل النظر سببا عن السير فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين.

وأما قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ (الأنعام: ١١)

فمعناه: إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ثم نبه الله تعالى على هذا الفرق بكلمة ﴿ثُمَّ﴾ لتباعد ما بين الواجب والمباح(٢).

---

[١] جامع البيان، الطبري، ج١١

[٢] مفاتيح الغيب، الرازي، ١٦٨/١٢

صور الكذب وأنواعه

ذكر القرآن الكريم للكذب مظاهر إذا وقع الناس فيها كانوا إلى أصحابها وأظهر هذه التي سنكون مع القرآن الكريم من خلال المظاهر ما يلي:

الكذب على الله، والكذب بآياته، والكذب بكتبه ورسله واليوم الآخر.

أولاً: الكذب على الله

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

قال الراغب - رحمه الله -: الافتراء والاختلاق: الفعل للكذب الذي لا أصل له من [illegible] والاختلاف، والتكذيب ضربان: [illegible] لا أصل لها [illegible] أو [illegible] فيما له أصل، والأول: [illegible] والقاري عليه ضربان، [illegible] على الرغم أعظم ذلك أم [illegible] له ضربان: [illegible] بالحقيقة، [illegible] [illegible] الظالمين [illegible] [illegible] فبين الله تعالى في الآية أنهم أعظموا الكذب على الله تعالى الذي يعلم السر والعلن، وأعظموا ذلك بعد أن أطلع الله الناس على كذبهم.

فبين سبحانه وتعالى أنه [illegible] في لبيان الظلم في مراتب من الكذب.

من أعظم صور الظلم الكذب على الله أن يدعي وحياً ورسولاً من قبله، أو يدعي أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، أو يدعي أنه قادر على أن ينزل مثل ما أنزل الله من القرآن.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقد اختلف في سبب نزولها:

فعن عكرمة -رحمه الله- أنها نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن به(١).

وعن السدي -رحمه الله- نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح خاصة(٢).

قال الطبري -رحمه الله-: فإنه لا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قوله مفترياً كذباً، وكذلك

تفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٤٣٣.

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٢٧٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ [illegible]

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٢٧٣، الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٣٠٢

لا خلاف بين المفسرين أنه مسيلمة والعنسي الكذابين [illegible] على الله كذبًا أنه [illegible] للناس وقال كل واحد منهما: إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قوله، [illegible] كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقًا على الله كذبًا، وكذلك في ذلك الزمان وفي [illegible] أوحى الله إلي وهو في قوله كاذب لم يوح الله إليه شيئًا، فأما التحريف فقد علم أنه يكون تارة بسبب جهلهم وتارة أن يكون تارة بسبب [illegible](١).

ومن صور الكذب التحليل والتحريم بحسب الأهواء لا بحسب الشرع المنزل من عند الله، ولهذا عاب الله عز وجل الكفار حين ادعوا أن ما حرموا من عند أنفسهم من الشرع الذي أوحى به الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ⑪ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل ١١٦ - ١١٧).

والآية خطاب للكفار الذين حرموا البحيرة والسائبة، وأحلوا ما في بطون الأنعام، [illegible] [illegible] بل يتناوله [illegible] لا يعرف الكذب [illegible] من كلام هؤلاء والمتأخرين [illegible] كذب [illegible].

على الله عز وجل؛ لأنه وحده صاحب التحليل والتحريم، فإن الكفار [illegible] على بعض الناس الطيبات من رزقه [illegible] كما قيل [illegible] ويكتب [illegible] والتشريع [illegible] بين التحليل [illegible] أربابهم [illegible] ويحرمونه من غير تحليل الله والنص [illegible] ويسطرونه [illegible] من الشرع(١).

ويعيب الله عز وجل ما [illegible] هؤلاء من [illegible] بالكذب والافتراء على الله ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] من التحريم الكاذب الذي قال الله عنه ﴿ [illegible] ﴾ (النحل ١١٦).

ليس هذا فقط بل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [illegible] من طيبات حرمهم الله عز وجل [illegible] الأكاذيب [illegible] وهذا تحريم للناس [illegible](٢).

[illegible] الكذب [illegible] [illegible] [illegible] أنه [illegible](٣).

ومن صور الكذب على الله: الافتراء على الله [illegible] بعض الأحكام بسبب [illegible]

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ج٧ ص٢٧٣، روح المعاني، الآلوسي ج٧ ص٢٢٢.

(٢) انظر: [illegible] ج١٢ ص٣٣١، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

(٣) انظر: [illegible]، ج١٢ ص[illegible]، [illegible] ج٢ ص٣٣٥.
الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج١٠ ص[illegible]، [illegible] ج١ ص٢٠٣.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأنعام [illegible])

ومن صور التكذيب على الله نسبة الشريك إليه في عباداته.

قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف ٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الصف ٧).

ثانياً: التكذيب بآيات الله:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ [illegible]﴾ (الأنعام ٣٩).

أي: والذين كذبوا حكم بأنهم في [illegible] ﴿[illegible]﴾ ولم [illegible] لأنهم هم الظالمون في ظلمات الكفر واستكبارهم[4].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] (الأنعام [illegible]).

أي: إن المشركين [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible].

وقال [illegible] [illegible].

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

أعظم الإعراض التكذيب، وهو أشد من الإعراض؛ إذ المعرض قد يكون غافلاً عن الشيء، ثم أعظم التكذيب الاستهزاء، وهو أشد من التكذيب؛ إذ المكذب قد لا يبلغ إلى حد الاستهزاء [illegible] في المبالغة في الكفر(1)

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 32]

أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله [illegible] أو كذب بالصدق وهو القرآن، فلا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله وكذب بالقرآن [illegible](2)

ثالثاً: التكذيب بالكتب

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 70-72]

يقول تعالى: لا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلالة، وكذبوا بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية، وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب أو الوحي والشرائع.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد شديد ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء(3) كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [illegible]

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: 43-44]

وذلك أبلغ [illegible] على وجه التعذيب والتنكيل والإهانة والتصغير والتحقير والاستهزاء بهم(4)

ثم توعد من كذب بالقرآن فقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 44]

يعني: القرآن، وهذا تهديد شديد، أي: دعني وإياه مني ومنه، أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر(5)

رابعاً: التكذيب بالآخرة والحساب والعقاب

---

(1) انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]، [illegible]

(2) انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل [illegible]، [illegible]

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]، أنوار التنزيل للبيضاوي [illegible]

(4) انظر: إرشاد العقل السليم [illegible]، أنوار التنزيل للبيضاوي [illegible]

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

القرى الذي يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: كل نبي [illegible] من يكذب بهذا الحديث [illegible] الله به [illegible] من هذا القوم يكذب بهذا الحديث.

إنه ذلك المخلوق البشري الهزيل المسكين [illegible] في هذه الهيئة [illegible] في هذا الحجم الذي لا [illegible] أمام جبروت الجبار [illegible] [illegible] [illegible] من المؤمنين [illegible] [illegible] المؤمنين [illegible] وهذا المخلوق [illegible] [illegible] [illegible] المكذبين [illegible] المؤمنين المستضعفين[1].

ولهذا تكذيب الرسل.

تكذيب قوم نوح:

أخبر سبحانه وتعالى في كتابه أن قوم نوح كذبوا نوحاً فكانوا مكذبين لجميع الرسل، لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

ومن صور التكذيب:

- أنهم اتهموا أنه جاء بهذا الأمر من عند نفسه، قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣].
- اتهموه بالجنون، قال تعالى حكاية عن قومه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].
- الاستكبار [illegible] عن الإيمان، لما دعوا إليه، قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].
- إن دعوته ليست [illegible] [illegible] [illegible] لم يسمعوا بمثل هذه الدعوة من قبل، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].
- الأنفة والتعالي عن الدخول في دعوته لأن أول الذين اتبعوا دعوته هم من الفقراء والضعفاء [illegible] من الإيمان، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب [illegible]

عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود ٢٧].

وهم يعنون بالأراذل الفقراء، وهم السابقون إلى إجابة الرسل والرسالات وإلى الإيمان والاستسلام لا يمنعهم عن الهدى كبرياء فارغ ولا حرص على مصلحة أو مكانة، والفقراء دائما هم أقرب من الفطرة إذ حالتهم وأحوالهم لا ترضي الطبقة من المترفين ولا تقبل في أوساط الطبقة الراقية [illegible] أنه لا يطلب إلى الناس شيئا إلا الإيمان وذلك أشرف شأنا عندهم [illegible] إلى الله وهم الذين [illegible] ويحافظون على الحسنات والصالحات ويتقون الله عن [illegible](١)

٢ - التكذيب لرسل عدة

أخبر سبحانه وتعالى في كتابه أن قوم نوح كذبوا المرسلين، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، والاعتقاد بصدقهم في أصولها ورسالتها، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء ١٢٣].

ومن صور التكذيب لرسل عدة:

- تكذيب الرسول فيما يدعو واتهامه بالسفاهة والكذب: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف ٦٦]. وإنما وصف الملأ بالكفر إذ لم يكن كلهم على الكفر فقد ترى أن في الملأ منهم من آمن به عليه السلام والذي كان يكتم إيمانه كمرثد بن سعد ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ أي خفة في حلم وسخافة عقل حيث تركت دين آبائك لما تدعيه من الرسالة(٢)
- جحود آيات الله وعصيان الرسالة الذي من كذب برسول من الرسل فقد كفر بجميع الرسل(٣)، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود ٥٩].
- التمسك بالآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل والدفاع عنها والمجادلة عنها بالباطل، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف ٧٠] وقوله تعالى: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف ٧١].
- التمادي في الضلالات والركون إلى الحياة الدنيا واغترارهم لما يجد [illegible]

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٣٦٩.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري ٢/ [illegible] [illegible] ٢/ ٣٣٧ - ٢٣٨.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا [illegible] مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] أي: [illegible] ومثلكم [illegible] من غير [illegible] له عليكم فهو يأكل ويشرب كما تأكلون وتشربون.

- إيهامهم المصريين [illegible] وإرهابهم [illegible] والبطش بالسحرة [illegible] بالسياط[1]. قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الشعراء: [illegible]] وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ هو [illegible] والسحر [illegible] إلا [illegible] على من هو [illegible] في القوة [illegible] ويطش جبابرة لا [illegible] فرعون [illegible] وإلا [illegible] السحرة لجبروته [illegible] الرهيب الذي [illegible] الله به من [illegible] إلى [illegible] المستضعفين [illegible] السحرة الذين إنما [illegible] على [illegible] من [illegible] بطش الجبابرة وتآمر السلطة [illegible] الأطفال [illegible] المترفين [illegible]

الأرض»[3]

٣- تكذيب قوم فرعون لموسى وهارون عليهما السلام

أمر سبحانه وتعالى الرسل موسى وهارون إلى فرعون وقومه فكذبوهما فيما جاء به [illegible] من [illegible] في البحر. قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ٤٢]

ومن صور التكذيب لقوم فرعون:

- الافتراء على الله الكذب: قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] [illegible] موسى [illegible][4] أي: لا تفتروا على الله الكذب [illegible] بأن يهلككم [illegible] لأن عاقبته [illegible][5]

- جحود الآيات ظلمًا وعلوًّا مع العلم بصدق ما جاء به موسى عليه السلام

---

[1] انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج٥، [illegible]؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible]

[2] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، [illegible]

[3] قصص الرسل في القرآن، [illegible]، ص[illegible]

[4] انظر: [illegible]

[5] انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، [illegible]؛ التحرير والتنوير، [illegible]، ص[illegible]

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: 14].

- التكذيب بآيات الله ولوم الآخر على ... تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 130].

- الحسد: دعا موسى عليه السلام فرعون إلى الإيمان بالله عز وجل وبالبعث، قال تعالى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: 30]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ [طه: 47]، ولكنه حسد إلى إرسال بني إسرائيل معه بعد أن بين له أن الأمر من رب العالمين ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء: 18]، وقال فرعون حسدًا قال تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [طه: 63].

- الاستهزاء والاستخفاف بموسى وبما جاء به، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزخرف: 47]، وقد أملى الله عز وجل لطاغية فرعون في كل باب من أبواب الضلال والفساد والطغيان والتجبر ما لا عدد له وعرضه من أجل ... حتى استخف بهم لعلمه بأنهم فريسة الجهل، مع ما أوتي من العمر الطويل والثراء والصحة والسعة والجنود والملك والعبيد والمال والصحة في جسمه والاعتداد في طبعه وعقله، ولذا جحده[1] قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: 36-37]، وما تحويل فرعون الذي يمثل الاطلاع إلى إله موسى إلا في تصور وطلب عظمة؛ لأنه يعتبر نفسه أعلى على الصرح باطلاً ولم ينل بها أقل شيئًا مما أراد، فكان من الخاسر والخائب[2].

- اتهامه بالسحر والافتراء قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص: 36]، ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 24]، إلى آخر من المعجزات والبينات.

---

[1] انظر البداية والنهاية لابن كثير (1/ 271).

[2] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ... (3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (.../ ...).

المعاند من سائر ضروب الناس(٤)

■ التهديد بالصلب من قبل فرعون، قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فالصلب يكون بالتعليق في الشجرة عليها أي: مستخفا بما أتاه موسى مستهزئا به(٥).

■ التهديد بأن دعوة موسى سحر وإنما هي لأجل الحكم والتسلط، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

■ التهديد بالنفي مع السحرة لأجل الحكم منه وهو خاص بالملوك وأكثر الحكام حتى وإن طالت مدة حكمهم لا يتنازلون عنه ويحاربون، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣].

■ اتهام المؤمنين من قوم موسى وأصحابه(١) بالسحر، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٦]، وما كذبوهم بالسحر وتسلطهم الذي هو القتل منه بني إسرائيل، فلا يعجزوا عليهم إلا مكر للغلب والملك في مقابل(١).

■ الإسراف في القتل، قال تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وهو منهج الطغاة الظلمة.

ويظهر مما سبق مدى الشدة التي واجهها موسى عليه السلام في دعوة فرعون وقومه(٢)، ولم ينفع فرعون وقومه الموعظة الحسنة من موسى عليه السلام، بل زادهم علوا في الأرض وطغيانا وبطشا بالمؤمنين(٣).

٤- التكذيب قوم شعيب.

أخبر سبحانه وتعالى في كتابه أن قوم شعيب كذب المرسلين.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، والأيكة الشجر الملتف(٤).

---

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٢٩٣؛ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦/٢٩٣.

(٥) ينظر: التفسير المنير.

(١) الأصحاب: الأتباع.

انظر: المفردات في غريب القرآن ١/٢١٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٢٩٣؛ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦/٢٩٣.

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/٣٦٦؛ السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ٢/٨٦٨.

(٤) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٣٢٩؛ القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي ٢/١٢.

(٥) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٣٢٩.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/١٣٣.

ومن صور التكذيب:

- التكذيب الواضح الصريح، قال تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]. بعد أن بين لهم البينات على صدق دعوته ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]. وهذا يدل على الحسد والإنكار بعد رؤية البينات مما يدل على رسوخ التكذيب في نفوسهم.
- القعود بكل صراط وتوعد المؤمنين الذين يأتون إلى شعيب ليؤمنوا[1] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦] إذ كان هؤلاء المكذبون يقعدون على الطريق ويصدون الناس الذين يأتون إلى شعيب عليه السلام ليسمعوا من الدين ويصدوهم عن الإسلام[2].
- بث الإشاعات الكاذبة بأن طريق شعيب يؤدي إلى الخسارة، ومن ثم حذروا الرؤساء الذين يحافظون على مراكزهم أن يذهب منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]، أي: الخاسرون في أعمالكم [illegible][3].
- التهديد بالرجم، ولولا رهطه لما [illegible] أن يقتل النبي [illegible] من أهل القتال [illegible] لا يقدمون [illegible] العصبية والقبلية، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١].
- تهديدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية أو الإكراه على الرجوع إلى ملتهم والمشاركة معهم فيما هم فيه من الكفر، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، فذكروا له أحد الأمرين: إما إخراجكم من القرية أو عودتكم في الكفر، وشعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط، لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقًا، لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم، وعلى ذلك أجري الجواب في قوله: ﴿أَوَلَوْ

---

[1] انظر: المصدر السابق ٣/٢٢٢-٢٢٣.

[2] انظر: [illegible] ٣/٢٣٣، ٢٤ [illegible] في التفسير الموضوعي [illegible] القرآني ص٢٦.

[3] جامع البيان، الطبري ٦/٤.

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٢٢٢.

أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ كيف سنعود فيها يعني أتعيدوننا فيها[1] أي: ولو كنا كارهين مجبورين على الخروج من الوطن أو العودة في ملتكم [illegible] هذا الظلم عظيما[2] وكان موقف شعيب حازما فقد أجاب على دعوتهم قال تعالى على لسانه: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا [illegible]﴾ [الأعراف: 89] أي: قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في الشرك والكفر[3] بعد هداية الله عز وجل لنا [illegible] من [illegible] كيف يرجع إلى الكفر من آمن بالله وذاق حلاوة الإيمان فلا يرجع إلى الكفر إلا من يشاء الله عز وجل.

- التطفيف بالموازين وبخس الناس أشياءهم مما يسبب مشاكل اقتصادية عديدة، قال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85].
- الفساد في الأرض بالشرك والظلم بعد إصلاحها [illegible] كقتل الناس بالباطل والبغي والعدوان على الناس والأرض، وإفساد الأخلاق والآداب بالظلم والفواحش الظاهرة والباطنة[1] قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

[illegible] ويتوعدون من [illegible] بما لا [illegible] في طريق [illegible] من [illegible] والأذى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: 86].

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] شعيب على أصحابه [illegible] هو والذين آمنوا معه على تعذيب وتهديد المكذبين بالعذاب.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا [illegible]﴾ [هود: 94].

[illegible] إلى [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[3] انظر: [illegible]

[1] [illegible]

[2] [illegible] القصص القرآني [illegible]

ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢].

و﴿فِي شِقَاقٍ﴾ أي في [illegible] ما أتى منها وما فيه [illegible] بعيد عن الرشد والصواب عليهم وأنت غير المكذبين، [illegible] الضلال الذي لا يجوز لكم(١).

٥- التكذيب المتكرر للنبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى مسليًا رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: [illegible]].

جاء الخطاب القرآني الموجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية وتثبيتًا له على التكذيب الموجه له أن حاله مع قومه كحال الرسل السابقين مع أقوامهم فلا تحزن ولا تضجر إذا كذبوك لأن هذه عادة قديمة في الأمم مع الرسل، وليس ذلك لنقص فيما جئت به(٢).

من صور التكذيب اتهام المشركين أن محمدًا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن على الله سبحانه [illegible] افتراءً من عند نفسه كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤].

قال السعدي رحمه الله: يعني أم يقول المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم جراءة منهم وكذبًا: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فرموك بأشنع الأمور وأقبحها، وهو الافتراء على الله بادعاء النبوة والنسبة إلى الله ما هو بريء منه، وهم يعلمون صدقك وأمانتك، فكيف يجترئون على هذا الكذب الصراح؟ بل تجرءوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة المتضمنة على زعمهم أكبر الفساد في الأرض حيث مكنه الله من التصريح بالدعوة ثم بنسبتها إليه ثم يؤيده بالمعجزات الظاهرات والأدلة القاهرات والنصر المبين والاستيلاء على من خالفه، وهو تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها ومادتها، وهو أن يختم على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعي شيئًا ولا يدخل إليه خير، وإذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله وانقطع.

فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته وسنته الجارية أنه يمحو الباطل ويزيله وإن كان له صولة في

---

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣/ ٣٣٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/ [illegible] (٣) تفسير السعدي ١/ ٧٦٦

يعني الآيات، هذه عادتهم الاستهزاء(١)

إنما هي شبهة لا قوام لها، ولا تقوم على أساس، وهي تخالف البديهة من علم الله بالشرك، ومن قدرته على ما يريد، ومن سنته في إقرار الحق وإبطال الباطل، ولذا فهذا الوحي حق، وقول محمد صدق، وليس القرآن عليه إلا الباطل والظلم والضلال.

وفي قوله تعالى: ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [الأنعام ٢٥]

يخبر الله تعالى مسلياً نبيه صلى الله عليه وسلم في التكذيب قومه له، ومجادلتهم إياه: ﴿حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ أي: [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [النحل ٨]

كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ [البقرة ٨٨]

﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ [فصلت ٥]

وقوله: ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: لا يصدقونك بالكذب في نفس الأمر ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: [illegible]

يكذبونه بالحق، ويكذبونه بحقيقتهم(٢)

روى الحاكم بسنده عن علي، قال: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾(٣)

خامساً: الكذب في إبداء الأعذار للتخلف عن الجهاد

قال تعالى: ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ۝ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ [التوبة ٤٢-٤٣]

يقول تعالى موبخاً للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وقعدوا بعد ما استأذنوه في ذلك مظهرين أنهم ذوو أعذار ولم يكونوا كذلك، فقال: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: غنيمة قريبة ﴿وسفراً قاصداً﴾ أي: قريباً أيضاً ﴿لاتبعوك﴾ أي: لكانوا جاءوا معك لذلك ﴿ولكن بعدت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٦١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(٣) المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة الأنعام رقم ٣٢٣٠

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[illegible] ﴾ أي [illegible] ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ أي [illegible] ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ أي لو [illegible](١)

قاتلهم الله [illegible] الأساليب الملتوية تحتاج إلى رجال [illegible] بطلاقة [illegible] في سبيل تحقيق المآرب [illegible] معالم الحق [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] الله [illegible] أمثال هؤلاء حين [illegible] على [illegible] ثم أولئك الذين يجاهرون في الطريق المخالف إلى [illegible] أولئك الذين يجاهرون لقول الحق [illegible] من [illegible] ويسارعون إلى [illegible] مطالب [illegible] مواقفهم [illegible] في كل زمان ومكان [illegible] إنما هي [illegible] على [illegible] الحق [illegible] ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [illegible] الكذب [illegible] يكذب إلا [illegible] بما في صورة [illegible] في بعض الأساليب الملتوية [illegible] وربما [illegible] في [illegible] من [illegible] ولا في يوم من الأيام ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] الكذب الذي يحاول [illegible] سبيل النجاة [illegible] الكذب [illegible] في الدنيا [illegible] في الآخرة يوم لا [illegible] الكذبة(٢)

وفي الآية دلالة على أن [illegible] إلى الهلاك.

سابعاً: الكذب في إسناد الأقوال والأفعال لغير فاعليها

[illegible] في سورة يوسف أن إخوة [illegible] على أبيهم [illegible] الذئب أكله.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (يوسف: ١٧).

يقول تعالى مخبراً عن الذي [illegible] إخوة يوسف بعد ما [illegible] في [illegible] ثم [illegible] إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون [illegible] الأسف والتوجع على يوسف [illegible] لأبيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ أي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(٢) في ظلال القرآن [illegible]

[illegible] ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾ أي زينت وحسنت ﴿فصبر جميل﴾ وهو الذي [illegible]

وقوله ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ فطلب العون من الله على ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] [illegible] من الأشكال التي [illegible] عليه من المكيدة [illegible] [illegible] [illegible] يوسف [illegible] الذي أكله الذئب [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]

بل قال لهم معرضا عن كلامهم إلى ما [illegible] في نفسه من اتهامهم ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل﴾ (يوسف: ٨٣) أي فسأصبر صبرا جميلا على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي على ما تذكرون من الكذب والمحال[2]

أبوه يعقوب عليه السلام من [illegible] [illegible] ومن ثم [illegible] قلبه أن يوسف لم يأكله الذئب وأنهم دبروا له مكيدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صبرا جميلا لا جزع ولا شكوى [illegible] على ما يصفونه من الحيل والأكاذيب.

ثم اتهموا يوسف عليه السلام بالسرقة كما قال تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون﴾ (يوسف: ٧٧).

أي إنه سرق فقد سرق أخ شقيق له من قبل، يقصدونه عليه السلام [illegible] يوسف في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] منكم ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ من الكذب والافتراء.

هكذا اتهم أخوة يوسف بالكذب إلى [illegible] أخي يوسف ثم اتهموا له السرقة [illegible] عليه.

---

[1] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

[illegible]

سلك القرآن الكريم في خطاب المكذبين وأتى بسوء العقبى على المكذبين أو على المجتمع

أولاً: آثار التكذيب على المكذبين

أ. الضلال

قرن سبحانه وتعالى بين التكذيب والضلال في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ٣٩]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢]

خاطب سبحانه أصحاب الشمال قائلاً: أيها الذين ضللتم الطريق وأصررتم على الذنب العظيم إذ لم توحدوا الله ولم تعظموا ما يوجب تعظيمه لم تعلموا برسله الكرام البعث والجزاء في هذا اليوم لتأكلن من شجر الزقوم مالئون منها بطونكم فشاربون بعد ذلك من ماء حار لغلبة العطش عليكم ولكنه شرب لا يطفئ الغليل ومن ثم لا ترتوون كالإبل التي أصيبت بداء الهيام فلا يروى لها ظمأ عطشها

وقد قدم الضالين ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ وفي آخر السورة قدم المكذبين ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال الرازي رحمه الله: فالمراد من الضالين هاهنا هم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم فضلوا في سبيل الله ولم يصلوا إليه ولم يوحدوه وقالوا فعلاً قبيحاً في كبير رسله وقالوا ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ فكذبوا بالحشر قال: ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ الذين أنكروا المكذبين الذين أنكروا الحشر كذبوا ما المرسلين.

وأما عند قوله تعالى ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين كذبوا بالحشر ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن طريق الخلاص الذي لا يوصله إلى النعيم وفيه وجه آخر يحتمل أن الخطاب هنا مع الكفار الذين والذين خاطبهم أولاً وهاهنا والخطاب في آخر السورة مع محمد صلى الله عليه وسلم بين له حال الأزواج الثلاثة فقال ﴿فَرَوْحٌ﴾ في حق المقربين وحال صاحب ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ في سلام.

وأما ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين كذبوا الله فهم أصحاب الجحيم إشارة إلى قرب محمد صلى الله عليه وسلم بين أن الكذب سبب في الجحيم والذي يدل على أن الكلام مع محمد صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: [illegible]]

تفسير المراغي ٢٧/ ١٤٣

[illegible] (٢)

والظالمين هم المكذبون وصفهم الله بالظلم ووصف ﴿ظَلَمُوا﴾ على وصف ﴿كَذَّبُوا﴾ مراعاة الترتيب المنطقي؛ لأنهم ظلموا من قبل [illegible] بالبعث [illegible] إلى مآل البعث.

وأتبع وصف التكذيب على وصف الضلالة لمراعاة سبب ما أتاهم من العذاب وهو التكذيب؛ لأن الكلام هنا على عذاب الله حلّ بهم [illegible] سبب عذابهم وذكروا بالذي [illegible] سبب ليحصل لهم [illegible] (٢)

٢- الخسران

قرن الله بين التكذيب والخسران قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥].

ترتب على التكذيب الخسران وهو عدم الربح أصلاً، ولذلك يترتب الخسران في الدنيا والآخرة.

٣- سوء الأعمال

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧].

أي: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ بآيات الله وحججه ولقاء الله في الآخرة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بسبب [illegible] الإيمان بالله والتصديق، [illegible] ما يجزون في الآخرة ﴿إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي وهو الخلود في النار.

٤- الاستدراج

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

أي: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ سنستدرجهم ولم يشكروا نعمه ففتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا استدراجًا لهم حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، ثم نعاقبهم على غرة من حيث لا يعلمون، وهذه عقوبة من الله على التكذيب بحجج الله وآياته.

٥- الإهلاك

---

(١) مصاعد النظر، البقاعي [illegible]

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٣٠٩

قال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

أي: شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، والذين من قبلهم كذبوا رسلهم من الأمم السابقة، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٩- عدم الهداية:

قرن سبحانه بين الظلم وعدم الهداية فقال: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible].

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] [illegible] الإسلام والإقرار [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] على الله [illegible] [illegible][١]

[illegible] [illegible] الظلم [illegible] الهداية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][٢]

وفي قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible].

[illegible]

٧- [illegible] في الآخرة:

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible].

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible].

[illegible]

---

[١] جامع البيان للطبري [illegible].

[٢] [illegible]

بالإلحاد للتبادل على صحابته ورسله والأنبياء وعلى صحابة رسله فيما بلغوه عن ربهم، ولولا الأخبار المتكاثرة عن أصحاب الحديث في [illegible] [illegible](١)

وأشار سبحانه أن الأخبار التي لم يصدقوا بصحيحها بالإيمان على صحابته ولم يصدق [illegible] [illegible] لا [illegible] الأعاظم في السنة ولا [illegible] عند الصحابة أبواب السعادة لا يمكن أن يصدق من الأخبار المجيد.

قال تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا} [الأحزاب: ٥٨]

وأشار سبحانه أن المؤمنين يجب [illegible] النبأ إلا [illegible] قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا} [الحجرات: ٦]

ثالثا: آثار الإفك على المجتمع

من أعظم آثار الإفك هو فقدان الثقة والتفكك الأسري بين أفراد المجتمع المسلم، والمواقع التي حكى لنا القرآن كثيرا من آثار الإفك هو حادث الإفك الذي قال الله فيه: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} [سورة النور: ١١].

فهذا الحدث العظيم الذي كان الطعن العرضي في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق، وكانت الأمة المسلمة كلها تمر بمرحلة من أشد المحن في تاريخها الطويل، ونال النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالت زوجه عائشة التي يحبها ونال أبا بكر الصديق وزوجه ونال صفوان بن المعطل من الأذى ما لا يحتمله أحد من الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

وقد حكت السيدة عائشة رضي الله عنها الحادثة كما رواه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٢٨/٦

[illegible]

[illegible] الذي [illegible]

[illegible] لم [illegible] ولم [illegible]

[illegible] من الطعام [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible] من [illegible] وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول [illegible] من النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

فيسلم ثم يقول: (كيف تيكم؟) لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت [illegible] قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه [illegible] ولم [illegible] مسطح بنت أبي رهم [illegible] فعثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ [illegible] تسمعي ما قال؟

[illegible] بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال: (كيف تيكم؟) فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ [illegible] وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.

فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق

أما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم.

وقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك.

فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج- وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت.

وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي. فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء.

قالت: فتشهد ثم قال: يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه.

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيما قال. فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: فقلت إني والله لقد علمت لقد سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).

ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي.

فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم الشاتي. فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيات. فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ما علمت ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا. قالت: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع(٢٧).

إن أصل كبر هذا البهتان الأثيم الذي به عصبة على رأسها عبد الله بن أبي ابن سلول، الحاقد الماكر الذي لم يظهر بالحقد في السر، ولم يقل علانية ما يوعز به ليفلت من الحد.

وهكذا هذه الأكاذيب بصورة ولا بالصورة [illegible] إلى غير اتهام من [illegible] ولا [illegible] و لا يصرف الأمر على [illegible] ولا [illegible] ما

---

(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٢٦٦١

بطهارة بأنفسهم الخير كما فعل أبو أيوب رضي الله عنه، فعن محمد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت أنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، قالت: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ [النور: 12]

أين نحن من فعل أبي أيوب وصاحبته؟

فهذا الصحابي أبو أيوب خير دليل إلى الأمة على ثقة المسلمين بعضهم في بعض، كما أشار إلى نقاوة أرض الصحبة التي أمر الله بها على المؤمنين، ولولا فضل الله على المؤمنين بهؤلاء ثم المؤمنين حادثة الصحابي الجليل ما وراء من المعالي الأمر لشأن هذه، وشكك الأوهام بين المسلمين مما يمس تلك المرأة المسلمة الطاهرة.

إن الصحابي الطيب يأبى تلقائيا أن يسيء الظن بأنه القدر الكافي من المحاولة لأن يحمي المرأة المسلمة فلانة كلها بالطهر والعفاف الله بن سلول ومن معه، فالله ما يكفيهم السوء.

3- وأمن المطالب وترسيخ الطريق

فيوسف عليه السلام تعرض لأمر زوجة عزيز مصر لما أرادته بسوء كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25].

قال السعدي رحمه الله: وهذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكثا طويلا في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك(1).

ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب عنها، يبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص ويهرب من الفتنة، فبادرت إليه، وتعلقت بثوبه فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحالة، ألفيا سيدها، أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمرا شق عليه، فبادرت إلى الكذب أن المراودة قد كانت من يوسف،

---

(1) سيرة ابن هشام

من الإعجاز

[illegible]

الأكثر ... القصص القرآني

وتقصد ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ ولم تقل من أراد بأهلك سوءا ترفعا وتبرئة لها أيضا من الفعل، وهنا الزوج عند الإرادة والمراودة ﴿إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: أو يعذب عذابا أليما.

فبرأ السيد ساحته بل وقال ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ فعندها احتمل الفعل حدث كل واحد منهما ولم يعلم أيهما.

ولكن الله تعالى جعل للحق والباطل علامات وأمارات تدل عليه لمن يعلمها العباد وإن لا يعلمونها فمن الله في هذه القضية بمعرفة التفاصيل شهيد ترفة البيت وجانب يوسف عليه السلام التهمت ثانيه من أهل بيتها بالشهادة من رجحت جنب قول العادل فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (يوسف: ٢٦) لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها المراود لها المطلوب وأنها أرادت أن تدفعه عنها فانقد قميصه من هذا الجانب.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: ٢٧) لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فانقد القميص من هذا الجانب.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ (يوسف: ٢٨)

عرف بذلك صدق يوسف وبراءته وأنها

تيسير الكريم الرحمن السعدي ص٣٩٦

الكُرة

[illegible] الموسوعة

مفهوم الكرة ٢١٤

الكرة في الاستعمال العربي ٢٢٥

[illegible] ٢٢٦

[illegible] الكرة [illegible] ٢٢٨

كرة القدم ٢٣١

[illegible] الكرة ٢٣٦

[illegible] ٢٤٩

[illegible] الكرة على [illegible] ٢٥٧

معنى الكره

أولاً: المعنى اللغوي:

(كره) الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد يدل على خلاف الرضا والمحبة(1)

(وقيل: الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره ما يناله من ذاته وهو يعافه)(2) والمكاره: جمع مكرهة، والمرأة مستكرهة أي: غصبت نفسها فأكرهت على ذلك، وحمل أمرا وهو له كاره، وهو تكلف الشيء على كره، ويكرهه وأكرهه عليه فكلفه من يكره، الأمر كرهه، وأكرهه حمله على أمر هو له كاره. جمع المكره: مكاره، وامرأة مستكرهة: غصبت نفسها فأكرهت على ذلك، وكره إليه الأمر تكريها صيره كريها إليه نقيض حببه إليه وما كان كريها ولقد كره كراهة، وأمر كريه: مكروه، ووجه كريه وكره: قبيح.(3)

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إسباغ الوضوء على المكاره)(4) جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه.

ومن خلال ما سبق تبين أن الكره يدور معناه اللغوي حول خلاف المحبة والرضا والمشقة.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

هو نفور النفس عن الشيء الذي ترغب عنه(5)

والمتأمل في المعنيين يجد الصلة واضحة حيث إن المعنى الاصطلاحي يعني نفور النفس عن الشيء الذي ترغب عنه وهذا مرتبط بالمعنى اللغوي وهو عدم المحبة والرضا فلا تنفر النفس عن شيء إلا لعدم محبتها ورضاها.

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس ج٥ ص١٧٢

(2) المفردات للراغب الأصفهاني ص٧٠٧

(3) لسان العرب لابن منظور ج١٣ ص٣٤

(4) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره

المفردات للراغب الأصفهاني ص١٣٩

[illegible]

وردت مادة (ذكر) في القرآن الكريم ([illegible]) مرة

الصيغ التي وردت فيها

الصيغة	العدد	المثال
الفعل الماضي	٢٧	﴿[illegible]﴾ [illegible]
الفعل المضارع	١	﴿[illegible]﴾ [illegible]
المصدر	١	﴿[illegible]﴾ [illegible]
اسم الفاعل	٢	﴿[illegible]﴾ [illegible]
اسم المفعول	١	﴿[illegible]﴾ [illegible]

الذكر في اللغة بمعنى [illegible][2]

---

[1] انظر: المعجم [illegible] الكريم [illegible] [illegible]

[2] انظر: [illegible]

[illegible]

البخل

البخل لغة:

البخل والبخل لغتان [illegible] [illegible] [illegible] [1]

البخل اصطلاحا:

البخل: [illegible] النفس عن [illegible] [illegible] [2]

الفرق بين الشح والبخل:

البخل من الأخلاق المناقضة لمعنى الكرم، ويكون الشح أوسع ويعبر عن شدة الحرص والتمسك [illegible] فيما لا يحصل في البخل[3]

الإباء

الإباء لغة:

مصدر من أبى يأبى: امتنع، أبى الشيء يأباه إباء وإباءة[4]

الإباء اصطلاحا:

شدة الامتناع[5]

الفرق بين الكره والإباء:

الإباء يعني شدة الامتناع، وهو من المعاني المقاربة للكره، فمن يكره شيئا يمكنه أن يستطيع [illegible] منه، ولكن من يأبى شيئا فليس من الضرورة أن يكرهه، فمن يمتنع عن أكل شيء معين، ولكن لا يكرهه[6]

---

[1] لسان العرب لابن منظور ١١/ ٤٧

[2] التعريفات للجرجاني ص٤٧

[3] الفروق اللغوية للعسكري ص١٢٩

[4] لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٣

[5] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٣٢

[6] الفروق اللغوية للعسكري ص١٢٩

■ الإكراه

الإكراه لغة:

يقال أكرهته أي: حملته على أمر هو له كاره (والكُره) [illegible] بالضم: المشقة، وأكرهته على الأمر إكراهاً: حملته عليه قهراً، يقال: فعلته كرهاً بالفتح، أي إكراهاً[١]

الإكراه اصطلاحاً:

الإكراه: حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد الشديد[٢]

الصلة بين الكره والإكراه:

الإكراه من الألفاظ المقاربة للكره معنى، فالإكراه بمعنى الإجبار على فعل الشيء، والكره إما أن يكون الإجبار من الغير فيكون إكراهاً، وإما أن يكون من الداخل فيكون كرهاً.

■ الحب

الحب لغة:

(الحاء والباء أصول ثلاثة: أحدها اللزوم والثبات، والآخر الحبة من الشيء ذي الحب، والثالث وصف القِصَر)[٣]

الحب اصطلاحاً:

(انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه)[٤]

الصلة بين الحب والكره:

الحب من الألفاظ المضادة للكره، لأنهما متضادان، فالحب انجذاب النفس إلى الشيء المرغوب به، والكره نفور النفس من الشيء الذي ترغب عنه.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور [illegible]، المصباح المنير للفيومي [illegible].

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص[illegible].

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢٦.

(٤) التعريفات للجرجاني ص[illegible].

[illegible] صفة الحب [illegible]

إن الله تعالى أثبت لنفسه صفة الحب في القرآن الكريم أو في سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، [illegible] الصفات التي أثبتها الله في أكثر من آية وكذلك أثبتها رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، فيجب أن نثبت ما أثبته الله ورسوله بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل في ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ووردت صفة الحب في القرآن الكريم في عدة مواضع:

١- ﴿[illegible] إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٢- ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ومن أحاديث السنة في إثبات صفة الحب لله تعالى:

عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[1].

وكتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن اكتب إلي بشيء سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[2].

والشاهد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أننا نثبت لله عز وجل صفة الحب كما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً كما أثبته لنفسه وكما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، وهذا هو مذهب السلف الصالح.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه رقم ٦٥٠٧، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه رقم ٢٦٨٣.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ما يكره من قيل وقال رقم ٦٤٧٣، ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه رقم ٥٩٣.

به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه"[2]

ويدل على الصفات التي هي في [illegible] الجلالية كصفة الرحمة والرضا والغضب والرضا [illegible] ويصرفونها على ظاهرها مع تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين، فيقولون إن لله تعالى محبة تليق بجلاله [illegible] الرحمة التي والغضب ويؤولون ما يرد من النصوص في ذلك فيرجعونه إلى النعمة أو إلى الإرادة فيقولون الرحمة هي الإحسان بالفعل أو إرادة الإحسان يحتج من لا يحسن هذا التأويل بل يقولون إن الرحمة تدل على الانفعال الذي هو رقة القلب المخصوصة على الفعل الذي يترتب على ذلك الانفعال وكذلك إن هذه الأشياء إن أطلقت على الرب تعالى يراد بها الغاية التي هي أفعال [illegible] التي هي [illegible] وأما لله الفعل والقول مخلوق على تنزيه الله تعالى عن مشابهة البشر يحسن أن نجمع بين النصوص فنقول إن لله تعالى محبة حقيقية وإنها ليست كالمحبة البشرية، وإن له رحمة ليست كرحمة البشر، ومثلها القول في سمع ما أطلق عليه تعالى جمعا بين النصوص ولا ندعي أن إطلاق بعضها حقيقي والإطلاق البعض الآخر مجازي، كما أن القدرة شأن من شئونه لا يدرك كنهه ولا يجهل أثره فكذلك الرحمة شأن من شئونه لا يدرك كنهه ولا يجهل أثره، هذا هو مذهب السلف الذين لا يؤولون إن هذه الأشياء لا يعلم لها معنى بشري، ولا يؤولون إلا على ظاهرها بمعنى أن رحمة الله كرحمة الإنسان لما قام الدليل بناء على ذلك في الحقيقة بمعنى الظاهري ومعاني العربية لا تفرقة بين صفات الله تعالى ولا يجعلون بعضها محكما إطلاقه عليه تعالى حقيقيا وبعضها متشابها إطلاقه عليه مجازيا بل كل ما أطلق عليه تعالى أمر حقيقي[3]

---

[2] شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس.

[3] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج 3/ [illegible]

الكره نوعان

إن أساس الكره هو الكره الطبعي والكره العقلي أو الشرعي كما في مفردات القرآن للراغب حيث يقول بعد بيان معنى الكره: والكره على ضربين: أحدهما(١):

المضمون: ما يعاف من حيث الطبع.

والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع.

ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأكرهه، بمعنى أني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع.

فالكره الطبعي هو النفور الطبعي الجبلي من الشيء، فكما أن الإنسان يحب الشيء بطبعه كذلك يكره الشيء بطبعه، والله عز وجل هو الذي جبل البشر على الحب الطبعي والكره الطبعي، ولا يحاسب عليهما. والكره العقلي أو الشرعي: إذ العقل أو الشرع هو الذي يحدد ما يضر في الدنيا والآخرة، وذلك مثل كره الرجل للقيام من نومه لصلاة الفجر أو قيام الليل، وكرهه للجهاد الشرعي للقتل أو الجرح أو القطع أو الضرب أو السجن، وكرهه لإخراج الزكاة من ماله الطيب، وكرهه للامتناع عن الطعام والشراب والجماع، فهذه الأمور كلها يكرهها الإنسان بطبعه، ولكن بما أن الله أمر بها يتحول هذا الكره إلى حب لسعيه لإرضاء لله عز وجل. للحديث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حفت الجنة بالمكاره»(٢).

والكره الطبعي غير محاسب عليه الإنسان، أما العقلي أو الشرعي فإنه الكره المحمود والمطلوب، الكره لأجل الله عز وجل كره محمود، والكره لأجل الدنيا فهو كره مذموم، وسنذكر ذلك بوضوح مع الأمثلة في مبحث خاص.

ومن خلال النظر والتدبر في الآيات التي تتحدث عن الكره رأيت أنها أرادت من الكره الطبعي والكره العقلي أو الشرعي.

قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

الكره هنا أي الطبعي للقتال، فطبيعي على كرهه وعدم حبه، وذلك لما فيه من المشقة على الجسم بما يتحمل من فيه الجروح ونحو الأعضاء، والمشقة على النفس بالمعاناة، والمشقة بمفارقة الأهل والبلد والولد.

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم ٦٤٨٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٢.

عليهما الترحم ومع ذلك فالمسلم يحب حكم الله ولا يكرهه، وهذا أيضا حال كل الزوجة من أنه يتزوج عليها زوجها امرأة أخرى فهي مع ذلك تحب حكم الله بالتعدد ولا تكرهه.

وقال د. صالح المغامسي: [illegible] القتال شاق على النفس [illegible] يعني الكره، وبخاصة لضعاف الإيمان، وإن [illegible] [illegible] النفوس [illegible] [illegible] الناس [illegible] [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] له [illegible] وذلك [illegible] مطلوب مرة من قبل المجاهدين الصادقين.

وقال الزجاج: ومعنى كراهيتهم القتال أنهم إنما كرهوه على جنس غلظه عليهم ومشقته لا أن المؤمنين يكرهون فرض الله لأن الله تعالى لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح[2]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم مدارج السالكين: وليس من شرط الرضى ألا يحس بالألم والمكاره بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه ولهذا أشكل على بعض الناس الرضى بالمكروه وطعنوا فيه وقالوا هذا ممتنع على الطبيعة وإنما هو الصبر وإلا فكيف يجتمع الرضى والكراهة وهما متنافيان والصواب أنه لا تناقض بينهما وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضى كرضى المريض بشرب الدواء الكريه ورضى الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها[3]

ويعرض سيد قطب في ظلال القرآن لحكمة الله من فرض القتال رغم مشقته والإشارة إلى حكمة أخرى [illegible] المشقة فيقول: إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة ولكنها فريضة واجبة الأداء واجبة الأداء لأن فيها خيراً كثيراً للفرد المسلم وللجماعة المسلمة وللبشرية كلها وللحق والخير والصلاح والإسلام يحسب حساب الفطرة فلا ينكر مشقة هذه الفريضة ولا يهون من أمرها ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر ويسلط عليه نوراً جديداً إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق ولكن وراءه حكمة تهون مشقته وتسيغ مرارته[4]

إذاً هناك فرق بين من يكره القتال في سبيل الله ومن يترك القتال في سبيل الله مع أنه فرض عليه، فالأول كره طبعي فهو يكره

---

(1) [illegible] المغامسي [illegible]

(2) لسان العرب لابن منظور [illegible]

(3) مدارج السالكين لابن القيم [illegible]

(4) في ظلال القرآن سيد قطب [illegible]

ما يتصل بالنفس من الصبر والتعلم والتحلي وعلم الفراسة فراسة طيبة مبنية على مصاحب عليه [illegible] الذي [illegible] شرعي عن طريق الله [illegible] أمر الله عز وجل [illegible] [illegible] من [illegible] لكن لم [illegible].

وفي قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ [البقرة: ١٥٥]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ٢]

كلمة الصبر [illegible] عظيمة في معانيها وآثارها مرتبطة بركن من أركان الإيمان الستة الذي لا يكتمل إيمان مسلم إلا به ألا هو الإيمان بالقدر خيره وشره، فالمؤمن لا يجزع ولا يقنط إذا أصابه شر من المصائب أو الأمراض أو ربما في حياته اليومية، فلا يدري أحدنا ما الخير الذي ساقه الله له والعكس صحيح فأحدنا يحسبه من الخير ويطلبه ويحرص عليه والخير في غير هذا الأمر لأنه شر، وإن القدرة الإلهية مطلقة.

ومثل هذا من القرآن الكريم عندما ألقت أم موسى ولدها في اليم بأمر من الله عز وجل، وفي هذا الأمر شر ظاهر فهو البحر الذي لا يأمن المرء على نفسه فيما فيه يقتل ويغرق، ولكن الله يعلم أين الخير [illegible] الله موسى في البحر ليحميه من القتل لزوجته وبنيه.

قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥]

إن حمل المرأة بجنينها شكل صعب [illegible] تسعة أشهر [illegible] الأمر الذي [illegible] ومن يصاحبها [illegible] هذا من الآلام المتكاملة [illegible] [illegible] [illegible] الأ ترغب المرأة في الحمل والإنجاب؟ ألا تتلذذ به وتستعذبه وتستأنس إليه لما هو قرة عين حملها ورضيعها بأنه [illegible] له صلة [illegible] [illegible] والحنين الآلام مع الآلام من [illegible] عند المرأة [illegible] [illegible][1]

إن المرأة الحمل والولادة لما لها من التعب والمشقة هو كره طبيعي [illegible] على المرأة مع الآلام التي تسبب الإنجاب والأطفال يجعلها سبب طبيعي [illegible] يتجمع الحب الطبيعي مع الألم الطبيعي.

[illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] في صورة حسية ملموسة، وتركيب الألفاظ وجرسها يكاد يجسم الجهد والجهد والنفس

---

[1] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بالعضلات. ﴿فكسونا العظام لحما﴾ ثم أنشأناه [illegible] أنه سميع بصير، يحيى ويتنفس ويتحرك ويأكل بالأقسام إنها صورة الحمل ومكانها في الرحم أيضا وصورة الرضيع وبالأخلاق.

ويتمم علم الأجنة هذا ما يكشف لنا في عملية الحمل من حكمة التصميم وروعتها في صورة حسية مؤثرة إذ البويضة بصورة الهيئة بالخلية المنوية تسمى الأمشاج بجدار الرحم وهي مزودة بخلايا آكلة تحول جدار الرحم التي تتعلق به وتأكله فتتغذى مع الأم إلى مراحلها حيث تسبح هذه البويضة الملتصقة دائما في بركة من دم الأم الغني بكل ما في جسمها من عناصرها واستعداداتها وأسمى.

ومن هنا أصبح تصميم الرحم ملائمة الاحتضان هذه البويضة والأم المسكينة تأكل وتشرب وتهضم وتحمي الجنين هذا كله تعطيها لهذه البويضة الشرهة النهمة الأكولة.

ثم الوضع وهو عملية شاقة ممزقة ولكن الأمر الوضع كلها لا تقف في وجه الفطرة ولا تنسي الأم حلاوة الثمرة ثمرة الفطرة. ويسبح الجنين بعد حياته الجنين وتحمله برحمة في البيئة وتمرحا

ثم الرضاع والرعاية حيث تعطي الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية وهي مع هذا راضية فرحة سعيدة رحيمة ودودة لا تمل أبدا ولا تكره تعب هذا الوليد. وأكبر ما تتطلع إليه من جزاء أن تراه يسلم ويكبر.

وفي آية أخرى يقول تعالى ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ⑭﴾ [لقمان: ١٤].

فهنا حمل المرأة وهنا على وهن، وفي الآية الأولى: حملته كرها ووضعته كرها والسر في ذلك هو أن في فترة الحمل تضعف المرأة وتزداد ضعفا كلما حملت أكثر من حمل، فتصور الكلمة ﴿وهنا﴾ بمعنى ضعفا، أما ﴿كرها﴾ بمعنى المشقة والتعب وهذا ليس خاصا في فترة الحمل فقط وإنما في الحمل والولادة المشقة مرتبطة بالأم طوال فترة الحمل وحتى وقت الولادة.

ومن عموم هاتين الآيتين تقدم أهل العلماء أن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر وذلك حيث النص الصريح من ثلاثين شهرا يبقى ستة أشهر، فالنظر هي أقل مدة الحمل فإنه يزداد العقل إلى هذه الفترة التي يبقى على قيد الحياة.

وقد اختلف الفقهاء في [illegible] الرضاع بالتفصيل أو بالنسب الوارد في الآيتين ٢٣٣

في ظلال القرآن، سيد قطب، ج [illegible] ٢٦

من سور البقرة، والتوبة ٥٣ من سورة النساء، والآية ١٥ من سورة الأحقاف، نقل ابن منظور هذا الخلاف عن أحمد بن يحيى قائلاً:

١- قرأ نافع وأهل المدينة في ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] بالضم في هذا الحرف خاصة وسائر القرآن بالفتح.

٢- عاصم وابن عامر يضم الكره التي في البقرة والتي في الأحقاف ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ويفتح سائرهن بالفتح.

٣- والأعمش وحمزة والكسائي وكذا خلف يضمون ما ضمه عاصم في التي في البقرة والتي في الأحقاف ويضمون التي في النساء ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩] بالضم وما سواها بالفتح.

٤- أهل الحجاز والبادية يفتحون كل ما في القرآن بالفتح إلا ما في البقرة خاصة فهو على الضم(١).

وفي توجيه هذه القراءات الواردة في الكره يقول العلامة ابن زنجلة: (قرأ حمزة والكسائي ﴿أن ترثوا النساء كرها﴾ بالضم، وقرأ البقرة بضمه والباقون بالفتح في الضم والفتح. قال ابن عباس من قرأ كرها بالضم أي مشقة، ومن قرأ كرها بالفتح أي إجبار أي أجبر عليه، جعل ابن عباس الكره فعل الإنسان، والكره ما أكره عليه صاحبه. قال: كرهت الشيء كرها والكره على النفس كرهه كذا. أبو عمرو: والكره ما كرهته، والكره ما استكرهت عليه، ويحتج في ذلك بقوله الله جل وعز: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾، وقال الأخفش: هما لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر، وقيل: الكره المصدر، والكره كرها مثل ضعف ضعفا، والكره اسم المفعول به)(٢).

قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧]

الآية الكريمة تبين قضية بأن اسم الإنسان لأنه الإنسان المكرم، لأنه طبعه وذلك لاجتماع العنصر الطيني بعنصر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على أن العلم [illegible] جبلة الأنفس على

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٥٣٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤٨)، والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران (ص١٧٧)، وحجة القراءات لابن زنجلة (١٩٦-١٩٧).

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة (١/ ١٩٦).

كرامته وبقاء إنسانيته.

يقول الشوكاني في معنى الآية: (مثل سبحانه الغيبة بأكل الميت؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. ذكر معناه الزجاج. وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه، وأنه كما يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه، وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتوبيخ لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلاً عن كونه محرماً شرعاً)(2)

ويقول ابن عاشور: (التمثيل هنا [illegible] الاستفظاع [illegible] فمن [illegible] بما يكره منه من الممثل به فإنه لا يستطيع [illegible] أو [illegible] الممثل وهو الغيبة [illegible] قيل: فاكرهوا الممثل كما كرهتم الممثل به)(3)

وفي الآية توجيه إلهي تربوي [illegible] سورة الحجرات [illegible] علم [illegible] والتعليم [illegible] إلى التي [illegible] قوله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الحجرات: 12].

[illegible] خطورة [illegible] إلا [illegible]

القضية ممن يظلمني؟(1)

ولو نظرنا إلى مجالس المسلمين أو حتى في مواقع التواصل الاجتماعي على الشبكة العنكبوتية لوجدناها مليئة بالسخرية، والغيبة والنميمة، فيتكلم الناس عن بعضهم البعض دون أدنى نظر إلى مدى بشاعة تشبيه الله الغيبة بقول يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟

والأسف لم ينج من هذه المعصية إلا من رحم ربي، فقد [illegible] الغيبة والسخرية بين الرجال والنساء العالم والجاهل على السواء.

فالواجب أن نبتعد كل البعد عن الغيبة، وتتبع [illegible] المسلمين [illegible] وأن لا [illegible] لمن [illegible] الذي [illegible] [illegible] ويكون [illegible] حتى لو لم [illegible] بكلمة.

وليكن ﴿[illegible]﴾ [الحجرات: 11].

كما أمر [illegible] من [illegible] من المؤمنين [illegible] [illegible] لا [illegible]

[illegible] المسلم [illegible] المرأة [illegible] والأولاد [illegible] المسلم [illegible] [illegible] على هذه الأمور [illegible]

---

(1) [illegible]

(2) فتح القدير، الشوكاني، [illegible]

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible]

البشرية، وهذا مثل ذكر المسلم الوضوء باسمه الوارد في النصوص الشرعية، وليس هذا من باب ذكر حكم الله بصاحب الوضوء، فالثابت عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إسباغ الوضوء على المكاره"[1]

ومن باب التفريق بين الذكر الطبعي والذكر الشرعي أسوق مثالاً يجمع بينهما وهو ذكر الرجل لزوجته الثانية، فالله أمره أن أمره بالعدل وهذا ذكر شرعي، وفي طرفه ذلك لم يحرم ميله القلبي لأن الطبعي أن يحب الرجل زوجته حتى لو كانت على الكفر، وذلك مثل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب الذي مات على غير الإسلام، فحبهم حب طبعي غير مؤاخذ عليه، وذكرهم ذكر شرعي يجوز عليه إلا كان لأجل الله وليس لأمر دنيوي.

أنواع الذكر

من خلال التدبر في القرآن الكريم نستنتج أنواع الذكر، وهما الذكر المحمود والذكر المذموم، فما كان لأجل الله فهو محمود، وما كان لأجل الدنيا فهو مذموم، والمحمود يغلب الأصلح، أما المذموم فيغالب الصلاح ويضمحل في مقابلته كليا.

أولاً: الذكر المحمود

الذكر المحمود هو الذكر الذي يكون لأجل الله تعالى، وهذا يصاحب صاحبه بعد انتهاء فعله، ويصاحب ذكراه، وذلك مثل ذكر الذكر الطيب وذكر الطبعي لصحبته والناس للسعي والمسابقة للخير، والدليل على هذا النوع من الذكر قول الله تعالى: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ۞ إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ⑩ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦]

أما ذكر شعيب ومن آمن معه للعودة إلى الكفر هو ذكر مذموم للمستكبرين، حيث دعوه والذين آمنوا معه إما الخروج من القرية وإما أن يعودوا إلى ملتهم، أي هذا الكفر، رد شعيب عليه السلام بقوله: ﴿ أولو كنا كارهين ﴾ أي: نخرج من ملتنا أو نعود إلى الكفر حتى ولو كنا كارهين، فلا نستطيع هذا الإكراه.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم ٢٩.

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

والكره الشديد يبنى عليه عقيدة البراء التي تعد شرطاً من شروط الإيمان، والبراء هو البغض لكل ما يبعد عن دين الله تعالى من الأصنام المعبودة والمعبودات والأهواء والآراء، ويبغض الكفر ويعاديه ويعادي أهله الكافرين ومعاداة الكفار لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

حب الله في هذه الرحلة التي يحفظ الموجودة الآن من أن الحسن عند المؤمنين فلا تجد العزة عند بعض المسلمين في الثقة بالمبادئ فمنهم من يخجل من هويته الإسلامية، وآخر يخجل من ثقافته والآخر يعاني ويلح عصره الأجنبي بالثقافة الأجنبية أو من بيئة الغرب في بلاد المسلمين الكفر من هؤلاء الهيمنة المحكمة وسيطرة الأعداء والبعد عن الله وتأثير في العالم، وهي لا العزة مستمدة من الله تعالى فإن العزة لله ولرسوله ولأهل الإيمان الكثير من المسلمين عندهم العزة في الوطن والمناصب لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

ثالثاً: الكره المذموم:

هو الكره الذي يكون لأجل الشيطان وهذا حرام شرعي حسب الهوى فحسب ويجب الترك مثل كرههم الصوفيين لا لشيء إلا أنهم يعبدون الله تعالى، وكرههم أهل الصلاح المنقادين لله تعالى.

والكره المذموم ينقسم إلى قسمين:

أولاً: كره مخرج عن الملة، وهو الكراهية لأمر الله ورسوله، وذلك مثل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان رقم (١٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (٤٣).

(٢) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء [illegible] ص [illegible]

كراهية شيء معلوم من دين الله وكراهية وسب أو تحسين شيء من دين الله مع علمه، والكراهية لبعض حكم الله، ويدل قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ⑨﴾ [محمد: 9].

فالله عز وجل أحبط أعمالهم بسبب كرهوا ما أنزل الله على رسوله وهو القرآن، فهذا الكره هو الكره القلبي المناقض وليس كرها طبعيا.

وكذا كره الكافرين والمشركين [illegible] لتوحيد [illegible] الحق من القرآن الذي أنزله الله [illegible] كما الله عنهم في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ㊺﴾ [الزمر: 45].

فالذين هم [illegible] والمشركون هم [illegible] كرهوا ما أنزل الله [illegible] هو كره عقلي.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ㉘﴾ [محمد: 28].

أسخط الله أسخطهم لأنهم كرهوا رضوانه واتبعوا ما أسخطه، وكرههم كره عقلي لهذا أحبط الله أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ⑳﴾ [المؤمنون: 70].

ومع أنه حق إلا أنهم كرهوه، الكره هنا ظاهر أنه عقلي اعتقادي وليس كرها طبعيا لسخطهم الله عليه وسخطهم به.

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ⑬﴾ [الشورى: 13].

[illegible] الله [illegible] من طريق الأنبياء والرسل [illegible] الأمر بتكفيرهم [illegible] الطبيعة التي [illegible] الحق في [illegible] الأنبياء في القلب الكافر ظاهر أنه عقلي اعتقادي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: 54].

فهنا كرههم للإنفاق هو كره عقلي اعتقادي وليس كرها طبعيا فسخطهم الله على هذه الكراهية لأنهم كرهوا أمر الله [illegible] في الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7].

وهذا من قبيل [illegible] الطبيعي وهي [illegible] عن الجهاد بسبب كراهيتهم له [illegible] الكراهية ليست كراهية لما يلحق بالجهاد من تعب بل [illegible] لهذا الأمر ليس كرها طبعيا وإنما هو كره عقلي [illegible] على هذا الأمر [illegible].

وإذا نظرنا إلى حال المسلمين في عصرنا هذا لوجدنا العجب العجاب، فكم ممن يدعي الإسلام تجده يكره الإسلام والطاعات ويكره أحكام الله تعالى أو بعضها، وكم منهم يكره الإسلاميين، وكل من يلتزم بسنة النبي عليه الصلاة والسلام [illegible]، وكم منهم [illegible] أن [illegible] كله حتى لولا وجوده إلا الشهوات أو أنه [illegible] الذي [illegible] أو الشهوات أو الشبهات، ويكون ذلك الكره [illegible] مسلمونا.

ثانياً: كره غير مشروع من المسلم لأخيه العاصي

فالرحمة التي تتعلق بكثير من شرور الشيطان والتي تؤدي إلى المباغضة والتقاطع بين المسلمين مع أن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم هو المودة والمحبة والتسامح، إلا أن المسلم قد يجد في نفسه شيئاً على أخيه المسلم [illegible] التي يكره تربيته والمسلم الذي يكره [illegible] والأصل [illegible] كل تلك الأسباب حتى [illegible] [illegible] المسلم [illegible] [illegible] عنها.

ولقد كره الله للمسلمين القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال فعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[1]

دواعي الكره

إن دواعي الكره المحمود والمذموم دواعي كثيرة تؤدي إلى حصول الكره، ثم إلى الغضب أو العقاب، وسنذكر دواعي كل منهما على حدة:

أولاً: دواعي الكره المحمود

إن اختلاف الدين يؤدي إلى اختلاف المشاعر، فإن كان الدين واحداً فالمشاعر مبنية على المحبة، وإن كان الدين مختلفاً فالمشاعر مبنية على الكره؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة: 4].

الآية تبين أن سبب العداوة والبغضاء بين الناس هو مبني على الدين، فإن اختلف الدين صار العداوة والبغضاء، وإن اتفق الدين كان الحب والود، وكذلك تبين الآية أن المشاعر تتحول من البغض والكره إلى الحب بعد تحول الكفار إلى الإيمان.

أما فيما يتعلق في كره العاصي فيحب إيمانه ويكره معصيته فيحبه بقدر إيمانه

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة

باب ما يكره من قول وفعل، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم [illegible].

ولذلك بادر بعضهم إلى نفي الأخوة الإيمانية بسبب عدم التزامهم، وهذا رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله وكان يضحك رسول الله في الشراب فأتي به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي: لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله(1).

فإذن إن الحب القلبي الذي أقر المسلمين ليس شيئا واحدا، لأنه ما يتعلق بالزلات والرذائل من أساسه ويكثر صاحبه بمعرفته ومنه ما يعفى عن الزلات والرذائل ولا يقصده بكثرة بحيث تنتقص الإيمان ولا تحيله، وهذا لا يؤثر في كمال الإيمان وفي محقة الزلات والرذائل تكون مطابقا من المؤاخذة. أما الحب القلبي الذي يحقق الزلات والرذائل ويحقق أساس الإيمان فهو حب الكفر الأكبر، وأما الحب القلبي الذي لا يصل إلى حد الكفر الذي يحقق الإيمان ويدل على ضعف في محبة الزلات والرذائل فهو معصية المسلمين كالزنا كان أو سرقة أو المعصية بحيث يهلك [illegible] ولكنه لا يصل إلى درجة الكفر الأكبر لا ينفي أصل الإيمان إذ لا يزال في المسلمين من يحب المعاصي ويقترفها، ولم يكن ذلك يخرجه من أهل الملة، وهذا الحب قد يكون كبيرا من كبائر الذنوب، وقد لا يكون كذلك بحسب حاله المعصية وصحبه عمن أحب محبوبا لا ترتضيه الشرائع، فهذا الحب كبيرة، ومن أحب المعاصي والمناهي كالأغاني على أنها من [illegible] وهذا الفجور والشيء الذي بين أفعاله بعيدة الله تعالى، وأما الحب المباح فهو الحب الطبيعي كحب الظمآن للماء، وكحب الوالد لولده، وكالحب إلى الوالد لولده، وكالزوجين، أو الرجل لزوجه الحلال، أو المرء الذي أحسن إليه وأسلفه من المعروف، فهذا كله حب مباح ما دام لم يؤد إلى معصية الخالق [illegible] ومعصية الخالق، أما إذا أدى إلى [illegible] فإنه يصير إلى أحد القسمين السابقين بما فيهما من التفصيل(2).

٦/ مواقع الحب المحرم

أمراض القلوب

العشق يعد من أهم أسباب الأمراض بين القلوب، فإذا تمكن لم يكن يصح طبيبه [illegible] من الناس لا يكره العشق [illegible] قطعا بل يعرض له الزوال، وهذا عوامل الأمراض بين القلب والعقل [illegible]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة رقم ٦٧٨٠

(2) الزواج والزوجة بين العلم والجهالة، [illegible] العربي، ص [illegible]

أمراض القلوب، فقلما يخلو جسد من حسد، لكن على الكريم أن يخفيه، وهذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "والحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس؛ ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه"(1).

[illegible] في أمر الحسد والتحاسد بين [illegible] سبيل إلى الكراهية والبغضاء بين المسلمين. ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (آل عمران: [illegible]).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ (آل عمران: [illegible]).

[illegible] الحسد ويعد من أخطر الأمراض؛ لأن الكراهية الناتجة عنه [illegible] في قلب صاحبه [illegible] أما الكراهية بسبب [illegible]

وعلاج الحسد مشكل [illegible] النفس [illegible] المعالجة [illegible] الغزالي: [illegible] الله تعالى [illegible] ولا [illegible] من عباد الله تعالى [illegible] الله [illegible] القلوب [illegible] على [illegible] وراحتها"(1).

الغيبة والنميمة، [illegible] المتكلمات [illegible] إلى القلوب [illegible] والساعي [illegible] إليه، والخائن لمن يسعى به"(2).

وقد نهى الله عز وجل عن الغيبة والنميمة في سورة الحجرات [illegible] الظن [illegible] إلى الريبة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: [illegible]).

---

(1) أمراض القلب وشفاؤها، لابن تيمية، ص[illegible]

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، [illegible]

(2) بحر الدموع، ابن الجوزي، [illegible]

خلقه تعالى، ثم الغيبة بأكل لحم المسلم أخيه المسلم، وهل في ذلك أحد كراهة من أن يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت، فمن يغتاب غيره كمن يأكل لحم الميتة، وهذا دليل على الفعل القبيح، وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ⑩ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ⑪ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ⑬﴾ [القلم: ١٠-١٣].

والهماز كما قال ابن عباس وقتادة: هو المغتاب، والمشاء بنميم: هو الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة، وعن ابن عباس قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»(٢).

الإعجاب والكبر: كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(١).

وبطر الحق يعني: أن الكبر يتجلى من ترك الحق، وغمط الناس أي احتقارهم، والتكبر والتعجب بالنفس يكره الناس ويكرهه الناس، فلا يحتمل أن يقال شيء وهو لا يستطيع [illegible]، وما سبب طرد الله لإبليس من الجنة إلا الكبر واستعلاؤه، وما سبب إغراق فرعون إلا الكبر، وما سبب إهلاك النمرود إلا الكبر، وكذلك كل من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]، وقد نهى الله كل من تكبر بسوء العاقبة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»(٢).

والفرق بين الكبر والإعجاب هو أن الكبر في الغالب يسبقه الإعجاب حتى التكبر، وكلاهما مرض خطير، وكلاهما وراء [illegible] التكبر والعجب بالنفس.

الطلب سوف بين [illegible] الأخذ أو عن [illegible] أو وجهة نظر المسلمين [illegible] أو المواقف مع [illegible] وعلى [illegible] لا [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم [illegible].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم [illegible].

يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة:١١].

فالتفسح واجب شرعي مع جميع الناس حتى لو كان [illegible] بقليل ويتضرر.

التعدي على حقوق الآخرين: بالسطو على الممتلكات وعدم إعطائها لمن يستحقها فإنه يولد الكراهية، وقد حذر الله ورسوله من الاعتداء على الآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين)(٢).

فمن يتعدى على غيره لا يمكن للآخرين أن يحبوه بل سيكرهونه لظلمه وسلبه حقوقهم.

الكذب والنفاق: الكذب صفة مذمومة ونهى عنها نبينا فقال ذلك، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من غشنا فليس منا)(٤).

ولم يحدد رسولنا الكريم نوع هذا الغش بل هو عام في جميع أنواع الغش، سواء غش الناس في بيعهم وشرائهم أو غشهم عند النصح أو في الأمانة التي كانت عنده، فصاحب الغش سيكرهونه، فالظلمة والغشاشون مكروهون من الناس.

كثرة الغضب والعصبية في التعامل: الغضب والعصبية في التعامل مع الناس تجلب الكراهية وتبعد الناس من حول صاحبها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

التجسس: فالذي يتجسس على الناس ليكشف عوراتهم وأسرارهم كيف لهم أن يحبوه، فلقد نهى الله ورسوله عن التجسس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى

---

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب إثم من ظلم شيئا من الأرض رقم ٢٤٥٣، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها رقم [illegible].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب علامة المنافق رقم ٣٣، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق رقم [illegible].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا رقم [illegible].

والشحناء [illegible](١)

وقال ابن عثيمين: «التحسس [illegible] يطلع به المتجسس عليه بدون [illegible]»(٢)

الجدال للباطل أمر الله تعالى أن تكون المجادلة بالتي هي أحسن في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ لأن المجادلة غير الحسنة في نهاية الأمر تؤدي إلى الكراهية.

أما الغضب والتوتر [illegible] من أخلاق [illegible] الغضب [illegible](٣) [illegible] الغضب والتوتر [illegible] بين الناس مع أنه لا بد من الغضب والتوتر ولكن ليس على كل صغيرة وكبيرة [illegible] بعيدا عن [illegible].

٢- ضعف الإيمان

وإن ضعف الإيمان سببٌ لعدم الالتزام بأوامر الله ورسوله فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا إخوانا»(١).

لقد جاء النهي عن التباغض مع أنه لا يجد الإنسان سببا أكثر في ضعف الإيمان هو سبب [illegible] ظلم واعتداء على الآخرين، وسبب الكراهية والبغضاء والحقد والحسد وغير ذلك؛ لأنه [illegible] المشاحنة هي العقدة المتحكمة في كل مواقف الشحناء [illegible] يجب [illegible] عن كل ما يرضي الله وكراهية المسلم لأخيه المسلم من الأمور التي يحرص عليها الشيطان [illegible] إلى كل ما فيه [illegible] والإساءة.

٣- التفرق والاختلاف

اختلف العلماء المسلمون في كثير من المسائل سواء في الفرعية أم في الفروع [illegible] وأدى ذلك لظهور المذاهب الفقهية أو في مسائل أصول الدين [illegible] التعصب الذي أظهر الفرق الإسلامية.

والتعصب [illegible] للكثير [illegible] المذاهب [illegible] الأمة [illegible] التعصب [illegible] الأمة الإسلامية على مر العصور [illegible]

---

(١) أخرجه [illegible] في [illegible] كتاب البر والصلة [illegible] (٢٥٦٣) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم ٢٥٦٣.

الفرقة أدت إلى التنازع والتقاتل بين المسلمين، وعدم قبول الآخر لهذا نهى الله عن التفرق والاختلاف فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ (آل عمران: ١٠٥).

ومن الأسباب التي أدت إلى التفرق والاختلافات التعصب للرأي الحق من خلال التعصب في الأحزاب الوطنية أو القومية وغيرها من الأحزاب، أو التعصب إلى إمام من الأئمة أو عالم من العلماء، فالأتباع يكرهون بعضهم البعض، وكل منهم يتهم الطرف الآخر بدلاً من أن يمثل الجميع لمقاصد الإسلام والمسلمين ووحدة الوطن، مع أن الواجب على المسلمين حب المسلم للمسلم لا كراهيته بغض النظر عن مذهبه.

٤- الدعوة إلى عصبية النسب والجاهلية.

والإسلام نبذ العصبية بكافة أشكالها وصورها من عادات الجاهلية ومن مظاهرها ما فيها من الاستعلاء على الغير والتعصب الذي يؤدي إلى التناحر والتقاتل بين أفراد المجتمع الواحد من جهة وبينه وبين المجتمعات الأخرى من جهة أخرى، والعصبية لها مظاهر متعددة كالعصبية القبلية إلى جانب ما هنالك التعصب الحزبي والمذهبي والتعصب الطائفي والتعصب الجنسي والقرية وغيرها، وغير ذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

أثر كراهية شيء من أحكام الإسلام

وهنا لا بد أن نتحدث عن أثر الكره على السلوك الإنساني لأن الشعور بالكره هو من المشاعر الطبيعية ولا تخلو من الأخلاق [illegible] من الأمور الأخرى [illegible] العادية والعواقب السيئة على الفرد والمجتمع ولا بد من التنبيه عليها حتى نتجنبها ولا نقع فيها ومن ذلك ما يلي:

أولاً: الكره لآية أحكام الله.

١- نفي الإيمان عمن كره أحكام الله.

فالله تعالى حكم على [illegible]: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ⑧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ⑨﴾ [محمد: ٨-٩].

ولذا يحكم أهل العلم بأن الآية صريحة ﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [illegible] ما أنزل الله من الأحكام أو يكره شيئاً منها فإنه لم يعمل مسلماً من أهل المؤمنين لا يمكن أن يكره أحكام الله لقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ⑥⑤﴾ [النساء: ٦٥].

لذلك لأنهم لم يحكموا شرع الله فيما شجر بينهم ولأنهم وجدوا حرجاً شديداً من الحكم بما أنزل الله ورسوله ولم يسلموا تسليماً لما قضاه الله تعالى فقد أقسم الله بنفسه أنهم غير مؤمنين على حكم الإسلام.

٢- إحباط الأعمال.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ⑧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ⑨﴾ [محمد: ٨-٩].

لأنهم كرهوا ما أنزل الله فقد أحبط الله أعمالهم [illegible] قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ولأنهم كرهوا ما أنزل الله من أحكام الإسلام وكل مظهر من مظاهر الإسلام.

والله عز وجل لا يقبل من الكافرين عملاً [illegible] إلا لأنهم كفروا بالله وبرسوله فأحبط الله أعمالهم قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ⑤④﴾ [التوبة: ٥٤].

٣- التعس والهلاك.

فالله عز وجل حكم على كل من يكره ما أنزل الله بالتعس أي الهلاك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ⑧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ⑨﴾ [محمد: ٨-٩].

والتعس: الانحطاط والهلاك قال ابن

المتكبر: فليس له أن يكبر على ربه، والكبر أن يكبر على عباد الله، والكبر أيضا [illegible] [illegible] وهو ضد الأخلاق، [illegible] بعضهم بعضا.[1]

ويقول [illegible] موضحا هذا المعنى الذي [illegible] ما أقول [illegible] الكبر والتكبر [illegible] ﴿[illegible] كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ (غافر: 35).

1- العقاب في الآخرة:

فالله توعد [illegible] من كره [illegible] من المتكبرين [illegible] ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا [illegible]﴾ (الأعراف: 146).

ثانيا: آثار كراهية المسلمين لمجتمعهم المسلم:

أما المسلم الذي يكره غيره من المسلمين [illegible] لمجتمعه فهناك آثار كرهه [illegible] على النفس وعلى المجتمع وهي كما يلي:

حلق الدين والمودة بالحالقة الأخروية:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم».[2]

إن الآثار الأخرى [illegible] على [illegible] سواء على الناحية [illegible] أو على [illegible] من [illegible] ومن ذلك [illegible] على [illegible] من يكرهه أو [illegible] من [illegible] إلى [illegible].

2- القلق والاضطراب:

[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible].

3- [illegible] من الأجر الأخروي أو [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] وصلة الأرحام.

قال تعالى: ﴿[illegible]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 6/223.

[2] أخرجه الترمذي في [illegible] أبواب صفة القيامة [illegible]، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي [illegible] رقم 2038.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾
[التوبة: ١٠٥].

٤. اعمل، فسيرى الله عملك، ورسوله، والمؤمنون.

• اعلم، فسيرى الله علمك، ورسوله، والمؤمنون.

مازن يعرف التسبيح ويسبح.

يقول: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾
[الحديد: ١].

الإكرام والرحمة للمسنين

الكسب

كاصد الزيدي

مفهوم الكسب ٢٧٠

الكسب في الاستعمال القرآني ٢٧١

الاكتساب في اللغة ٢٧٣

[illegible] تعالى بكسب العباد ٢٧٤

نتائج الكسب في القرآن والحديث ٢٧٧

جزاء الكسب ٢٨١

مصادر البحث ٢٨٣

التمهيد

أولًا: المعنى اللغوي:

كسب: الكاف والسين والباء أصل صحيح، وهو يدل على ابتغاء وطلب وإصابة، فمن ذلك كسب أهله خيرًا، وكسبت الرجل مالًا فكسبه، وهذا مما جاء على فعلته ففعل[1]. والكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ، ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة ثم استجلب به مضرة. والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره[2]، والكسب: الطلب والسعي، الصرف والحيلة[3]، والكسب والتكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع[4].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: «الكسب: هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرر، ولا يوصف فعل الله بأنه كسب لكونه منزهًا عن جلب نفع أو دفع ضرر»[5].

وقال أبو حيان: «أصل الكسب: أصله اجتلاب الشيء، وقد جاء في اجتلاب الشر»[6]. وقال الطبري: «أصل الكسب: العمل، فكل عامل عملًا بمباشرة منه لما عمل ومعاناة باحتراف فهو كاسب لما عمل»[7].

ومنه يظهر أن الكسب هو جلب الشيء والسعي لتحصيله في الخير والشر، وفي هذه الحالة يكون من باب التحصيل والمباشرة والاستمرار، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١].

والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره، والاكتساب لا يقال إلا فيما استفاده لنفسه، فكل اكتساب كسب، وليس كل كسب اكتسابًا[8].

---

[1] انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/١٧٩.
[2] انظر: العين، الفراهيدي ٥/٣١٥، تهذيب اللغة، الأزهري ١٠/٧٩، الصحاح، الجوهري ١/٢١٢.
[3] انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص١٤٢.
[4] انظر: تاج العروس، الزبيدي ٤/١٤١.
[5] التعريفات ص١٨٤.
وانظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص٧٠٩، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص٢٨٠، الكليات، الكفوي ص٧٧٢.
[6] البحر المحيط ١/٢٣٩.
[7] جامع البيان، الطبري ٢/٢٧٣.
[8] انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٤/٣٦٤.

الكسب في المعجم المفهرس

وردت مادة (كسب) في القرآن الكريم (67) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	٤٣	﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②﴾ [المسد:2]
الفعل المضارع	٢٤	﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [النساء:[illegible]]

وجاء الكسب في القرآن على أربعة أوجه[2]:

أحدها: التجارة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة:267] يعني: من التجارة.

الثاني: الولد، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:2] يعني وما ولده لأنه كسبه.

الثالث: العقد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:225] أي: بما عزمتم.

الرابع: العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:286] أي: عملته.

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible].

[2] انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص.

[illegible]

الكدح

الكدح لغةً

(كدح) الكاف والدال والحاء أصلٌ صحيح يدل على الأثر في شيء [illegible] وكدحه إذا خدشه. ومن هذا القياس الكدح إذا كسب [illegible][1] والكدح: عمل الإنسان من الخير والشر. ويكدح لنفسه أي يسعى[2]

الكدح اصطلاحًا

سعي الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يؤثر فيه[3]

الصلة بين الكسب والكدح

الكسب يكون بجهد وبغير جهد وأما الكدح فلا يكون إلا بجهد[4]

الخسران

الخسران لغةً

خسر: الخسر: النقصان، والخُسران كذلك. والفعل: خَسِرَ يخسر خُسرانًا. والخاسر الذي وضع في تجارته [illegible] والخسار [illegible] أخسرته أي: نقصته [illegible] وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]

أي: نقصوا [illegible][5]

الخسران اصطلاحًا

هو ضياع الأعمال والأموال والأهل والأجر والثواب في الدنيا والآخرة بسبب ضلال السعي والإعراض عن دين الله.

---

[1] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]،
وانظر: لسان العرب لابن منظور [illegible].

[2] انظر: العين للفراهيدي [illegible]،
وانظر: المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية [illegible].

[3] انظر: معالم التنزيل للبغوي [illegible].

[4] انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص[illegible].

[5] انظر: العين للفراهيدي [illegible]، مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية [illegible].

الصلة بين النسب والمصاهرة:

النسب في الأصل يكون بالولادة والمصاهرة [illegible]

ج الاستفاضة

الاستفاضة لغة:

(فيض) [illegible] على [illegible] الشيء [illegible]

[illegible] استفاضة.[1]

الاستفاضة اصطلاحا:

الاشتهار [illegible].[2]

الصلة بين النسب والاستفاضة:

النسب [illegible] على [illegible] على [illegible] والاستفاضة على [illegible]

---

[1] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية [illegible] لسان العرب لابن منظور [illegible]

[2] انظر: الدر المختار للحصكفي [illegible]

[illegible] علم الله تعالى بكسب العبد

إن علم الله عز وجل محيط بكل شيء لا يخفى عليه شيء من عالم ما كان وما يكون وما لو كان كيف يكون، ومن هذا العلم [illegible] الإنسان [illegible] عليه [illegible] مثل علم الله [illegible] يكسب العباد من خير وشر.

أولاً: علم الله بكسب العباد من خير وشر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3].

يقول تعالى ذكره: إن الذي له الألوهية التي لا تنبغي لغيره المستحق عليكم إخلاص الحمد له بآلائه عندكم، أيها الناس، الذي يعدل به كفاركم من سواه، هو الله الذي هو في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى عليه شيء[1] [illegible] في السموات وفي الأرض [illegible] والملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون[2].

[illegible] الطبري [illegible] في هذه الآية [illegible]

[illegible] ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [illegible] يعلم ما يجري على الإنسان وما تخفي الصدور [illegible] الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء [illegible]

الوصف الثاني: أنه ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من خير أو شر [illegible] إلى يوم القيامة[3]

يستفاد من هذه الآية إثبات صفة العلم لله تعالى، [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وفي هذه الآية [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري [illegible]

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن [illegible]

[3] انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة [illegible]

الرعد: ٤٢.

أي: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورسله فلله أسباب المكر جميعًا وبيده وإليه لا يضر مكر من مكر منهم أحدًا إلا من أراد ضره به يقول: فلم يضر الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضره ذلك وإنما ضروا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم ونجى رسله، فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد والله منجيك من مكرهم وملحق ضر مكرهم بهم دونك فلا تبال يا محمد يعلم ما يعمل هؤلاء المشركون من قريش وما يسعون فيه من المكر بك ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم لا يخفى عليه شيء منه ومسيطرة إلا تقدر على تعمم ذلك لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة[1]

وهذا وعيد شديد وتهديد أكيد لكل الكافرين، وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمانًا من مكرهم[2]

ثانيًا: كسب العباد في المستقبل غيب لا يعلمه إلا الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان: ٣٤.

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، قال تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأعراف: ١٨٧.

وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه. وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى أو شقيًا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه. وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب[3]

وأما تخصيص هذه الأشياء حيث علمه محيط بجميع الأشياء فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

---

[1] انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

[2] انظر: [illegible] [illegible].

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

سبحانه محيط بالظواهر والبواطن، بالخفايا والجلايا والسرائر، ومن حكمته تعالى أن أخفى علم بعض المغيبات عن العباد لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تأمل[1]

وبيّن أنه سبحانه المولى عز وجل علمه المطلق الشامل لمفاتح الغيب ومفاتيحه فقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات الدالة على علمه المحيط وأنه شامل للغيوب كلها التي يطلع منها ما شاء من عباده، وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار من الحيوانات والأشجار والرمال والحصى والتراب، وما في البحار من حيواناتها ومعادنها وصيدها وغير ذلك مما تحويه أرجاؤها ويشتمل عليه ماؤها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ من أشجار البر والبحر ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ من حبوب الثمار والزروع وحبوب البذور التي يبذرها الفلاح وغيرها من أصناف النباتات إلا في اللوح المحفوظ[2]

ويستفاد من الآية أن كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس أو غيرهم كاذب يجب تكذيبه ومعاقبته، وأما من ادعى العلم من الله بواسطة الآلات الحديثة أنه عرف ما في بطن المرأة فهذه المعرفة ليست داخلة في معنى الآية لأنها بمثابة من علم الطب ونظر ما فيه [illegible] وذلك أن [illegible] [illegible] من كل أحد إلا الله في [illegible] أنه في بطن امرأة ذكر أو أنثى [illegible] ولا يستطيع أن يعرف ما في بطنها [illegible][3]

جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم النفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر[4]

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

[2] انظر: المصدر السابق، ص[illegible]

[3] أيسر التفاسير، الجزائري، ٢/ ٦٣.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر، ٢/ ٣٣، رقم ١٠٣٩.

أنواع الكسب في القرآن وصوره

إن الكلام عن أنواع الكسب كثير ومتعدد ويحتاج الاختصار في هذه السطور على عدد من أنواع الكسب في القرآن الكريم من خلال كسب الصالحات وكسب السيئات وكسب الأموال.

أولاً: كسب الصالحات.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٨

يبين المولى عز وجل في هذه الآية أن كسب الصالحات متعلق ومقبول قبل طلوع الشمس من مغربها أما بعد ذلك فجميع الأعمال الاختيارية لا اعتبار لها قيمة لها حيث بين المولى عز وجل أنه في هذا اليوم يحل التكليف الذي عرف عنه السابقة لأنها حالة لا تنفع نفسا من الإقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانيته لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقا وبفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك[2].

ويستفاد من هذه الآية أن على الإنسان أن يبادر بالأعمال الصالحة والتوبة النصوحة قبل أن يفاجئه الموت أو أن تأتي الساعة بغتة.

جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين ﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾»[3]

وفي آية أخرى يبين المولى عز وجل حال المؤمن الذي يعلم جيدا وجه الله ويسعى لمرضاة الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

أي: ومنهم من يطلب خير الدنيا والآخرة

---

[2] انظر: جامع البيان، الطبري، ١٢/ ٢٦٦، ٢٦٧. التفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٨/ ١٥٤.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لا ينفع نفسا إيمانها، ٤/ ١٦٩٧ رقم ٤٣٥٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ١/ ١٣٨ رقم ٢٦٢.

جميعًا لا حظوظ الدنيا وحدها فإنها كالعدم في الآخرة.

وقد اختلف المفسرون في تعيين الحسنة هل هي العافية أو الكفاف أو المرأة الصالحة أو الأولاد الأبرار أو المال الصالح أو العلم والعبادة أو غيرها والطاعة.

والظاهر أن ﴿حَسَنَةً﴾ وصفت لمحذوف أي: حياة حسنة، فالظاهر أن المراد حياة البر حسنة لكونه سببًا في الآخرة لمن دعا الله تعالى بعد إسلامه التوجه بسعادة الدنيا والآخرة، والحياة الطيبة لوحدها يكون موجبًا بالآية، ومن كانت له حاجة خاصة فيعدها أنها من حسنة هي حسنة فهو مؤمن ويدخل على ألسنتهم التي في حسنة الآخرة أيضًا النيل الجنة، ونيل الرؤية، والنظر في مطالب أخرى، وقد يسرت الآية صريحًا أنهم يصلون ما دعوا الله تعالى به يكسبون ويثابون على حسن تعملهم، وإنه لا بد أن يكون طلب الإنسان حاجة إنما في نفس من الصبر والحاجة إلى الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب والسعي في الطرق التي هي سنة الله تعالى. ولهذا قال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ولم يقل لهم ما طلبوا والمعنى: أنهم لهم كلهم ويطلبون الدنيا بأسبابها ويسعون للآخرة بسعيها كلا لهم حظ من كسبهم هذا في الدارين على قدره[1].

يستفاد من الآية أن على الإنسان أن يأخذ بالأسباب، ولا يكتفي بالتوكل على الله لأن التوكل الحقيقي على الله يكون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على مسبب الأسباب وهو الله تعالى، وأن الاعتماد على الأسباب بالكلية قدح في الشرع، كما أن ترك الأسباب بالكلية قدح في العقل، والأخذ بالأسباب جزء من حقيقة التوكل على الله.

جاء في الصحيحين عن أنس قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[2].

ثالثًا: كسب السيئات:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]

في هذه الآية يبين لنا المولى سبحانه وتعالى صورة من صور كسب السيئات وهو الشرك بالله تعالى حيث ذكر الكسب وهو طلب النفع والمصلحة هنا في السوء

---

[1] انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٢، ص٢٣٢.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، (٨/ ٨٣) رقم (٦٣٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ٢٠٧٠) رقم (٢٦٩٠).

هو من باب التكبر وأصحاب الأعراف في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالإنسان [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والدليل من قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ وأصحاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في النار(1)

ومن صور كسب السيئات الفعل الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس: 27).

حيث بينت الآية الكريمة [illegible] أن الله تعالى سيحاسب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والمؤاخذة والحبس يوم القيامة حيث يقول تعالى [illegible] نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ويوم﴾ [illegible] ﴿أولئك أصحاب﴾ من الله [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] إلى الله تعالى [illegible] [illegible] بالسيئات(2)

ويستفاد من الآية وجوب الإعراض عن [illegible] [illegible] [illegible] والتطهير من [illegible] [illegible]

ومن صور كسب السيئات القول مع النية قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 176).

القراءات: (يحزن) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الزاي، وقرأ [illegible] بضم الياء وكسر الزاي(3)، ومعنى القراءة بفتح الياء وضم الزاي: ما كان [illegible] أن يحزنه [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] وعلى القراءة الأخرى بضم الياء وكسر الزاي يكون المعنى: ما كان ينبغي أن يحزنوك [illegible]

---

[1] انظر: التفسير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

[3] انظر في القراءات: النشر، ابن الجزري [illegible]

بالغيب.

في هذه الآية ينفي تعالى عن رسول من أنبيائه صفة الغلول، وهي من الكبائر التي نهى الله عنها، توعد فاعلها بالعذاب الأليم لما فيه أكل المال بغير حق، وعقوبة من يغلل [illegible] من غل شيئًا يأتي به يوم القيامة يحمله على ظهره [illegible] ثم يحاسب عليه كاملًا ويجازى به كما قال: كل نفس بما كسبت من خير أو شر ولا تظلم نفس شيئًا لأنه تعالى أعدل من الظلم [illegible](1).

ويستفاد من الآية عصمة النبي من الغلول والخيانة، ووجوب [illegible] منه أيضًا [illegible] من الأشكال وخاصة في زماننا من أشكال الإسلام [illegible] [illegible] يا رسول الله [illegible].

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال: ألا لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك(3).

ومن صور كسب الشيطان التولي يوم الزحف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

تتحدث الآية عن الصحابة الكرام الذين انهزموا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القليل منهم، وذلك استزلال الشيطان على قلوبهم وهي الخطيئة بسبب الغنيمة لتركهم مركزهم الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم مغادرته [illegible] من الطاعة ما [illegible] من الوقوع(4).

ويعد التولي يوم الزحف من الكبائر بل هو من الموبقات السبع التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات(5).

ومن صور الكسب السيء كسب القلوب

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي [illegible]

(2) انظر: [illegible] [illegible] أيسر التفاسير للجزائري [illegible]

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول، [illegible] رقم [illegible]

(4) انظر: [illegible]

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، [illegible] رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها [illegible] رقم [illegible]

والمعاصي صورًا كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: [illegible]].

أي: ومن يأت ذنبًا على عمد منه له ومعرفة به فإنما يجترح وبال ذلك الذنب وضرره وخزيه وعاره على نفسه دون غيره من سائر خلق الله[1].

ومن صور كسب السيئة إيذاء الأبرياء والإكراه عليهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: [illegible]].

أي: من ارتكب خطيئة أو إثمًا ثم اتهم به بريئًا فقد ارتكب جريمة [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible][2].

ومن هذا الإيذاء والإكراه إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: [illegible]].

أي: ينسبون إليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه وهذا هو البهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين[1].

قيل: إنما نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليًّا رضي الله عنه، وقيل: في أهل الإفك، وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات[2].

جاء في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري [illegible].

[2] انظر: تفسير المراغي [illegible].

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

[2] انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي [illegible].

ومنها

ثالثاً: كسب الأموال.

الكسب الطيب والمال الحلال ينير القلب ويشرح الصدر ويورث الطمأنينة والسكينة والقناعة من الله ويعين العبد على الطاعة والعبادة، ومن أسباب قبول العمل الصالح وإجابة الدعاء. أما الكسب الحرام فإنه شؤم وبلاء على صاحبه بسببه يقسو القلب وينطفئ نور الإيمان ويحل غضب الجبار ويمنع إجابة الدعاء، فالمال الحرام ممحوق الأجر، ممحوق البركة والمحصول، إذ صرفه صاحبه في بر لم يؤجر، وإن بذله في خير لم يشكر، ثم هو لأوزاره مستحق بحمله صاحبه.

ومن صور كسب الأموال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب ومما أخرج لهم من الأرض، فكما من عليكم بتسهيل تحصيله فأنفقوا منه شكراً لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم وتطهيراً لأموالكم، واقصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ الرديء الذي لا ترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عنكم ونفع صدقاتكم وأعمالكم عائد إليكم ومع هذا فهو ﴿حَمِيدٌ﴾ على ما يأمركم به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة، فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب وحياة القلوب ونعيم الأرواح(١)

يستفاد من الآية أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ومن هنا ينبغي على الإنسان أن يتحرى الكسب الحلال وإنفاقه في سبيل الله.

جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢).

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»(٢)

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب

أخرجه مسلم، كتاب [illegible]، باب [illegible] العمل [illegible]، رقم ١٠١٥.

روي في الصحيح قوله: إنه (كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه)(2).

ومن صور كسب الأموال غير الحلال: {لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (المائدة: 63).

فالسحت [illegible] تحريف [illegible] من عند الله [illegible] في [illegible] الوعيد والتهديد الأكيد [illegible] الذين يكتمون الكتاب [illegible] على [illegible] بما [illegible] من عند الله [illegible] من الكتاب [illegible] ما لا [illegible] [illegible]

[illegible] وغير ذلك مما هو [illegible] وكل ما يؤخذ به [illegible] [illegible] الأكثر [illegible] من [illegible] من جانب [illegible] ومن جانب [illegible](3).

ويستفاد من الآية أن المنصب الذي بين يدي اليهود والنصارى لا [illegible] يمكن أن [illegible] في [illegible] لا يمكن [illegible] ولا [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] عن [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] كيف يمكن أن [illegible] من [illegible] ما لا [illegible] [illegible](4)

---

(1) [illegible] من الكتب [illegible] رقم ٩ ٢٣

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية ج3 رقم ٣٨٤٢

(3) [illegible] ٣٩٨

(4) [illegible] في الآيات [illegible] ص ٤٣

[illegible]

من جمال [illegible] تعالى عدله في محاسبة خلقه فلا يحاسبهم إلا بما عملوه ولا يعاقبهم بالعقوبة ولا يؤاخذهم إلا بما اقترفته أيديهم مع العفو عن الكثير ومن مظاهر هذا العدل:

أولاً: كلٌّ مرهون بكسبه

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

من رحمة الله وعدله أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يحاسبها إلا بما اجترحت وعملت من خير اكتسبتها عليه جزاء بما عملت من شر ليجازيها عليه شراً(١).

جاء في الصحيح عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(٢).

ومن صور ارتهان العبد بكسبه ما يبين فضل الله على المؤمنين برفع درجات ذرية الصالحين إليهم وليس كذلك الأبناء الكفار فلا عزة من عملهم ولعل أبلغ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وهذا من تمام نعيم أهل الجنة أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعاً لهم بالإيمان ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم فهؤلاء المذكورون يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها جزاء لآبائهم وزيادة في ثوابهم ومع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئاً وحتى لا يتوهم متوهم أن أهل النار كذلك يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم بيّن تعالى أنّ كلّ امرئ مرتهن بعمله فلا تزر وازرة وزر أخرى ولا يحمل على أحد ذنب أحد(٣).

ومن الآيات التي تدل على أن الكافر مرهون بكسبه مطلقاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤١].

حيث يقول تعالى مخبراً أن كل نفس مكتسبة مرتهنة بما عملت من معصية الله في الدنيا رهناً في جهنم مرتهنة بمعصيته لا تنفك منها ولا في رهانها باستثناء جاء به الخطاب إلا المؤمنين فإنهم غير مرتهنين

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/ ١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة ٦/ ١٨٨ ح

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨١٤.

[illegible] في [illegible] [illegible] من المفسرين[1]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 111]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: 164]

في هذه الآيات تحديد المسؤولية حيث لا يؤخذ أحد بجريرة غيره، ولن يحمل [illegible] أن يقع عليه جزء [illegible] في [illegible] الذي علم سبحانه بعلم عمل كل عامل من خير أو شر فيجزيه بالخير خيرا وبالشر شرا، وذلك كما يقتضي بالله عدله وحكمته[2]

ومن حكمة الله أن يجازي كل عامل بجنس عمله الذي عمله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 11]

فهي في الذين جاءوا بحديث الإفك وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة جماعة محصورة (منكم) [illegible] المسلمين- لا تحسبوه [illegible] [illegible] في الخير لكم [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] المؤمنين ونزاهتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتمحيص المؤمنين، لكل امرئ منهم [illegible] جزاء عمله من [illegible] والذي تحمل معظمه وهو عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين -عليه [illegible]- له عذاب عظيم في الآخرة وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار[3]

ويظهر من الآية حرمة الطعن بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من الكبائر التي توعد الله عليها بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ومن هنا كان لا بد للأمة أن تبتعد من [illegible] [illegible] من عرض رسولها صلى الله عليه وسلم من أزواجه اللاتي [illegible] في [illegible] [illegible].

وكما أن كل إنسان مرهون بكسبه فكذلك الأمم لا تؤاخذ بعضها بعمل بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134]

حيث يخاطب القرآن [illegible] [illegible] اليهود والنصارى [illegible] [illegible] [illegible] اليهود والنصارى [illegible] [illegible] إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم

---

[1] انظر: المعجم [illegible]، ص [illegible].

[2] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، [illegible]، التفسير الوسيط، طنطاوي، [illegible].

[3] انظر: التفسير [illegible] [illegible] [illegible] التفسير [illegible].

يقول: يزوره حاكم قبيلة طاعنا واعدا من أجل أن يعطيه ما يريد، فيقول له: ما أريد منك إلا أن تعطيني ما أريد، فيقول له: ما حصلت من خير وأتى به ما صاحبي إلا وكان أطيب فيه منك، فيقول له: ما أريد منك إلا أن تعطيني ما أريد، فيقول له: ما رأيت أحداً أكثر طلباً منك، فيقول له: ما أريد منك إلا أن تعطيني ما أريد، فيقول له: ما أريد منك إلا أن تعطيني ما أريد، فيقول له: ما أريد منك إلا أن تعطيني ما أريد

من [illegible] في [illegible] القدرة [illegible] من العدل [illegible] الحياة [illegible] يكون بها [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] من [illegible] الآيات والأخبار على [illegible] الله [illegible] مع [illegible] ما [illegible] الأحكام [illegible] في [illegible] الآيات القرآنية والأحاديث النبوية [illegible] [illegible] الأخير.

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية: [illegible])

بين المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة كمال قدرته وعدله من خلال خلق السماوات والأرض بالحق [illegible] وأبدع السماوات [illegible] إلا على [illegible] العدل بين العباد فلا يمكن أن يكون مثل من اجترح السيئات العصاة والطغاة [illegible] كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم [illegible] لم [illegible] الوعد والحساب والثواب لما كان [illegible] الخلق [illegible] بالحق [illegible] العدل [illegible] الجزاء بين المحسن والمسيء [illegible] على [illegible] وتجزى كل نفس بما كسبت من عمل صالح أو سيء وهم لا يظلمون[1]

لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب [illegible] أو ترك الظالم الذي ظلم غيره في الدنيا ولم ينتصر منه في الآخرة لما كان خلق السماوات والأرض بالحق[2]

قال الطبري: ليجزى كل عامل بما عمل من عمل المحسن بالإحسان والمسيء بما هو أهله لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه ونحمل عليه جرم غيره فنعاقبه أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه ولكن لنجزي كلا بما كسبت يداه وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم[3]

وقد بين المولى سبحانه وتعالى عدله ورحمته بعباده بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم: [illegible])

والجزاء أمر طبيعي في [illegible] الذين لا [illegible] [illegible] سيئاتهم [illegible] من [illegible] الله [illegible] [illegible] جزاء [illegible] كل [illegible] والعقاب المناسب لها.

ومقتضى العدل لا يكون أمرا غريبا أن يقع [illegible] الجزاء [illegible] وإن لم يقع العدل سبحانه [illegible] للجزاء بالثواب والعقاب لكان كل [illegible] من [illegible] ولا [illegible] [illegible]

---

[1] التحرير والتنوير [illegible]

[2] تفسير القرآن العظيم [illegible]

[3] جامع البيان [illegible]

في ذلك الموقف وربما تم [illegible] أمرًا طويلًا [illegible] فلا ظلم [illegible] صادق من الله ﴿[illegible]﴾ [غافر: ١٧].

ولا يجازى الخلق [illegible] إلا على الجريمة العملية(١).

ومن عدل الله حين ينكر أصحاب الذنوب الأعمال التي ارتكبوها أن يجعل من أنفسهم من الشهود عليهم كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اقترفوا في الدنيا من سيئات ما فعلوا فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم بما فعلته(٢).

عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل(١).

ومن عدل الله أنه لا يظلم أحدًا كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

ثم الموازين هو وزن في صحيفة الأعمال لكل نفس تجزى بما كسبت في الدنيا من خير وشر، ولأن الظلم مكروه عند الله ليس بظلام للعبيد، ولأن الحساب لا يعيي الله لا يشغله حساب عن حساب، فيحاسب الخلائق كلهم في وقت واحد، وهو أسرع الحاسبين(٢).

وأما الميزان هو وصل على عدل الخالق في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ [illegible] أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

أي: كيف يكون حال هؤلاء القوم الذين تمر عليهم الأهوال ويعلمون ما عملوا من [illegible] من كتاب الله [illegible] من الله عز وجل [illegible].

لما تقدم ما [illegible] من [illegible] الله [illegible] كل [illegible]

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي [illegible].

(٢) انظر: تفسير القرآن [illegible] ابن [illegible].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، [illegible] على الإنسان بما عمل [illegible].

(٢) انظر: مدارك التنزيل للنسفي [illegible].

عمله على أثر المكلف فهو ملازم له أنه لا يعاقب به إلا على ما اكتسب ولا يؤاخذ إلا بما عمل لا يحمل أحد من عمله منه ويحط خطيئة ولا عقوبة(1)

ويؤكد المولى على هذه الحقيقة في آخر آية وردت من القرآن، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

أي: لا تؤاخذنا أيها الغني [illegible] لنا إلى فعله بسبب النسيان أو بمحظورات ارتكبها [illegible] من عقاب الله ما لا قبل لهم به [illegible] الأعمال لا [illegible] ومحاسبة [illegible] على ما [illegible] من عمل وسعه لا نطيق له صبراً ولا [illegible] بالحق من عباده وهم لا يؤاخذونه [illegible] عشر أمثالها(2)

ونستفاد من الآية أن [illegible] ما حرم الله من المكاسب [illegible] وسلوكه من [illegible] وعمل في الحياة.

ثالثاً: الجزاء على الكسب المقصود

من عدل الله ورحمته بالعباد أنه لا يؤاخذهم إلا بما اكتسبوه من الأعمال مريدين تلك التي صدرت من غير قصد أو إرادة كما بين النبي عليه السلام بقوله: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل)(1)

قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]

بين المولى عز وجل أن هذه الألفاظ التي تسبق إلى اللسان عادة لا يقصد بها عقد اليمين اللغو من القول لا تعد أيماناً حقيقية فلا يؤاخذكم الله تعالى بما يترتب على الكفارة عليها ولا بالعقاب ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بأن [illegible] جعل اسمه الكريم عرضة [illegible] أو [illegible] لمصالح الأعمال [illegible] الذي لا أثر له في القلب ولا [illegible] العمل بما يعلم منه ولا يعاقب عليه ولا يحمل بالكفارة على هذا القسم الذي [illegible] من اللغو فيه، ولذلك لم يكلف عباده ما يثقل عليهم فيما لم تقصده قلوبهم ولم تكسبه جوارحهم

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في المجنون يسرق [illegible]
وصححه الألباني في صحيح [illegible]

(1) انظر: جامع البيان للطبري [illegible]
(2) انظر: المصدر السابق [illegible]

لأنه معنا لا يدخل تحت سلطة الاختيار، ويستفاد من الآية معنى علم الله بعباده مما يوجب على العبد شكره عليها.

رابعاً: عدم المعاجلة بالعقوبة

إن الله سبحانه وتعالى بحلمه ومغفرته ورحمة بعباده يمهل الكفرة والظلمة والعصاة والمجرمين، لا يعاجلهم بالعقاب ولو عاجلهم به لأهلكهم جميعاً حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد، ومن الحكمة في عدم المعاجلة بالعقوبة أن الكافر قد يتوب ويعرض، وأن عصاة المؤمنين قد يتوبون ويستغفرون ربه، والله جعل لهم أجلاً لا مهرب لهم منه ولا محيد لهم عنه غير سبحانه وتعالى يملي للظلمة ويمهلهم والله لا يهملهم ويغفر للمؤمنين ما شاء لمن يشاء.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

فمن رحمة الله بالكفار أنه لم يعاجلهم بعقاب يستأصلهم في أيامهم، ولكنها الآن لهم موعداً لن يجدوا منه ولن يكون لهم ملجأ يحميهم منه ولا نجاة، إن في إمهالهم في الدنيا حكمة الله بالغة، ولعل الله يخرج من ظهور هؤلاء من يؤمن به ومن يحمل راية الدين ويدافع عنه ويذب عنه سبحانه، فكم كثيراً في التاريخ الإسلامي ممن ظهر في صفوف جند كفر ثم شرح الله صدره كخالد بن الوليد، الذي أصبح سيف الله في الإسلام⁽¹⁾.

قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

أي: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ ولو أنه عجل العقاب والعذاب للناس بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق، لأجل معاصيهم، ولكن يؤخر عقابهم وعذابهم إلى وقت محدد وهو يوم القيامة، ليحاسبهم ويجازي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعات، وبالعقاب أهل المعصية، والله بصير بمن يستحق منهم الثواب ومن يستحق منهم العقاب لا يخفى عليه شيء من أمرهم⁽²⁾.

خامساً: عفو الله عن كثير من الذنوب

ومن رحمة الله بعباده أنه لا يحاسب العباد بكل ما عملوا بل يعفو عن كثير. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

---

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، [illegible]

(2) انظر: تفسير [illegible] [illegible]

(3) انظر: التفسير [illegible] [illegible]

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

حيث بين المولى عز وجل في هذه الآية أنه لا مانع من حصول البلاء للناس في هذه الدنيا سواء كان في الأنفس أو الأهل أو الأموال وإنما يكون ذلك حكمة من الله وما يجري من الأقدار مع علم الله من كل منها(١)

قال القرطبي: "قيل: وما أصابكم [illegible] الناس من المصائب من الأحوال المكروهة كالآلام والأسقام والقحط والغرق والحرائق والزلازل ومخوفات إنما هي بسبب [illegible] المرسومة ومعاصي المحسوسة فهي عقوبات الذنوب وكفاراتها ويعفو الله عن كثير من معاصي العباد لا يعاقب عليها والله يكون المصائب لغير عاصيه وإنما لزيادة الأجر ورفع الدرجات"(٢)

عن أبي هريرة أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"(٣)

والله المولى سبحانه وتعالى على هذه المتمثلة في آية الشورى حيث يقول تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٣-٣٤].

أي: وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك السفن ويغرقها بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قوي، ويعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها، إذ لو كان يأخذ بكل ذنب ما بقي أحد على وجه الأرض إلا من لا يذنب فيها(١)

سادساً: الجزاء العاجل والآجل.

من حكمة الله في خلقه أنه يمهل ولا يهمل، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

بين المولى عز وجل في هذه الآية أنه سلط الريح الشديدة على أعدائهم من الأحزاب وعاد بهم [illegible] بسبب كيدهم وسحبهم بالملائكة ﷺ [illegible] على كل [illegible] ﷺ إلى النصر [illegible] في [illegible] وذلك من عقوبات الله العظيمة للظالمين [illegible] خير [illegible] على [illegible]

---

(١) انظر: [illegible] ج٢/ص[illegible] تفسير [illegible] ابن كثير ج١/ [illegible]

(٢) تفسير القرطبي ج[illegible] ص[illegible]

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، [illegible] رقم [illegible]

(١) انظر: تفسير [illegible] ج[illegible]

[illegible] عليهم [illegible] [illegible] [illegible] ما صدروا من حقوق الله وحقوق عباده على وجه لم يأذن [illegible] له ولا [illegible]

كما أنه [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] على [illegible]

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٤).

أي أخبروني عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في السموات والأرض [illegible] [illegible] الكتب والعلم الذي [illegible] [illegible] [illegible] على أنه ليس من كلام البشر [illegible] [illegible] [illegible]⁽²⁾

وقفة تأمل

لا شك أن للأعمال الصالحة عند الله آثارا عظيمة في الدنيا والآخرة أما الأعمال غير الصالحة فإنها عقاب من عند الله إما عاجل سيحصل في الدنيا أو عقاب مؤجل إلى يوم القيامة.

أولاً: مكانة كسب الصالحات في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة ٢٠١).

جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة وولد بار ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا

---

(١) انظر تفسير القرآن [illegible] [illegible]

(٢) انظر الكشاف للزمخشري [illegible]

من اجتناب المحارم والآثام وارتكاب الشهوات والحرام(1)

قال الطبري: فالصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله [illegible] الخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله [illegible] في الدنيا والحسنة في الآخرة وأن [illegible] الحسنة من الله عز وجل العاجلة في الجسم والمعاش [illegible] والعلم والجهاد [illegible] في الآخرة [illegible] جميع معاني الحاجة.

وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات بالآية لأن الله عز وجل لم يخصص من معاني الحسنة شيئا ولا نصب على خصوصه دلالة دالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فالصواب من القول فيه ما قلنا من أنه لا يجوز أن يخص من معاني ذلك شيء وأن يحكم له بعمومه على ما عمه الله(2)

ثانيا: عاقبة كسب السيئات في الدنيا والآخرة

لقد توعد الله الظالمين المكتسبين في الأرض الذين يكسبون السيئات بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ طه 124-127

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 81.

ويعد الله تبارك وتعالى بالعذاب الأليم أولئك المكذبين من اليهود الذين يحرفون كلام الله ويكتبون أسفارا من [illegible] وينسبونها إلى الله تعالى ليحصلوا بها على أعراض دنيوية ساقطة كما قال تعالى في ذلك: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة 79.

وذكر عليهم [illegible] لا [illegible] كانت شريعتهم ما [illegible] على ملة [illegible] إلا [illegible] من الله تعالى [illegible] من [illegible] لم [illegible]

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible]

(2) جامع البيان [illegible]

الحكيم سبحانه وتعالى حكمه في مصير الإنسان [illegible] أن مشيئة الله الحكم القائم على العدل والرحمة قد جرت من الأزل بالأسباب والأسباب [illegible] علمهم بأن الأمر ليس كما اعتقدوه وإنما هي المشيئة والمسئولية عن كسب سيئة وأحاطت به خطيئته [illegible] وإرادته فيها لا يظلم ربك أحدا إلا [illegible] أما الحسب والنسب والأمنيات الكاذبة فلا تغني [illegible](1)

وفي هذا رد على دعوى اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم إنما خلقوا [illegible] كل من ليس على دينهم [illegible] كل من اعترض على [illegible] أنهم مستحقون للسيادة.

ومن صور كسب السيئات في الدنيا والآخرة ضياع الأعمال التي لا يبتغى بها وجه الله كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والصفوان: هو الحجر الأملس الذي لا [illegible] يمكن أن [illegible] إنما يترك الإنسان عليه التراب ويضع [illegible] وبالتالي تكون الشيء [illegible] قد يأتي عليه ترابه ثم يأتي المطر الغزير على التراب فيزيل التراب من على الشيء الأملس [illegible] الذي [illegible] التراب ويزيل المطر [illegible] لا يقدرون على [illegible] لأن الله يبطل ما لم [illegible] عمل [illegible](2)

وقولا: فالصفوان الذي عليه تراب [illegible] [illegible] من صدقاتهم [illegible] الأملس [illegible] الله [illegible] لأن الله لا [illegible] إلى [illegible](3)

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح [illegible] أحوج ما كانوا إليها(4)

ومن صور عاقبة كسب السيئات في الدنيا والآخرة ما توعد الله به المنافقين

---

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، [illegible] أيسر التفاسير، الجزائري، [illegible]

(2) انظر: تفسير الأمثل [illegible]

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

بالخلود في النار، والعذاب الأليم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة: ٩٥).

أي: سيحلفون لكم معتذرين بما يعتذرون به من كذب الأيمان إذا انقلبتم من سفركم ورجعتم إليهم لتعرضوا عن العتب عليهم والتوبيخ لهم على تخلفهم مع المتخلفين من العجزة والنساء والأطفال، وعلى البخل بالنفقة والقتال، فأعرضوا عنهم إعراض الإهانة والتحقير، لا إعراض الصفح وقبول العذر لأنه لا [illegible] [illegible] بسبب الإعراض عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما [illegible] مصاحبة القلوب [illegible] من الآثار [illegible] التي [illegible] [illegible] وملجؤهم الأخير الذي هو جزاء لهم بما كسبوا في الدنيا من أعمال النفاق وما هم عليه من [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible](١)

ومن صور عقوبة كسب السيئات في الدنيا والآخرة عقوبة [illegible] [illegible] في الدنيا [illegible] الأعداء مع ما أعده الله لهم في الآخرة من العذاب المهين، قال تعالى: ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة: ٨٢).

أي: [illegible] [illegible] جزاء لهم وعقابهم [illegible] قليلا [illegible] [illegible] ولا جزاء أعظم من [illegible] القلب الذي يطبع صاحبه طول حياته [illegible] [illegible] [illegible] ولا شك أن هذه العقوبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الأرواح [illegible] [illegible] الأموال [illegible] [illegible] أعمالها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من أهل [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] ولا [illegible] عن [illegible] إلا [illegible] [illegible](٢)

ومن صور عقوبة كسب السيئات في الدنيا والآخرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما قال تعالى: ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ (الأعراف: ٣٩).

أنه ذم تعالى أن المتكلمين للرسل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذم أن أول [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعمال

---

(١) المراغي، تفسير المراغي، ج[illegible]

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج[illegible]

وليستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً لفتح عليهم ما من الله عليهم بركات السماء والأرض ولأرسل السماء عليهم مدراراً وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون ويعيشون به في أخصب عيش وأغزر رزقه من غير عناء ولا تعب ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا، فأخذوا بالعقوبات والبلايا ونزع البركات وكثرة الآفات وهي بعض جزاء أعمالهم وإلا فلو آخذهم بجميع ما كسبوا ما ترك عليها من دابة[1].

والناظر في واقع المسلمين اليوم يجدهم متخلفين في الزراعة وغيرها وفي العلم، على الرغم مما لدى الدول العربية والإسلامية من خيرات [illegible] كل ذلك بسبب بعدها عن الدين، وعدم تطبيقها لشرعه الحنيف، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

أي ظهرت المصائب والابتلاءات في الجسد ونقص الأموال وكثرة الأمراض والحرائق ونقص البركات من كل شيء بسبب معاصيهم وشركهم ليذيقهم بعض جزاء أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم جميعاً في الآخرة[2].

ومن صور عقوبة كسب السيئات في الدنيا والآخرة وقوع الخلاف والحروب والفتن بين الخلق كما هو حاصل اليوم بين الساسة والسادة وبين الأتباع والمتبوعين قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 129].

أي يولى الرؤساء الظالمين لمعاصيهم عقوبة عليهم في الدين والسلطة وفي كل أسباب المعايش [illegible] من الظلم من [illegible] الرؤساء والقادة [illegible] من [illegible] الأتباع كما أن لهم [illegible] أعظم من إثم الأتباع كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: 25].

تلك الآيات وغيرها تدل على عظم خطورة [illegible] في [illegible] المعاصي بحسب أعمالهم [illegible] والمعاصي [illegible] في الدنيا [illegible] يوم القيامة [illegible][3].

ومن صور عقوبة كسب السيئات في الدنيا والآخرة [illegible] [illegible]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص [illegible]

[2] انظر: مدارك التنزيل للنسفي ٣/ [illegible]

[3] انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٢٨٨

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس: ٢٧).

أي: الذين عملوا السيئات في الدنيا كفرا ومعاصي فإن لهم جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها بمثلها من عذاب الله في الآخرة، هؤلاء تغشاهم ذلة وهوان، ولا أحد يعصمهم من الله ويمنعهم من عقوبته، كأنما ألبست وجوههم أجزاء من سواد الليل المظلم، هؤلاء هم أهل النار ماكثون فيها أبدا.

ومن صور خزي كسب السيئات في الدنيا والآخرة أن الله توعد المخلفين المتخلفين عن رسول الله الذين يضحكون كثيرا في الدنيا بالبكاء الكثير والحسرة في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة: ٨٢).

أي: فرح هؤلاء المخلفون بقعودهم خلاف رسول الله، فليضحكوا ويفرحوا قليلا في هذه الدنيا الفانية بقعودهم خلاف رسول الله وانصرافهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جزاء لما هم عليه مصرون من أعمالهم النار إذا استمروا على عصيانهم وتمردهم في حال تخلفهم خلاف رسول الله(٢).

ويستفاد من هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وأن الله يمهل ولا يهمل، وفي هذا تحذير للظلمة والمتكبرين أمثال هؤلاء من كفار ومنافقين ومتآمرين مستهزئين من غضب الله وعقابه إذا لم يبادروا بالتوبة، لأن الله لهم بالمرصاد.

[illegible]

المرحلة الرابعة: السعي لطلب العمل

---

(١) انظر: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، ص ٢١١.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري، ١١/ ...

الكفارات

عناصر الموضوع

مفهوم الكفارات ٢٠٠

الكفارات في الاستعمال القرآني ٢٠١

الألفاظ ذات الصلة ٢٠٣

أنواع الكفارات ٢٠٤

توجيه الكفارات ٢٠٧

صور من الكفارات في القرآن وأحكامها ٢٠٨

مستحقوها ٢٢١

حكم ومقاصد الكفارات ٢٢٣

أثر الكفارات على الفرد والمجتمع ٢٢٨

مفهوم الكفارات

أولاً: المعنى اللغوي:

الكفارة: مأخوذة من الكَفْر وهو التغطية والستر، وسميت الكفارات كفارات لأنها تكفر الذنوب أي تسترها، مثل كفارة الأيمان، وكفارة الظهار والقتل الخطأ[1].

قال ابن فارس: "(الكاف والفاء والراء) أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوبه: قد كَفَر درعه، والمُكَفِّر: الرجل المتغطي بسلاحه"[2].

وخلاصة التعريف اللغوي: أن الكفارة هي الستر والتغطية سواء كانت مادية كتغطية الدرع بالثوب أو معنوية كتغطية الذنوب، وقد استعمل القرآن الكريم هذا المعنى اللغوي للكفارة، وعلى ذلك تدور أقوال المفسرين في بيان هذه اللفظة كما سيأتي.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

والكفارة اصطلاحاً: ما كُفِّر به من صدقة أو صوم أو نحو ذلك، وسميت الكفارات كفارات لأنها تكفر الذنوب أي تسترها[3].

وعرفه المناوي: الكفارة بأنها: ما يجب على الجاني جبراً لما منه وقع وزجراً عن مثله[4].

وخلاصة التعريف الاصطلاحي: أن الكفارة تطلق على ما يشمل المعنى اللغوي وهو الستر والتغطية، وما يكفر به الخطأ أو محواً لإثم أو ذنب، والتعريف الثاني يشمل ذلك.

والناظر في التعريفين يجد اتصالاً وثيقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فما يكفر به من صدقة أو صوم أو نحو ذلك، وهذا مرتبط بمعنى الكفارة في اللغة وهي تدل على الستر والتغطية، والتي يترتب عليه ستر الذنوب وإزالتها وتغطيتها في الدنيا والآخرة على تفصيل كما سيأتي.

---

[1] انظر: معجم المصطلحات القرآنية ص ٣٢٧، الكليات للكفوي ص ٧٩٣، تاج العروس للزبيدي
(٢) ه
(٢) مقاييس اللغة جـ ٥ ص ١٩١
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور جـ ٥ ص ١٤٨، تاج العروس للزبيدي ١٣/ ...، التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٨٣

(كفر) في الاستعمال القرآني

وردت مادة (كفر) المشتقة في الاستعمال القرآني [illegible] مرة

على الصيغ التي وردت في:

الصيغة	عدد مرات	المثال
الفعل الماضي		﴿ولو أن أهل الكتاب ءامنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾ (المائدة [illegible])
الفعل المضارع	11	﴿يكفر عنكم سيئاتكم﴾ (الأنفال [illegible])
فعل الأمر (الدعائي)	1	﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا﴾ (آل عمران [illegible])
صيغة المبالغة	1	﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ (المائدة [illegible])

وجاءت مادة (كفر) في الاستعمال القرآني بمعناها اللغوي بمعنى الستر والتغطية[2]، ومنه الكفارة وهي: «ما كفر به من صدقة أو صوم أو نحو ذلك كأنه غُطّي عليه بالكفارة»، وسميت الكفارات كفارات لأنها تكفر الذنوب أي تسترها مثل كفارة الأيمان وكفارة الظهار والقتل الخطأ[3]

---

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible]

(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس [illegible]

(3) لسان العرب، ابن منظور [illegible] مادة (كفر)

[illegible]

الهدية

الهدية لغة:

اسم للمال الذي [illegible] الأمير [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] المذكور[1]

الهدية اصطلاحًا:

[illegible] ما [illegible] الإنسان [illegible] في [illegible] [illegible][2]

الصلة بين الهدايا والجزية:

أن كلًا من الهدايا والجزية إنما هو [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible][3]

الجزية

الجزية لغة:

اسم مشتق من [illegible] وأصلها [illegible] على وزن فعلة، والجزية واحدة الجزيات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][4]

الجزية اصطلاحًا:

اسم للمال الذي يجب [illegible] على الذمي أو على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] عليه أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمر[5]

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، تاج العروس للزبيدي [illegible]

[2] انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، التعريفات للجرجاني ص [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[3] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[4] انظر: الصحاح للجوهري [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]، تاج العروس للزبيدي [illegible]

[5] [illegible] [illegible] في الفقه الإسلامي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

العلاقة بين الكفارة والدية

أن كليهما جوابر، لكن الكفارة حق لله تعالى، والدية حق للآدمي(١).

التعزير

التعزير لغة

التعظيم والتوقير، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٩]، والتعزير أيضاً: التأديب، ومنه سمي الضرب دون الحد تعزيراً(٢).

التعزير اصطلاحاً

هو التأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، أي: هو عقوبة على جرائم لم تضع الشريعة لها عقوبة مقدرة(٣).

العلاقة بين الكفارة والتعزير

أن كلاً منهما زواجر؛ لما فيهما من ثقل تحمل الأموال وغيرها(٤).

الحد

الحد لغة

المنع والحاجز بين شيئين، وطرف الشيء، والنهاية التي ينتهي إليها تمام المعنى، ومنها يوصل إلى التعريف المطلوب، وهو قسيم الرسم المعرف عند الأصوليين(٥).

الحد اصطلاحاً

العقوبة المقدرة من الشارع وجبت حقاً لله تعالى(٦).

العلاقة بين الكفارة والحد

أن كلاً منهما زواجر؛ لما فيهما من ثقل تحمل الأموال وغيرها(٧).

---

(١) انظر: المنتقى شرح الموطأ للباجي ٢/٣.

(٢) انظر: الصحاح للجوهري ٢/٧٤٤، مختار الصحاح للرازي ص ١٨١، [illegible] ص ١٠٣.

(٣) انظر: التعزير في الشريعة الإسلامية، عبد العزيز عامر ص ٥٢.

(٤) انظر: أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي ٣/٢٠٦.

(٥) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٨٣، [illegible].

(٦) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٨٣، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٧٣.

(٧) انظر: أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي ٣/٢٠٦.

أنواع الكفارات

تتنوع أنواع الكفارات من خلال ما يلي:

أولاً: الكفارات على التخيير

التخيير: تفويض الأمر إلى اختيار المكلف في انتقاء خصلة من خصال معينة شرعًا، ويرد إليه تعيين أحدها بشروط معلومة، كالتخيير بين خصال الكفارة، والتخيير بين القصاص والدية والعفو، والتخيير في فدية الصيد، وكذلك في التصرف في الأسرى، والتخيير في حد المحاربين ونحوها من الأحكام[1].

والتخيير في الكفارات دليل على سماحة الشريعة ويسرها ومراعاتها لمصالح العباد فيما أوجبت عليهم، فالمكلف يختار ما يناسب الذي يستطيع القيام به، والتخيير قد يكون على سبيل الإباحة، أي: بين فعل المباح وتركه، وقد يكون بين الواجبات بعضها على بعض، وهي واجبات ليست على التعيين، كما في خصال الكفارة، وحكم الواجب المخير: أن المكلف مخير أن يفعل أي واحد من أفراده، إلا تركها جميعًا، كما خير الله تعالى بين أشياء مثل كفارة اليمين، فخير فيها بين العتق والإطعام والكسوة، فالواجب منها واحد غير معين، فأيها فعل فقد فعل الواجب، وإذا فعل الجميع سقط الفرض عنه بواحد منها والباقي تطوع[2].

وقد ذكر القرآن الكريم الكفارات على التخيير في:

- التخيير في كفارة اليمين

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

فقد خير الشارع من المكلف أن يكفر عن يمينه بخصلة واحدة من خصال الكفارة الثلاث، وهي: الإطعام أو الكسوة أو العتق، فإن لم يجد ما يكفر به من هذه الثلاثة، يكون عاجزًا عن الإطعام والكسوة والعتق، عليه صيام ثلاثة أيام، فهي كفارة على التخيير في الخصال الأولى، وعلى الترتيب بينها وبين الخصلة الرابعة[3].

---

[1] انظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ص

[2] انظر: البحر المحيط، [illegible]، ١/٣٣٦، اللمع في أصول الفقه، الشيرازي، ص ١٨، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، النملة، ١/٢٢٦، الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٧٨/

[3] انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٣/٥٥٩، أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/٢٣٢

٢- التخيير في جزاء الصيد.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

فقد طلب الشارع من المكلف أن يكفر عن قتله الصيد في الحرم بخصلة واحدة من خصال الكفارة الثلاث وهي: إما أن يهدي مثل ما قتله من النعم لفقراء الحرم إن كان للصيد له مثل من الإبل أو البقر أو الغنم، أو أن يقومه بالمال ويقوم المال طعاماً ويتصدق بالطعام على الفقراء، والخصلة الثالثة التي يخير فيها قاتل الصيد أن يصوم عن كل مد من الطعام يوماً(١).

٣- التخيير في فدية الأذى.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فقد أباح الشارع للمحرم أن يحلق رأسه إذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض، أو جرح، أو صداع، أو كثرة قمل، [illegible] ويكون عليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك، ما يجزئ في الأضحية [illegible](٢).

ثانياً: كفارات على الترتيب

الترتيب: جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر(٣).

وقد أمر الشارع بالكفارة على الترتيب كالمظاهر أمر بالعتق عند وجود الرقبة، وبالصيام عند عجزه، وبالإطعام عند العجز عن الصيام، والواجب من ذلك واحد معين على حسب حاله، فإن كان موسراً فالرقبة [illegible]، وإن كان معسراً فالرقبة الصيام، وإن كان عاجزاً فالرقبة الإطعام، فإن جمع بين رقبة العتق بين الصيام سقط الفرض عنه بالعتق، وربما عصى بذلك، وإن جمع بين رقبة الصيام بين [illegible] فالرقبة أحد الأمرين من العتق أو الصيام، والإطعام [illegible]، وإن جمع بين رقبة الإطعام بين [illegible] فالرقبة واحدة من [illegible] الكفارة المعتبرة(٤).

وقد ذكر القرآن الكريم الكفارات على الترتيب وهي:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible]؛ [illegible]

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

(٣) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص [illegible]؛ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، ص [illegible]

(٤) انظر: اللمع في أصول الفقه، الشيرازي، ص [illegible]

١- الترتيب في كفارة الظهار:

قال تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ③ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ④﴾ المجادلة ٣-٤

إن الله تعالى أمر بكفارة الظهار مرتبة، فلا سبيل إلى الصيام إلا عند العجز عن الإعتاق، وكذلك لا سبيل إلى الإطعام إلا عند عدم الاستطاعة على الصيام، فمن لم يطق الصيام وجب عليه إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من طعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم[١]

٢- الترتيب في كفارة التمتع:

قال سبحانه: ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ البقرة ١٩٦

بينت الآية أن دم الهدي المتمثل بالذبح مقدم على الترتيب، لأنه أفاد الترتيب بقوله: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾ ثم قال بعدها بالترتيب: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾[٢]

٣- الترتيب في كفارة القتل:

قال جل وعلا: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما (٩٢)﴾ النساء ٩٢

وجعل الحق جل جلاله كفارة القتل مرتبة على القتل تحرير رقبة، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين[٣]

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل [illegible]

[٢] انظر: معالم التنزيل، البغوي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[٣] انظر: البحر المحيط، أبو حيان [illegible]

مواضيع القراءات

لخصت القراءة القرآنية في مجموعها من الأحاديث بعدد من سبعة الأحرف وليس بعدد من القراءات.

أولاً: نشأة واحدة.

أن القراءات القرآنية كلها نشأت نشأة واحدة، من الرواية الشفوية، وذلك بتلقي الرسول ﷺ لها من جبريل عليه السلام، ثم تلقي الرسول ﷺ لها من الصحابة رضي الله عنهم، ثم من تلقي كل صحابي من بعده تلقيًا خاصًا بما سمع من الصحابة الذين لم يجمعوا إلا على ما ثبت قرآنًا في المصاحف العثمانية، وتلقي التابعين لها من الصحابة، وتلقي تابعي التابعين لها من التابعين، وهكذا إلى أن دونت في كتب القراءات.

ثانيًا: أن كل قراءة من القراءات العشر المتواترة هي في الحقيقة قراءة واحدة.

أن كل قراءة من القراءات العشر المتواترة هي في الحقيقة قراءة واحدة، لأن القراءات العشر المتواترة ما هي إلا طرق لرواتها العشرة، فكل قراءة من القراءات العشر المتواترة هي قراءة لكل راوٍ من رواتها العشرة، فكل راوٍ من رواتها العشرة له قراءة واحدة، وهي التي رواها عن شيخه، وهكذا ك

صور من الكفارات في القرآن الكريم

تظهر صور الكفارات وأشكالها في القرآن الكريم من خلال النقاط الآتية:

أولاً: كفارات العبادات.

الحج من العبادات المهمة وهي فريضة من الفرائض الإسلامية التي أمر الشرع بأدائها على أكمل وجه وهناك محظورات في الحج توجب الكفارة وهي:

كفارة الصيد المحرم:

ذكر القرآن الكريم كفارة الصيد للمحرم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ [illegible] ﴿٩٥﴾﴾

المائدة: ٩٥.

بينت الآية أن الله تعالى حرم الصيد في حال الإحرام، والصيد هنا هو كل ما [illegible] يصاد ويؤكل من الدواب والطيور [illegible] الإطلاق [illegible] ويلحق بالصيد الوحشي [illegible] من [illegible] ما هو [illegible] وهي السباع المؤذية [illegible] المحرم [illegible] وسباع الطير ودليل المخصوص السنة ﴿حُرُمٌ﴾ جمع حرام ويحمل معنيين [illegible] جمع للفظ على الذات والمحرم [illegible] المتلبس بالإحرام بحج أو عمرة وكذلك المحرم على الداخل في الحرم [illegible] الإحرام بالحج وبالعمرة فهو محرم وأما المحصول في الحرم فهو الحلول في منطقة الحرم من مكة أو المدينة فأما حرم مكة فحرم صيده بالاتفاق وفي صيده الجزاء وأما حرم المدينة فحرم صيده ولا جزاء فيه وحرم مكة محرم بحدوده من قبل الإسلام بدعوة [illegible] الذي حرمه إبراهيم عليه السلام.

ووضعت بحدوده علامات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحدود الحرم الغربية والشرقية تبعد عن البيت [illegible] (٢) كم أما الجنوبية فأكثر من [illegible] التي [illegible] على الأكثر التي [illegible] مرة على قرابة (٢٢) كيلو مترا أما من جهة الشمال فالحد مسجد عائشة رضي الله عنها على [illegible] التنعيم [illegible] شمالاً في [illegible] المسافة [illegible] في [illegible] المسجد [illegible] (٨) كم من المسجد الحرام شمالاً أي إنه حرم مكة يبلغ (١٣٨٥) كم مربع بالتقريب.

وأما حرم المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور

[illegible]) إلى قوله(١)(٢)

ويقول تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: ومن قتل شيئا من الصيد وهو محرم قاصدا لقتله ذاكرا لإحرامه، فعليه جزاء من الأنعام مماثل لما قتله في هيئته وصورته إن وجد، وإلا في قيمته [illegible] حكم الجزاء على [illegible] القتل يدل على أن الجزاء لا يجب إلا إذا قتل الصيد، أما لو جرحه أو قلع منه عضوا ولم يقتله فليس له جزاء، ويدل على أن الحكم [illegible] قتل الصيد أو لم يأكله لأن مناط الحكم هو القتل.

وقوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ قيد يخرج المخطئ والناسي [illegible] الناسي: هو من يقصد قتل الصيد ناسيا إحرامه، والمخطئ: هو من يرمي غير الصيد كما لو رمى غرضا فقتل الصيد من غير قصد لقتله، ولا خلاف بين العلماء أنه لا إثم عليهما لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

وجمهور الفقهاء والأمصار أن العمد والخطأ في ذلك سواء، وأن على قاتله [illegible] [illegible] على الخروج والعمد والخطأ في [illegible] [illegible] [illegible] عمل الصحابة، وكان أحمد بن حنبل وداود الظاهري: لا شيء على الناسي، وكان مجاهد والحسن وابن زيد وابن جريج إذا كان متعمدا لقتل ناسيا لإحرامه فهو مورد الآية فعليه الجزاء، وأما المتعمد لقتل ذاكرا لإحرامه فهذا أعظم من أن يكفر، [illegible] لا [illegible](٣).

وكان الجمهور أقرب إلى الصواب لأن التخصيص العمد بالذكر في الآية لأجل أن يرتب عليه الانتقام عند العود لأن العمد هو الذي يرتب عليه ذلك [illegible] ولأن جزاء الخطأ معروف من الأدلة التي وردت [illegible] في مسائل [illegible] من المعروف أن من قتل صيدا [illegible] أو خطأ في غير الحرم فعليه [illegible] حكم عام في [illegible] [illegible] كذلك [illegible] على [illegible] حتى قال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه برقم ٦٧٥٥ (٨/ ١٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة برقم ١٣٧٠ (٢/ ٩٩٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ٤٠)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية عاتق البلادي ص [illegible]

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ [illegible])، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ [illegible])، تفسير المنار محمد رشيد رضا (٢/ [illegible])، تفسير المراغي (٧/ [illegible])، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ [illegible])، أضواء البيان للشنقيطي [illegible]

الصيد سواء أكان قتله له عمدًا أم خطأ.

وقوله تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ أي يحكم بالجزاء من النعم وقيمة حق المقتول من الصيد رجلان من أهل العدالة والخبرة من المؤمنين، ووجه الحاجة إلى حكم العدلين أن المماثلة بين النعم والصيد مما يخفى على أكثر الناس، وما لا مثل له يرجع من النعم، يحكمان فيه بالقيمة والهدي ما يليق أن يصير في حكم مثله بالنص حتى والشريعة، ولهذا سماه الله تعالى هديًا [illegible].

وسمى ﴿بالغ الكعبة﴾ أنه يليق أن يصل إلى حرم الكعبة وليس المراد أنه يصل أن يذبح حول الكعبة(2).

وقوله تعالى: ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ أي ما يعادله ذلك من الطعام، وسمي الإطعام كفارة لأنه ليس بجزاء إلا الجزاء هو الهدي، وهم طلبوا له المماثلة، وأما الإطعام فلا يماثل الصيد، وإنما هو كفارة تكفر به الجريمة، وقد أجمل الكفارة في بيان مقدار الطعام ولا عدد المساكين، فأما مقدار الطعام فهو موكول إلى الحكمين، والمنقول عن العرب أن المد من الطعام هو طعام رجل واحد فلذلك تقدر بذلك بعدد لكل مسكين، وهو قول الأكثر من العلماء.

وعن ابن عباس: قدر الإطعام أن يُقوَّم الجزاء من النعم بالقيمة دراهم ثم تُقوَّم الدراهم طعامًا، وأما عدد المساكين فهو ملازم لعدد الأمداد، قال مالك: أحسن ما سمعت أنه يقوم الصيد الذي أصاب فينظر كم ثمن ذلك من الطعام فيطعم مدًّا لكل مسكين، والأحسن أن ذلك موكول إلى الحكمين(3).

وقوله تعالى: ﴿أو عدل ذلك صيامًا﴾ أي عدله مثل ذلك الطعام صيامًا يصومه وأطلقت الآية الصيام كما أطلقت الطعام وهو موكول إلى حكم الحكمين، وقال أبو حنيفة: يصوم عن كل مدين من الطعام يومًا.

وقال مالك والشافعي: يصوم عن كل مد يومًا، والتقدير في أقصى ما يصام مثل مالك والمصريين، لا يصام عن أعداد الأمداد أيامًا وإن تجاوز شهرين، وقال بعض أهل العلم: لا يزيد على شهرين لأن ذلك أعلى الكفارات، وعن ابن عباس: يصوم ثلاثة أيام إلى عشرة(4).

---

(1) انظر: تفسير القرطبي [illegible]

(2) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٧/ [illegible]، تفسير المراغي ٧/ ٣٦، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧/ ٤٠.

(3) موطأ مالك، كتاب الصيد، باب الحكم في الصيد ٢/ ٢٧.

(4) انظر: لباب التأويل للخازن ٢/ ٨٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٠٠، التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/ ٤٠.

(5) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٠٠، التحرير والتنوير لابن عاشور.

وقد ذكر في الوثائق: «إن الأمة الكتامية تتميز بالإخلاص لله ورسوله في تعليم دينه وحمل رايته، وقد أثنى الله والخلفاء عليها في القرآن وفي السنة النبوية الشريفة، فأخلصوا لله فيما أمروا به، وقاتلوا في سبيله حتى أتاهم اليقين، وقد أوصى الخلفاء بإكرامها وتقديمها على غيرها من الأمم، وبين أيديها خلفاء الشيعة المنتظرة، وأقبل رؤساؤهم على قواد الصنهاجيين، فوفق الشيعة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الإمام الأكبر المهدي، وأقبل قواد الصنهاجيين من القبائل بالتعجيز وقبل الشيعة المذكور».

وذكر ابن خلدون: «وكان أبو الربيع سليمان بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الإمام المهدي، وعظم بربر صنهاجة، وكان الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستعلي بالله بمصر قد بعث إلى بربر صنهاجة بالمغرب الأوسط يدعوهم إلى طاعته، وكان ابن حماد يومئذ بالمغرب الأوسط، فأبى الدخول في طاعة بني عبيد، وكان الأفضل لا يعلم أن أحداً من صنهاجة خالف على القرار فأقام أخاه عبد الله وأخاه

---

(١) ج ٤ ص ٢٥٠.

(٢) تقدم ذكرهم في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٧ ج ٣ وما بعدها.

(٣) تقدم ذكرهم في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٧ ج ٣ وما بعدها.

(٤) تقدم ذكرهم في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٧ ج ٣ وما بعدها.

٢- التحلل المطلق للمحصر

من التطبيقات على رفع الحرج في القرآن الكريم في المناسك التحلل المطلق للمحصر.

قال سبحانه: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ﴿١٩٦﴾﴾ (البقرة: ١٩٦)

أمر الله تعالى بإتمام الحج والعمرة الذي بدأ بالشروع فيهما ﴿فإن أحصرتم﴾ أي منعتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما بمرض أو عدو ونحوهما ﴿فما استيسر من الهدي﴾ أي فعليكم ما تيسر من الهدي وهو سبع بدنة أو سبع بقرة أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما صدهم المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي فليصم بدله عشرة أيام كما سيأتي في الصحيح ثم يحل.

وقوله تعالى: ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾.

تبين الآية أن المحرم إذا ساق الهدي لم يحلل من إحرامه قبل يوم النحر [illegible] وسبب الحصر أمر طبيعي، ولم يكن له [illegible] مع إباحة [illegible] من الحلق والقطع لله [illegible] هو عين مصلحة [illegible] وليس عليه في ذلك من [illegible] من مرض [illegible] أو [illegible] أو لبس المخيط [illegible] في المحيط [illegible].

[illegible]، ويدخل تحته كل ما كان في معنى الأذى من الألم [illegible] أو الحكة [illegible] أو لبس المخيط أو الطيب فإنه يجوز مع وجوب الفدية المذكورة لأن المقصد من [illegible] ويجب [illegible] ما [illegible] من الصيام والصدقة والنسك.

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد بلغ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي [illegible]، أنوار التنزيل للبيضاوي [illegible]، تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص [illegible].

يلزم [illegible] ما [illegible] ؟ [illegible] فرض [illegible] الفدية من صيام أو صدقة أو [illegible] صوم ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين [illegible] صاع [illegible] لكل مسكين)[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: 196].

يبين الآية حكم المتمتع، وهو الذي أحرم بالعمرة في وقت الحج ثم تحلل من الإحرام واستمتع بما يستمتع به غير المحرم من الطيب والنساء وغيرهما فعليه ما تيسر من الهدي، وهو ما يجزئ في الأضحية، وهذا دم نسك مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة، وقبل الشروع في الحج، ومثلها القران لحصول النسكين له.

فمن لم يجد الهدي أو ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج أولها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر أيام التشريق، والسبعة يصومها [illegible] والأفضل منها أن يصوم السابع والثامن والتاسع. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أي: الرجوع من أعمال الحج فيجوز فعلها في مكة وفي الطريق وعند وصوله إلى أهله[3].

ثم بين سبحانه أن التمتع بالعمرة [illegible] من الأحكام خاص بالآفاقي دون أهل الحرم.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: إن أهل الآفاق هم الذين يحتاجون إلى هذا التمتع لما يلحقهم من المشقة بالسفر إلى الحج وحده ثم السفر إلى العمرة وحدها، أما أهل الحرم فليسوا في حاجة إلى ذلك، فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: اتقوا الله بالمحافظة على امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه واعلموا أنه تعالى شديد العقاب لمن [illegible][4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المحصر، باب الإطعام في الفدية نصف صاع، رقم ([illegible])، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم [illegible] رقم ([illegible]).

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

[3] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]، التفسير الوسيط، طنطاوي، [illegible]، التفسير [illegible] على منهج [illegible].

[4] انظر: التفسير [illegible]، محمد [illegible].

وأجمع الفقهاء على وجوب الكفارة على من حلف بالله وهو مختار وهي على التخيير من صيام أو صدقة أو نسك(1).

ثانياً: كفارة اليمين

قرر القرآن الكريم كفارة اليمين بالله تعالى إذا حنث فيها وهي متعددة.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)﴾ [المائدة: 89].

بينت الآية أن الله تعالى لا يؤاخذكم بالأيمان التي تحلفونها بلا قصد كما يقول الرجل في كلامه بدون قصد لا والله وبلى والله، فلا مؤاخذة على حلف مثله بكفارة في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: ولكن يؤاخذكم باليمين المقصودة التي يعقدها القلب ويقصدها ويصمم عليها إذا أنتم حنثتم فيها، قال مالك: أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد على غير ذلك فهو اللغو.

وقال مالك: وعقد اليمين أن يحلف الرجل أنه لا يبيع ثوبه بعشرة دنانير ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه ونحو هذا فهذا الذي يكفر صاحبه عن يمينه، وليس في اللغو كفارة، وقال مالك: فأما الذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه آثم ويحلف على الكذب وهو يعلم ليرضي به أحداً أو ليعتذر به إلى معتذر إليه أو ليقطع به مالاً فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة(1).

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: إطعام عشرة مساكين وجبة واحدة لكل منهم من الطعام الغالب الذي يأكله أهلوكم في بيوتكم، وفي التعبير بالإطعام على الحالف مع أن الحق المقصود الذي على الحالف [illegible] والأمر مبني على المسامحة.

ويمكن أن يقال: الإطعام أفضل لأنه أنفع للفقير إذ لا يجد الطعام أو لا يكون عنده من يعطيه [illegible] في الفقر. أما العبيد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالحق يحتمل التأخير، والإطعام إنه لا يحتمل التأخير وأخرى المحتاجة بما يجب في صحة

---

[1] انظر تفسير المراغي 7/ 18.

[2] انظر الإجماع لابن المنذر ص [illegible]، مراتب الإجماع لابن حزم ص [illegible].

[1] موطأ مالك 2/ 477 كتاب النذور والأيمان، باب اللغو في اليمين.

[2] انظر تفسير المراغي 7/ 14.

الفطر، نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير، وعند مالك مد لكل مسكين إذا كان بالمدينة، وعند الشافعية مد لكل مسكين، وأجاز أبو حنيفة إطعام مسكين واحد عشرة أيام.

واشترط الفقهاء أن يكون العشرة المساكين من المسلمين، وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة، والجمهور قصروا الإطعام على المسلمين، ولا يجوز أن يطعم شيئا منها لأصول الرجل وفروعه (1).

وأما الكسوة فهي الثانية [illegible] الإطعام وعند الحنفية [illegible] [illegible] أوسطه [illegible] إذا كل ما يسمى كسوة، وأقله ما يلبسه المساكين عادة، وعند المالكية والحنابلة [illegible] [illegible] لكل مسكين ما يصح أن يصلي فيه إذا كان رجلا أو امرأة كل بحسبه، وقال أبو حنيفة: [illegible] القميص مع السراويل (2).

وأما تحرير الرقبة فهي [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] [illegible] عن طريق [illegible] الرقبة كفارة تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المائدة: ٨٩).

ولا يشترط أبو حنيفة أن تكون الرقبة مؤمنة فيجوز عتق [illegible] عن الكفارة، واشترط الجمهور أن تكون الرقبة مؤمنة، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾، أي: فمن لم يستطع واحدا من الثلاثة المتقدمة فعليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعات، واشترط الحنفية التتابع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لم يشترط [illegible] [illegible] [illegible] (1).

ثم إن هذه الكفارة التي [illegible] [illegible] على طريقة الترتيب: فالإطعام [illegible] [illegible] والإطعام [illegible] ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، ذلك أي [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible]، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، فلا تبذلوها في كل الأمور [illegible] ولا تكثروا من الأيمان [illegible] [illegible] قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٤).

وإذا حلفتم فلا تحنثوا ما حلفتم عليه ولا تحنثوا فيه إلا للضرورة الشرعية أو مصلحة للعمل المحنث راجحة.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: ومثل هذا التبيين الشافي الواضح يبين الله لكم أعلام شريعته وأحكامه

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، [illegible]، لباب التأويل، الخازن [illegible]، [illegible]، تفسير المراغي [illegible]، تفسير آيات الأحكام، السايس ص [illegible].

(2) انظر: معالم التنزيل، البغوي [illegible]، لباب التأويل، الخازن [illegible]، تفسير المنار، محمد رشيد رضا [illegible]، تفسير المراغي [illegible].

(1) انظر: المصادر السابقة.

[illegible] أيمانكم [illegible] بالله(١)

ولا ينعقد اليمين إلا باسم الله تعالى أو بصفة من صفاته فمن حلف باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته ولم [illegible] وجبت عليه الكفارة ومن حلف بغير ذلك فهو آثم لأنه عظم المخلوق به وهو من حق الخالق من يحلف به ولهذا لا كفارة عليه لعدم انعقاد اليمين، وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر رضي الله عنه وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال صلى الله عليه وسلم: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت(٢)(٣)

والأصل المعتمد في وجوب كفارة اليمين قوله تعالى لما حنث قسمه على التخيير بين الإطعام وبين الكسوة وتحرير الرقبة، فإن عجز انتقل إلى الثلاثة أيام في الصيام على وجه التتابع في الصوم فقال أبو حنيفة وأحمد بوجوبه وكذلك مالك والشافعي لا يوجبه وهو الأصح(٤)

ثالثاً: كفارة الظهار

ومن الكفارات التي وردت في القرآن حفاظاً على الأسرة ومنع الظلم عن المرأة كفارة الظهار.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [المجادلة: ٣-٤].

بينت الآية أن المظاهر من زوجته يحرم عليه وطؤها ولما عزم على إمساكها وإمساكها لذلك وجبت عليه الكفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة سليمة من العيوب قبل أول المسيس، وقال أبو حنيفة: أي رقبة كانت ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ المراد بالمس هنا الجماع وبه قال الجمهور فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر، وقيل: المراد به الاستمتاع بالجماع أو اللمس أو النظر إلى الفرج بشهوة وبه قال الشافعية ومالك وهو أحد الرأيين الحنفي ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ذلكم الحكم أو ذلكم التغليظ ترتدعوا به لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب المخالفة فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي [illegible]

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى رقم (١٦٤٦) ٣/ ١٢٦٧.

(٣) انظر: بداية المجتهد لابن رشد [illegible]

(٤) انظر: اختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة [illegible]

[illegible] عليه شيء من أصنافهم غير [illegible] عليها(1)

ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة فقال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ أي: فمن لم يجد الرقبة في ملكه ولم يتمكن من تحصيلها فعليه صيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما فإن أفطر يستأنف إن كان الإفطار لغير عذر، وإن كان لعذر من سفر أو مرض فقال أبو حنيفة إنه يستأنف وهو مروي عن الشافعي، وقال مالك والشافعي: يبني ولا يستأنف وهو الصحيح، وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا وطئ ليلاً أو نهاراً عمداً أو خطأ استأنف، وقال الشافعي: لا يستأنف إذا وطئ ليلاً لأنه ليس محلاً للصوم وهو الصحيح(2)

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ أي: إذا عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو رأى شبقاً لا يمكنه من الصبر على الصيام يجب عليه إطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين مد من غالب قوت البلد من حنطة أو تمر أو أرز أو ذرة أو غير ذلك أو حنطة وأشباهها لكل مسكين مدان، وهما نصف صاع، وأجاز أبو حنيفة دفع الستين صاعاً لمسكين واحد ولم يجوزه [illegible] عند [illegible] لظاهر الآية، والظاهر من الآية أنه يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة أو يدفع إليهم ما يشبعهم ولا يلزمه أن يجمعهم مرة واحدة بل يجوز له أن يطعم بعض الستين في يوم وبعضهم في يوم آخر(3)

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: ذلك الذي وصفنا من التغليظ في الكفارة لكي تطيعوا الله تعالى، وتقفوا عند حدود الشرع لا تتعدوها، فلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور ومخالفة لأنه يؤدي إلى الخصام بين الزوجين، والشرع حريص كل الحرص عليها ومنع التفكك [illegible] لأنه مانعة وتلك حدود الله التي [illegible] [illegible] من [illegible] فالظهار معصية ولا [illegible] الكفارة له مانعة وللكافرين بأحكام الشرع عذاب أليم في جهنم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فلا تتجاوزوا حدوده التي حدها لكم [illegible] بين أن [illegible] الظهار معصية وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي [illegible]، [illegible] - ابن كثير [illegible]، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام - محمد صديق ص ٢٢٣، تفسير آيات الأحكام - السايس ص ٧٧٩.

(2) انظر: روح المعاني - الآلوسي [illegible]، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام - محمد صديق ص ٤٣٠.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٢٣، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام - محمد صديق ص ٤٣٠، الجدول في إعراب القرآن - محمود صافي ٢٨/١٦٦.

﴿الْكَافِرُونَ﴾ أي الذين لا يعترفون بحد حدود الله ولا يحترمون ما حده الله لعباده ويسمه كفر تغليظاً وتشديداً. ﴿الظَّالِمُونَ﴾ من ظلمهم بهم(١)

وأقل التعهد على أنه إذا قتل أو وجد أحداً على كافر كبيرة إنه مظلوم لا يحل له [illegible] حتى يسلم القاتل [illegible] ويجد إذا لم يجد الصيام الشهرين متتابعين فإذا لم يستطع فالإطعام ستين مسكيناً(٢)

رابعاً: كفارة القتل:

ومن الكفارات التي نص عليها القرآن الكريم كفارة القتل الخطأ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ [النساء: ٩٢]

أخبر الله تعالى أنه ليس من شأن المؤمن ولا من شأنه أن يقتل أحداً من المؤمنين إلا الخطأ، وهو صاحب السلطان على النفس والحاكم على الأرواح والمتصرف لما يريد أن يحرم على الناس ويمكن أن [illegible] إلى القتل أو السعي أو لا يقصد بل يزهق الروح خطأ، فهذا من الأحكام الرحيمة في الدين الإسلامي، ومن الأحكام العادلة في الواقع إذا رمى مسلم إلى حيوان مسلم [illegible] ومن العسير أن يقدم مسلم على إزالة حياة الجسد من نفسه والإقدام على هذه النفس من عمد وقصد(١)

وقد تضمنت الآية الكريمة ثلاث حالات من القتل الخطأ وهي:

الحالة الأولى: أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون في دار الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ حيث يجب في هذه الحالة أمرين: أي عتق رقبة تسلم إلى أهله، فأما تحرير رقبة المؤمنة فهو تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس مؤمنة بإحياء نفس مؤمنة ومن في هذه القتل. وأما الدية فتعويض لأسرة المقتول

---

(١) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني ج[illegible] ص[illegible]، التفسير الواضح، محمد محمود حجازي ج[illegible] ص[illegible].

(٢) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ابن العربي ج[illegible] ص[illegible].

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج[illegible] ص[illegible]، تفسير المراغي ج[illegible] ص[illegible]، في ظلال القرآن، سيد قطب ج[illegible] ص[illegible].

وذلك لكبار المتعمدين، والمرضى لهم من يطلب ما قتلوا من أجل التعويض والدية، هي أشد الرادع والحماية على النفس في القتل أو أيضا عوضا ويعطي إلى ورثة المقتول عوضا عن دمه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ موجهة إلى ورثته، [illegible] كما بالعشيرة [illegible] لا أن يرثها دون سائر الورثة في كل شيء، [illegible] منها لذوي [illegible] الرحمة [illegible] في [illegible] العاقلة لأن المسلمين [illegible] السنة [illegible] على الوجه الذي [illegible] معلوم به.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل، منها أربعون في بطونها أولادها»[1]

ودية المرأة نصف دية الرجل؛ لأن المنفعة التي تفوت أهل الرجل بفقده أعظم من المنفعة التي تفوت بفقدها، [illegible] على الصدقة ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾ أي تبرئ الأهل القتل بالعفو، إلا إذا تملكت الرحمة [illegible] لأنه أقرب إلى جو التعاطف والتسامح في المجتمع المسلم[2]

والحالة الثانية: أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب، فقال سبحانه: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فتجب إذ كان المقتول مؤمنا وأهله كفار فعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة، وليس لهم دية لأن ورثته كفار فلا يرثونه، وحتى لا يستعينوا بها على قتال المسلمين، ولا مكان هنا [illegible] أهل القتيل [illegible] محاربون، وهم عدو للمسلمين[3]

والحالة الثالثة: أن يقع القتل على مؤمن أهله معاهدون، بينهم عهد ذمة أو عهد أمان.

قال جل وعلا: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي فإن كان القتيل [illegible] أهل ذمة أو معاهد [illegible] فإن كان مؤمنا [illegible]

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الديات، باب في دية الخطأ شبه العمد رقم [illegible]، والنسائي في سننه كتاب القسامة، ذكر دية شبه العمد رقم [illegible]، وابن ماجه في سننه كتاب الديات، باب دية شبه العمد مغلظة رقم [illegible]. وصححه الألباني في الإرواء [illegible].

[2] انظر: تفسير [illegible]، التفسير الوسيط، الزحيلي [illegible]، [illegible]، التفسير المراغي [illegible]، التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]، في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

[3] انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي [illegible]، التفسير المراغي [illegible]، في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

وكذا إن كان كافرًا أيضًا عند طائفة من العلماء، وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم، وقيل: ثلثها كما هو مفصل في كتب الأحكام. ويجب أيضًا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة. قال ابن عباس: هذا الرجل يكون معاهدًا ويكون قومه أهل عهد فيسلم إليهم ديته ويعتق الذي أصابه رقبة. وقدم الدية هنا على تحرير الرقبة على العكس مما جاء في صدر الآية للإشعار بوجوب المسارعة إلى تسليم الدية حتى لا يؤخذ القاتل في غيرها بأي [illegible] المسلمين الذين بينهم وبين المسلمين عهد يمنع عدم الاعتداء.(1)

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: فمن لم يجد رقبة مؤمنة يعتقها فعليه في هذه الحالة صيام شهرين متواصلين في أيامهما لا يفرق بينهما بفطر بحيث لو أفطر يومًا لما استأنف من جديد إلا لعذر شرعي، إلا أن يكون الفطر بسبب حيض أو نفاس أو مرض يتعذر معه الصوم ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: قد شرعها الله ليتوب عليكم ويطهر نفوسكم من التهاون وقلة التحري التي أفضت إلى القتل عليمًا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: وكان الله عليمًا بأحوال النفوس وما يطهرها، حكيمًا فيما شرعه من الأحكام والآداب التي بها صلاحكم وفلاحكم والتي بها سعادتكم في الدنيا والآخرة.(2)

والذي نستنتجه أنه على المسلم العاقل البالغ القاتل المسلم خطأ الكفارة وهي على الترتيب: وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين.(3)

---

(1) انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]، التفسير الوسيط للواحدي [illegible]، تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]، في ظلال القرآن لسيد قطب [illegible]، التفسير الوسيط لطنطاوي [illegible].

(2) انظر: جامع البيان للطبري [illegible]، [illegible] التفسير الوسيط لطنطاوي [illegible].

(3) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم [illegible].

الكفارة

الكفارة في القرآن الكريم [illegible] أنواع وهي ما يأتي:

أولاً: الكفارة بالعتق

ذكر القرآن الكريم العتق في كفارة القتل واليمين والظهار.

1- كفارة القتل بالعتق

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ (النساء: ٩٢).

2- كفارة اليمين بالعتق

قال سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ (المائدة: ٨٩).

3- كفارة الظهار بالعتق

قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ (المجادلة: ٣-٤).

ويجب إعتاق رقبة مؤمنة في جميع الكفارات عند الشافعية والمالكية وأحمد في رواية [illegible] الرقبة المؤمنة في جميع الكفارات إلا كفارة القتل فإن الله قيد الرقبة بالإيمان في كفارة القتل، ومذهب الجمهور أن المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز إعتاق الكافرة في الكفارات بالإجماع ويشترط أن تكون الرقبة [illegible] في الكفارات مكاتبا أو أم ولد أو مدبرا [illegible] أو الأخرى [illegible] الذي يحمل عليه [illegible] لا يجوز في إعتاق الكفارة.

ويجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة إذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيئا، [illegible] في الكفارات ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل، فلا يجوز مقطوع اليد أو الرجل ولا الأعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق، ويجوز عتق الأعور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب كلها

* الأمر بالصيام، وعند أبي حنيفة كل حب يخرجه حبا من الحنطة ومع الدقيق فيجوز من غالب قوت أهل البلد ولا يجوز من غالب الأقل في الكفارة(1)

وهي أنواع الكفارات وهي ثلاث:

الأولى: واجب حتم على القادر على العتق بملك الرقبة أو قيمتها ككفارة قتل النفس خطأ وكفارة الظهار.

والثانية: واجب مخير فيه وهو كفارة اليمين، فمن حنث بيمينه وجب فيها الكفارة إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة كما قال الله تعالى والحكمة الظاهرة المعروف(2)

والثالث: واجب مخير فيه في الصيام كله كفارة يجب على من وجب عليه عتق رقبة لا يصح إطعامه إلا بالترتيب ثم بعدها الكفارة من صيامه(3)

ثانيا: الكفارة بالمال.

والمال في الكفارة إما يكون طعاما أو كسوة كما في كفارة الحنث في اليمين أو إطعاما كما في كفارة الظهار أو صدقة أو نسك واجب كما في كفارة الحلق محظور من محظورات الإحرام(1)

- الإطعام في كفارة حلق الرأس للمحرم، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وهو مطلق غير محدد وقد بينته السنة من حديث كعب رضي الله عنه: الإطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام لكل مسكين(2)

- الإطعام في كفارة اليمين.

والواجب إطعام عشرة مساكين من وسط طعام الأهل.

قال سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ⑧⑨﴾ [المائدة: ٨٩].

- الإطعام في كفارة الظهار.

والواجب إطعام ستين مسكينا.

قال عز وجل: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ

---

(1) انظر: كتاب التأويل المغارة ج1/ ٣٣٣، تفسير آيات الأحكام للجصاص ص٢٣٤

(2) انظر: التفسير الكبير ... ج1/ ٣٣٨ [illegible]

(3) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي عبد القادر عودة [illegible]

(1) انظر: الأحكام الشرعية في الكفارات [illegible] ص

(2) انظر: سنن الترمذي.

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 63-67]

قال الله تعالى في الآيات السابقة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء: 51-58]

وقال الله تعالى في الآيات التالية: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ

[illegible][1]

٥- الصوم في كفارة الصيد: محظور من محظورات الإحرام.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المائدة ٩٥].

الصائد: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][2]

ثانياً: الكفارات بالصيام

وهي كفارة [illegible] محظور من محظورات [illegible] كفارة [illegible] في [illegible] والقتل الخطأ والظهار كما يلي[3]:

١- الصوم في كفارة القتل ومقداره شهران متتابعان.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء ٩٢][4]

٢- الصوم في كفارة الظهار ومقداره شهران متتابعان.

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة ٣-٤].

٣- الصوم في كفارة اليمين ومقداره ثلاثة أيام.

وذلك عند العجز عن إعتاق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة ٨٩].

٤- الصوم في كفارة [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] انظر: [illegible] الإسلامي، عبد القادر [illegible]

[2] انظر: الكشاف [illegible] [illegible] الراغب [illegible]

[3] انظر: الأحكام الشرعية في [illegible]

[4] انظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم [illegible] ص ١٢

قال عز من قائل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④﴾ سورة محمد.

ويختار الصواب في حالة الأسارى [illegible] مثله ولم يرد [illegible] وقيده [illegible] وبناء على هذه الصفات قرر أهل العلم في التفسير كما سبق في الكلام عن [illegible].

قال الشنقيطي: واعلم أن ظاهر الآية الكريمة أنه يجوز قتل [illegible] وأن [illegible] من [illegible] أو [illegible] يقول العلماء: لا يجوز [illegible] الأسرى لأنها أهل الكفارات واختاره ابن العربي وغيره من العلماء وأن ظاهر الآية [illegible].

حكم ومقاصد [illegible]

من الحكم والمقاصد التي تظهر في الغزوات ما يلي:

أولاً- حكم ومقاصد كفارة العتق

ومن مقاصد الشريعة الإسلامية حرصها على تعميم الحرية في الإسلام بكافة مخلوقات الإله تعالى [illegible] سواء قبل الإسلام كانت العبودية منتشرة في البشر وأصبحت عليها الزيادات كثيرة.

وكانت أسبابها متكاثرة بسبب الأسر في الحروب والتسبي في الغزوات والسطو في الطرقات وبيع الآباء والأمهات لأبنائهم والرهائن في الحروب والديون، فأبطل الإسلام جميع أسبابها عدا الأسر، وأبقى الأسر لمصلحة تشجيع الإطلاق [illegible] أهل الشهادة من التضييق على المسلمين لأن الحرب ما كان [illegible] من عواقب الحروب على الأسر.

ثم حارب تلك الموانع الجاهلية بإيجاد أسباب الحرية في ملابسات عديدة جعل منها واجبة ومنها مندوب إليها ومن الأسباب الواجبة الكفارات، فجعلها في كفارة القتل الخطأ وكفارة الظهار وكفارة اليمين وغير ذلك كما سبق ذكره، وأوجب سراية العتق، وأمر بالكتابة في قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ النور: ٣٣.

---

(1) أضواء البيان [illegible]

ورغب في الإعفاف ترغيباً قوياً⁽¹⁾

ومن الحكمة في تحرير رقبة مؤمنة جعل هذا التحرير بدلاً من تعطيل حق الله في ذات القتيل فإن القتيل عبد من عباد الله ويرجى من نسله من يقوم بعبادة الله وطاعة نبيه، فلم يخل القاتل من أن يكون فوت بقتله هذا الوصف، وقد نبهت الشريعة بهذا على أن الحرية حياة، وأن العبودية موت، فمن تسبب في موت نفس حية كان عليه السعي في إحياء نفس كالميتة وهي المستعبدة⁽²⁾

كما أن من الحكمة في تحرير الرقبة المؤمنة هو تعويض لجماعة المؤمنين لأن القاتل لمؤمن قد نقص عدد المؤمنين فكان من الواجب أن يعوض ما نقص بعتق رقبة مؤمنة لأن العتق إحياء للحرية والحرية كالحياة⁽³⁾

ثانياً: حكم ومقاصد كفارة اليمين:

من حكم ومقاصد كفارة اليمين أن هذه الكفارة شرعت لتحلة [illegible] ومن حكمها الأساسية من كثرة الأيمان والاستخفاف بالعرض للمؤاخذة قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:] ولكن الله جعل المؤاخذة [illegible] حاجزاً يمنعهم من فعل الخير إذ حلفوا ربما الخير في غير ما حلفوا عليه فشرع لهم هذه الكفارة تحلة الأيمان كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتها وليكفر عن يمينه»⁽¹⁾

ثالثاً: حكم ومقاصد كفارة الظهار:

ومن الحكم والمقاصد في كفارة الظهار أن هذه الكفارة شرعت حفاظاً للأسرة ولمنع الظلم عن المرأة وهي كفارة عن تحريم المرأة على نفسه وجعلها كأمه أو محارمه من غير إرادة طلاقها ربما كان المراد من ذلك أن تترك المرأة كالمعلقة ليست كالمطلقة [illegible] لها [illegible] إليها والطلاق ولا يترك المتكلم بها من غير عقاب لمن حلفها بل لا بد من رد الحق وعقاب المخالف فكانت الكفارة.

وثبت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]، تفسير آيات الأحكام، السايس [illegible]

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]، [illegible] ص [illegible]

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، رقم: [illegible]

(2) انظر: [illegible]

أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴿٤﴾﴾ [المجادلة: ٣-٤].

كما أن هذه الكفارة فيها إعادة الحياة الزوجية على معالم من المودة والأنس النفسي من غير إسفاف ولا إساءة لأن العمل بهذه الكفارات وأدائها يأتي بالطهارة في قلب الزوج لكي يعود إلى زوجته ولا إلى الحياة الزوجية الكريمة السوية ولهذا كانت هذه الكفارة سابقة على هذه المعاني.

كما أن من الحكمة في الكفارات أنها زواجر عن مباشرة ما وجبت له. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [المجادلة: ٣].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى الحكم بالكفارة والخطاب للمؤمنين المرتكبين هذا المنكر أي لهم ولغيرهم من الأمة.

﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون به عن ارتكاب المنكر، فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استحقاق الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما وجبت فيه(٣).

رابعاً: حكم ومقاصد كفارة القتل الخطأ

ومن مقاصد الشريعة الإسلامية في كفارة القتل الخطأ المحافظة على النفس البشرية، وتربية النفس على الاحتراز من المخاطر والاحتياط.

قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: كامل العلم كامل الحكمة، ومن حكمته أن أوجب في القتل الخطأ الكفارة لما في ذلك حفظ النفوس وكفالة من كثير من القتل باستعمال الأسباب العاصمة من ذلك(٥).

ومن حكمته أن وجبت على القاتل في

---

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي ٢٨/٧.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٩٣.

كل خطأ، ويستوي المخطئ الفرد الغني [illegible] عليه ألا يحصل عليه النية [illegible] أن يقوم بإطعام من [illegible] وستر العورة والتحرير والمساعدة على تحصيل المصالح وكف المفاسد [illegible] ذلك من أسباب [illegible] من [illegible] من [illegible] عليهم [illegible] عليهم الأمة [illegible].

ومن [illegible] أن [illegible] القلوب [illegible] حتى لا [illegible] ولا [illegible] من [illegible] على [illegible] والتي [illegible] على [illegible] [illegible] وصلى الله عليه [illegible] (١)

وفي [illegible] الكفارات [illegible] (٢)

أثر الكفارات على الفرد والمجتمع

تظهر آثار الكفارات في تقويم الفرد والمجتمع على النحو الآتي:

أولاً: أثر الكفارات على الفرد:

إن الكفارات لها أثر كبير في ارتباط العبد مع الله تعالى ومراقبته والخوف منه وخشيته في السر والعلانية، وهذه الكفارات تعمل على حماية الفرد من ارتكاب المعصية والوقوع فيها؛ لأنه ملتزم بمعايير الجزاء والعقوبة، ومن خلال هذه الكفارات تصبح النفوس في الأصل مطيعة، وتحافظ على العلاقة الأسرية المستمرة، وتحفظ الحقوق البشرية، وتؤدي الواجبات كما أمر الله تعالى بالقيام بها.

وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم هذا الأثر العظيم الكبير لمشروعية الكفارات، فمنعتهم من التقصير في الواجبات والإخلال بها، فيذكر أن عمر رضي الله عنه خرج إلى حائط [illegible] [illegible] [illegible] (٢٢)

وقد ذكر الله تعالى هذا الأثر العظيم للكفارات.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص [illegible]؛ في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢/ [illegible]؛ التفسير الكبير [illegible].

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢/ [illegible]؛ [illegible].

(٢٢) انظر: الزهد لأبي داود ص ٧٩.

قال تعالى في كفارة الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [المجادلة: ٣-٤].

فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: ذلكم الحكم أو ذلكم التغليظ توعظون به؛ لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه، ومن آثار الكفارات زيادة الإيمان وتقويته.

قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [المجادلة: ٤] أي: لتؤمنوا إيمانًا كاملًا بوحدانية الله ولا تستحلوا ما حرم الله ورسوله وتقلعوا عن قول الزور والكذب وتلتزموا ما حده الله من حدوده ولا تعودوا من أمر الجاهلية، فلا تعودوا لأفعال الإيمان بأفعال أهل الجاهلية، وهذا زيادة في التنفير من الظهار، وتطهير للمسلمين من آثامه فيما بعد أن كان القتل من حرج ظاهر بسبب قول الظهار، إلى الرخصة في عدم الاعتداد به وفي التخلص منه بالكفارة تطهير الإيمان عليكم.

ولهذا في معنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤] وسمى الله تعالى الكفارة حدودًا لأنه حددها وبينها حدود الله التي أمر بحفظها من مخالفة الظهار مسبقًا بلا شك، والكفارة له حاجزة وللتكفير بأحكام الشرع مطلب اليوم في عموم.

ومن آثار الكفارات: أنها زاجرة ورادعة عن كثير من القتل باستئصال الأسباب الباعثة على القتل[2].

■ أثر الكفارات على المجتمع:

ومن آثار الكفارة أنها تعمل على إحياء روح التكافل الاجتماعي لما فيها من حظوظ لتلك الفقراء والمساكين، وسد كثير من احتياجاتهم لاسيما الطعام والشراب، وهذا يحقق روح المحبة والأخوة في المجتمع المسلم، ويقوي الروابط الاجتماعية من حيث كونها حقًا من حقوق المساكين، ولذلك أوجبها الشرع في كفارة القتل وكفارة اليمين وكفارة صيد الحرم، كما أنها تعد صمام أمان اجتماعيًا وحماية للمجتمع لا بقطع تلك الشريحة الفقيرة عن المجتمع.

كما أنها تساعد على القضاء على الرق

---

[1] انظر: تفسير المراغي [illegible] والتحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible] التفسير [illegible] سورة المجادلة [illegible] ٢٢

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

يصبروا طويلة مع الزوج لأنه يلجأ لها عادة بإساءة فلا يؤدي إلى عزلة لا تعبروا لها وظهر أثرها في المجتمع أشكل الظالمة وقد ذكر القرآن الكريم الحسد كذلك في آيات التي قال تعالى: ﴿[illegible] ① [illegible] ② [illegible] ③ [illegible] ④ [illegible] ⑤ [illegible] ⑥ [illegible] ⑦ [illegible] ⑧﴾ [illegible] وفي الجملة فهذه الظاهرات كلها التي جاء بها القرآن الكريم معنى الظاهرة بأنها صالحة وأنها ظاهرة المجتمع السالم[١]

ومن آثار الظاهرة تمس القلب والعاطفة كما أنها تعبر ما تحمله العاطفة من النفس كما في الظاهرة التي تنطلق من مشاعر من النفس ولهذه الظاهرة أثر على الطلاق ومن آثار الظاهرة أنها تعمل على هدم الأسرة في المجتمع الإسلامي من أطفالها وحمايتها للأبناء من التشرد، كما أن الطلاق وهو فرع من الظاهرة يعد مدرسة لتهذيب الطلاق ولكن الحسد أكثر ما أخرج من رؤية الفرد ومن الآثار في ظاهرة الطلاق أنها [illegible] في النفس الإنسانية كرامة الإنسان وحقه وكيانه الأسرية.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ويمكننا تمثيل عصبيات الظاهرة بين فئة المجتمع وطبقة الرجال عليه[٢]

[illegible]

المطلب الثالث: أسباب الطلاق في الزواج

---

[١] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible]؛ الموسوعة القرآنية، [illegible]؛ [illegible] الإعجاز التشريعي في القرآن، [illegible]

[٢] انظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص [illegible]؛ [illegible] الإعجاز التشريعي، [illegible]

[illegible]

الكفر

عناصر الموضوع

مفهوم الكفر ٢٣٢
الكفر في الاصطلاح الشرعي ٢٣٣
الألفاظ ذات الصلة ٢٣٥
أنواع الكفر ٢٣٨
أسباب الكفر ٢٤٣
مواقف أهل الكفر ٢٤٩
صفات الكافرين ٢٥٧
سنة الله في الكافرين ٢٦٣
الكفر بعد الإسلام ٢٧١
توبة الكافر ٢٧٢
عاقبة الكفر ٢٧٣

تعريف الكفر

أولاً: المعنى اللغوي

يطلق لفظ الكفر في المعاجم اللغوية بمعنى التغطية والتستر؛ قال ابن منظور: "وأصل الكفر تغطية الشيء، وكفّر الرجل: نسبه إلى الكفر، وكل من ستر شيئاً فقد كفره وكفّره، والكافر: الزارع لستره البذر بالتراب، والكفار: الزراع، وتقول العرب للزارع: كافر؛ لأنه يكفر البذر المبذور بتراب الأرض المثارة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]، وسمي الكافر كافراً لأنه ستر نعم الله عز وجل"[1]

[illegible] ومنه قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤] أي: تبرأنا منكم[2]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

عرّفه الراغب الأصفهاني بقوله: "الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها"[3]

وعرّفه ابن حزم الظاهري بنفس التعريف السابق لكنه أكثر تفصيلاً فقال: "الكفر: جحد الربوبية، وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر"[4]

وعرّفه ابن القيم بأنه: "الكفر جحد ما علم أن الرسول جاء به، سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وجله"[5]

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/١٤٤-١٤٥، مادة: كفر.

(2) مختار الصحاح للرازي، ص ٢٣٩.

(3) المفردات للراغب الأصفهاني، ص ٧١٤، ٧١٥.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٣/١٤٢.

(5) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصار محمد الموصلي، ص ٤١١.

الكفر في المعجم القرآني

وردت مادة (كفر) في القرآن الكريم [illegible] مرة[1] على الصيغ التي وردت فيها:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	٢٣	﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [القمر: [illegible]]
الفعل المضارع	٤٢	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]
الفعل الأمر	٢	﴿[illegible] وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢]
المصدر	٣٣	﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]
مصدر سماعي	١٥	﴿[illegible] وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]
اسم الفاعل	١٨٨	﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]]
صيغة مبالغة	٥	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]

وجاء الكفر في القرآن على خمسة أوجه[2]:

الأول: الكفر بالتوحيد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] يعني كفروا بتوحيد الله عز وجل.

الثاني: كفران النعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

[1] انظر: [illegible] لألفاظ القرآن الكريم [illegible] ص [illegible]

[2] انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، ص [illegible]

يعني إلا القوم الجاهلة.

الشاهد الرابع: وهو قول الشاعر: فلا سقفاه بالسقف الذي يلي ... الخ

الإعراب: لا: حرف نفي لا عمل له.

الفرق الصرفي: وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35] يعني لا تجاهلوا.

الشاهد الخامس: وهو قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: 114] يعني الرأي الذي يخطأ فيه الصواب.

[illegible]

الشرك

الشرك لغة

مأخوذ من شرك [illegible] الشراكة بالشيء [illegible] أن تجعل لله شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك[1]، [illegible] بمعنى [illegible] العرب [illegible] الشرك [illegible] الكفر

الشرك اصطلاحاً

التسوية بين الله وغيره فيما هو من خصائصه سبحانه[2]

الصلة بين الشرك والكفر

يبين علماء [illegible] في اللغة والاصطلاح وجود علاقة التقارب بين اللفظين [illegible] الكفر والشرك [illegible] [illegible] الشرك والكفر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأرباب [illegible] من [illegible] مع [illegible] بالله تعالى [illegible] [illegible] الكفر أعم من الشرك[3] [illegible] الشرك بالكفر [illegible] [illegible] [illegible] الشرك [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] القرآن الكريم:

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الكفر [illegible] والشرك [illegible] من الآخر[4]

الإلحاد

الإلحاد لغة

مأخوذ من لحد وهو يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد السهم عن الهدف أي عدل عنه، ولحد الرجل في الدين: طعن، ومال عنه وعدل وجادل وماري، وألحد أيضاً: مال عن طريق القصد وجار وظلم[5]

---

[1] تاج العروس، الزبيدي [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[5] انظر: مقاييس اللغة، [illegible] المفردات، الراغب الأصفهاني ص[illegible]، مختار الصحاح، الرازي ص٢٤٧، لسان العرب، ابن منظور [illegible]، المصباح المنير، الفيومي ص[illegible]، المعجم الوسيط [illegible]

والجاحد الطاعن في الدين المائل عنه[1]

الإلحاد اصطلاحاً

هو الميل والعدول والانحراف عن الإسلام أو الإيمان[2]

الإلحاد المعاصر: الإلحاد المصطلح عليه في هذا العصر يعني إنكار وجود الله والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وإسناد التغيرات الكونية إلى [illegible] الطبيعة أو بمقتضى طبيعة المادة وتركيبها، واعتبار ظاهرة الحياة وما يتبعها من شعور وفكر عند الإنسان من أثر التطور الذاتي في المادة[3]

العلاقة بين الإلحاد والكفر

إن الإلحاد بمفهومه يعد من صور ظاهرة الكفر لأنه لا يؤمن بالله ويميل عن الحق إلى الباطل كما الملاحدة.

الردة

الردة لغة

هي من ردّ بمعنى رجع، وارتد الشخص أي رجع عن دينه إلى الكفر[4]

الردة اصطلاحاً

الرجوع عن الإسلام إلى الكفر[5]

وقيل: قطع الإسلام بنية كفر أو قول كفر أو فعل مكفر، سواء في القول قاله استهزاء أو عنادًا أو اعتقادًا[6] ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: 217].

العلاقة بين الردة والكفر

ومن خلال التعريف نجد أن الردة مرادفة لظاهرة الكفر، فهي [illegible]

---

[1] المعجم الوسيط 1/ [illegible]
[2] انظر: المعجم العربي الأساسي ص٢٦٣
[3] مراجع: كلمة الإلحاد، غريب القرآن لأبي القاسم [illegible] مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، جامع البيان للطبري 1/ [illegible]، المصطلحات الإسلامية [illegible] والمصطلحات [illegible] ص٣٤٧.
[4] المصباح المنير للفيومي ص[illegible]
[5] التعريفات للجرجاني ص[illegible]
[6] حاشية القليوبي وعميرة على شرح العلامة جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين للشيخ محيي الدين النووي، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة 4/ [illegible]

[illegible]

■ الإيمان

الإيمان لغة

الإيمان في اللغة يراد به [illegible]

[illegible] بمعنى الإقرار لا بمعنى التصديق [illegible]

الإيمان اصطلاحا

[illegible]

فهو قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[2] [illegible]

العلاقة بين الإيمان والكفر

[illegible]

[illegible]

أنواع الكفر

يرد الكفر في القرآن على أساسين: قسم اشتمل على التكذيب والإباء والشك والنفاق، وهذا هو المسمى بالكفر الأكبر، والكفر الأكبر هو المخرج من الملة والموجب للخلود في النار، ثم النوع الثاني وهو الكفر الأصغر وهو غير مخرج من الملة وهو المسمى عند السلف بكفر دون كفر، وهذا النوع ينقص من إيمان العبد الذي اقترف شيئاً من هذا النوع.

أولاً: الكفر الأكبر

الكفر الأكبر هو الذي يخرج من الملة ويجعل صاحبه خالداً في النار يوم القيامة، ومن خلال النظر في آيات القرآن يمكن القول إن الكفر الأكبر يرد في القرآن على عدة أنواع نبينها على سبيل المثال ما يلي:

١- كفر التكذيب

والذي يسمى بكفر الجحود.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ البقرة: ٣٩.

وكذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ العنكبوت: ٦٨.

والمعنى: لا أحد أكثر ظلماً ممن كذب على الله فقال إن الله أوحى إليه شيئاً ولم يوحَ إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله. وكذلك لا أحد أكثر ظلماً ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفترٍ والثاني مكذب، ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾(١).

قال ابن تيمية: فالتكذيب أخص من الكفر، فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر، وليس كل كافر مكذباً.

والمقصود من هذا الإشارة مشركو أهل الجاهلية؛ فكل من كذب الرسل فلن يكون إلا مشركاً، وكل مشرك مكذب للرسل، وكل مشرك وكافر بالرسل فهو كافر بالله واليوم الآخر، وكل من كفر بالله واليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك(٢).

٢- كفر الإباء أو الاستكبار

وهذا النوع من الكفر أول من اتصف به إبليس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ البقرة: ٣٤.

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ الحجر: ٣١.

والمعنى: لا يقال إن إبليس كان مشركاً بالسجود، إنما منعه من ذلك الاستكبار

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible] ٣٣٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، [illegible] ٣٣.

والاستعظام(1)

٣- كفر الشك:

وهذا النوع أيضاً يقوم على جانب الشك في الرسل، والشك الظني في الله تعالى، وعلى عدم الإيمان بالساعة واليوم الآخر والبعث.

كما قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

فقوله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد قوله ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى.

وقد صرح بذلك في أول سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥](2)

٤- كفر النفاق:

وهذا يعد من أشد أنواع الكفر لأصحابه وقد أعد الله تعالى للمنافقين عذاباً في الدرك الأسفل من النار، وقد سميت سورة في القرآن الكريم باسم أهل النفاق.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣].

ثانياً: الكفر الأصغر

وهو كل معصية ورد في الشرع تسميتها كفراً ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام، والذي يخلد صاحبه في النار. والكفر الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يكفر صاحبه ولا يترتب عليه ما يترتب على الكفر السابق أو أحكام الكفر الأكبر، بل هذا النوع من الكفر يدل على نقص الإيمان عند صاحبه وضعفه، والذي يقع فيه من الكفر الأصغر له ما للمسلمين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات.

وأما الذي في الشريعة، وهو ما لا ينافي أصل الإيمان بل ينقصه ويضعفه، وهو المذكور عند السلف بقولهم: كفر دون كفر

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: [illegible]

(2) أضواء البيان، للشنقيطي: [illegible]

ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله عز وجل إذا لم يتب منه وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي [illegible] الذنوب على سبيل الزجر والتهديد، لأنها من خصال الكفر، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب[1]

ومنه قول الله تعالى ﴿[illegible]﴾ (النحل: [illegible]).

وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: [illegible]).

والمعنى هنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله شيء من [illegible] سبيلا[2] والكفر الأصغر عدة أنواع من أبرزها ما يلي:

1 - كفر النعمة.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القرآن على هذا النوع.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝﴾ (إبراهيم: 7).

والمعنى: لئن شكرتم إنعامي عليكم لأزيدنكم [illegible] [illegible] [illegible] النعم [illegible] [illegible] [illegible][3]

[illegible] ليس كفر ملة بل كفر نعمة لم يشكرها [illegible] وكفر النعمة له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الكتاب [illegible] [illegible] [illegible]:

المسألة الأولى: أن إسناد النعم إلى الله سبحانه وتعالى من الإيمان بالله.

المسألة الثانية: أن إسناد النعم إلى غير الله من الكفر بالله سبحانه وتعالى.

المسألة الثالثة: في الآية [illegible] [illegible] دلَّ على عدم جواز نسبة الأشياء إلى أسبابها [illegible] من كفر النعمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سبب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سبب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] صار ذلك من الكفر بنعمة الله.

المسألة الرابعة: فيها اجتماع الضدين في القلب الكفر والإيمان أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۝﴾ (النحل: [illegible]).

ففيه اجتماع الإقرار والإنكار والكفر والإيمان في [illegible] [illegible] [illegible] على صاحبه صار من أسبابه.

المسألة الخامسة: أن كفر النعمة يكون [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]

---

[1] [illegible] بن عبد الحميد ص[illegible]

[2] تفسير [illegible] بن سليمان ج[illegible] ص[illegible]

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

النبي فيها مما يوجب الحذر منه وأن الإسلام لا يحرص على الأمور المخالفة للشرع.

٢ - قتال المسلم

قتال المسلم أخيه بغير حق، ويدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

وفي الحديث عن زبيد قال: سألت أبا وائل عن المرجئة فقال: حدثني عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2].

والجمع بين الحديث والآية يوضح أن قتال المسلم لا يخرج من الإيمان، كما أن قتال المسلم يعد من الكبائر الأصغر، وليس من الكفر المخرج من الملة ثم يوضح وينافي الإيمان مع المسلم.

٣ - الطعن في الأنساب

في القرآن الكريم جاءت صورة الطعن في النسب من إبليس في سورة الحجر قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾

الأمراء.

والطعن على الكل طعنة تورث في النبي قول خالد بن سليمان يعني الطعنة التي لا تطيب من الرجل من أمره يعني إلا عليه في وجهه[3].

ومنها أيضاً عدم الطعنة كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»[4].

قال النووي معلقاً على الحديث: فيه أقوال أصحها أن معناهما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، والثاني أنه يؤدي إلى الكفر، والثالث أنه كفر النعمة والإحسان، والرابع أن ذلك في المستحل. وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة[5].

أ - من ادعى إلى غير أبيه

قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

الإسلام جاء ليحافظ على الأسرة على

---

[1] [illegible] المستخرج، كتاب الترغيب [illegible]، ج [illegible].

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ج ١، ص ١٩، رقم ٤٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ج ١، ص ٨١، رقم ٦٤.

[3] المعجم [illegible] سليمان، ج ١، ص ١٢٣.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، ج ١، ص ٨٢، رقم ٦٧.

[5] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج ٢، ص ٥٧.

الأساس الطبيعي لبناء مجتمع متماسك وبحياة سوية لا خلط فيها ولا تشويه [illegible] هذا [illegible] بعد علاقة النسب إلى [illegible](١)

والسنة المطهرة أكدت على [illegible] من تحريم الزواج [illegible] لبناء الإسلام [illegible] على هدم النسب كما كان سائدا في الجاهلية، فكل من انتسب لغير والده نسب [illegible] وكل من انتسب لغير [illegible] إليه [illegible] بالتبني ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلك العادة.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر»(٢)

والمعنى: وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر الذي يخلد صاحبه في النار(٣)

وعلى ذلك فإنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر –بالعبد– أن يسمى كافراً وإن كان ما قام به كفراً، وأما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر.

ومثاله أنواع كثيرة من الكفر الأصغر زيادة على ما سبق لا يتسع المقام لذكرها

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٢٨٣٦
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفرائض باب من ادعى إلى غير أبيه [illegible] رقم ٦٧٦٨، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو [illegible] رقم [illegible]
(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، [illegible]
(٤) انظر: [illegible] في الكفر [illegible] [illegible] ص

أسباب الكفر

تتعدد أسباب الكفر فمنها ما هو نابع من داخل صاحبه [illegible] ويسمى بالأسباب الاعتقادية [illegible] الكفر [illegible] الله سبحانه وتعالى، وأيضا [illegible] الأسباب [illegible] الإيمان بالغيب [illegible] على ذلك عدة أسباب منها التقليد والاستكبار والحسد والجهل.

أولاً- التقليد:

عرفه ابن تيمية قائلا: هو قبول قول الغير بغير [illegible] الله [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: [illegible]].

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: [illegible]].

وقال: ﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ۞ فهم على آثارهم يهرعون ۞ ﴾ [الصافات: [illegible]].

ويظهر [illegible] القرآن [illegible] لأجل [illegible] التي [illegible] اتباع [illegible] المسلمين [illegible] حال اليهود والنصارى بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة الذين [illegible] في غير الحق[1] ومن خلال التعريف يتضح أن التقليد يقوم على اتباع الغير [illegible] على [illegible] ولذلك أنكر الإسلام على أهل الكفر [illegible] اتباع [illegible] سبقهم حتى ولو كانوا على ضلال، [illegible] الأمر [illegible] في الدين، والتقليد [illegible] من [illegible] الله تعالى: ﴿ [illegible] آباءنا أولو كان [illegible] لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ [البقرة: [illegible]].

ويحتج ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] عليهم [illegible][2]

[illegible] من [illegible] في يوم القيامة [illegible] أطاعوا الله والرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

والتقليد مذموم لأنه انصراف عن الحق إلى الباطل [illegible] سبب [illegible] ﴿ بل قالوا

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية [illegible]

[2] معاني القرآن وإعرابه للزجاج [illegible]

[illegible] ﴿٥٥﴾ [الأنفال: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

ولعل ذلك مما نبه عليه أن من أطاع مخلوقًا في معصية الله كان له نصيب من هذا الظلم والعذاب. والمطاع المتناول في معصية الله ورسوله إنه أن يحب الطاعة وربما أن يحب ما يهواه ولكبر [illegible] وهذه حال كل من عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن أهل البدع والفجور من هذه الأمة.

كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible]: الاستكبار

الاستكبار هو [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible] ﴿٧١﴾ [illegible] ﴿٧٢﴾ [illegible] ﴿٧٣﴾ [illegible] ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس: ٧١-٧٥].

والاستكبار [illegible] كفر الإبليس وفرعون من الرسل ولهذا الاستكبار كان إبليس بقول [illegible] فأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكبارًا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧](٢).

والاستكبار أو التكبر من أشد الصفات ذلك طرد إبليس بسببه وأصبح من الصاغرين.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣].

وبه خالف أمر ربه ومن والاها عصيب العذاب إبليس اللعين بقول المفسرين: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ولا ينبغي أن يتكبر فيها ولا في السماء تكبر مخالفة الأمر الله ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي: من الأذلاء والحقراء. [illegible]

---

[1] مجموع [illegible] ص٥٠.

[2] [illegible] ج٢ ص٣٤٦.

[illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿131﴾﴾ [طه: 131].

والمعنى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [illegible] ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [illegible] بني إسرائيل [illegible] (1) [illegible] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴿32﴾﴾ [النساء: 32].

ثانياً: الحسد

والحسد هو تمني زوال نعمة الغير [illegible] بالسجود لآدم عليه السلام حسده [illegible] قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿32﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿33﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿34﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿35﴾﴾ [الحجر: 32-35].

والمعنى: [illegible] السجود [illegible] إبليس من السجود [illegible] بالباطل [illegible] ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿62﴾﴾ [الإسراء: 62].

ويرد ذكر الحسد من بعض أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

ويحذر تعالى المؤمنين [illegible] أهل الكتاب [illegible] على المسلمين من [illegible]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، [illegible]

(2) تفسير [illegible] 32.

(3) المعجم [illegible]

النفسية لا ترغب أن ترى المسلمين مجتمعين في أمر الإيمان [illegible](٤)

ويبين ابن القيم سبب عداء اليهود الدائم للمسلمين [illegible] الحسد والبغي على الكفر به وتكذيبه(١)

ويذكر ابن القيم أركان الكفر فيقول: أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة، فالكبر يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة(٢)

قال تعالى [illegible] مبيناً على حسد أهل الكتاب: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

وبسبب هذا الحسد الدائم فهم [illegible] أنزل الله ورسوله، ولهم [illegible] من العرب [illegible] من الله سبحانه أن لا [illegible] قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ [البقرة: ١٠٩].

أي: [illegible] لحسدهم الذي لما لم [illegible] أن [illegible] على الكفر(٣)

فلذا يزرع الحسد منهم [illegible] للكفر بسبب [illegible]

رابعاً: الجهل

كثير من الجهل يدعو على عدم الإيمان بسبب جهل ما يجهلونه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

والمعنى: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وهو القرآن، [illegible] جهلاً(١)

والمعنى: أنهم سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبروه [illegible] يكون حال هذا التكذيب من مكابرة وعناد، لا من [illegible] ثم إن عدم الإحاطة بعلمه [illegible] وهو حال المعاند [illegible] في الجملة، وهو ما يكون بضرب من الشبهة [illegible] التكذيب من شبهة العناد(٢)

أمر الله تعالى أن يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم للمشركين حقيقة الإسلام الذين جهلوا الأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنهم لا يعلمون عنه شيئاً إلا ظاهراً لما أشكلت عليهم المسألة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ

---

(١) تفسير أيسر التفاسير، الجزائري [illegible]

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم [illegible]

(٣) الفوائد، ابن القيم ص [illegible]

(٤) تفسير القاسمي، [illegible]

(١) أوضح التفاسير، محمد عبد اللطيف الخطيب [illegible]

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴿٤٥﴾

[الزمر: ٤٥]

ومعنى ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ [illegible] ﴿اشمأزت﴾ [illegible] ﴿الآخرة﴾ [illegible] في أن ﴿الذين من دونه﴾ [illegible] الله [illegible] ﴿إذا هم يستبشرون﴾ إذا لم يرجع عن الشرك [illegible] في أمر ﴿الذين لا يؤمنون﴾ [illegible] كل [illegible] لأنهم [illegible] لا يعلمون دين الله وتوحيده.

ومن [illegible] في [illegible] الإفساد في الأرض، والتهكم على المؤمنين.

قال تعالى مبيناً حال [illegible] المنافقين:

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ⑪ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ⑫ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ⑬﴾

[البقرة: ١١-١٣]

[illegible]

قال تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ⑧③ حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أماذا كنتم تعملون ⑧④﴾ [النمل: ٨٣-٨٤].

[illegible] على [illegible] غير عالمين بها، حتى ولم يفكروا في صحتها بل [illegible] لا عن خبرة ولا عن معرفة [illegible] حين لم يحيطوا علماً بها ولم يفكروا فيها[2].

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[illegible]

تعددت مواقف أهل الكفر من الله تعالى فجحدوا وجوده [illegible] وكفروا بآياته وكفروا برسله، وأنكروا كتبه المنزلة على أنبيائه، وحاربوا [illegible] صلى الله عليه وسلم ومن قبله من [illegible] أهل الكفر [illegible] من كل [illegible] الذين [illegible] وأنكروا اليوم الآخر والبعث والنشور، [illegible] بقوله ﴿[illegible]﴾ [التوبة: ٢٩].

كما سجل عليهم القرآن الكذب والظلم [illegible] أهل الإساءة بالحرب [illegible] والعمر [illegible] كل هذا من أجل [illegible] عن دين الإسلام.

أولاً: مواقفهم من الله تعالى

من أشد مواقف الكفار مواقفهم من الله تعالى [illegible] كما حكى القرآن ما يلي:

١- الكفر

وأهل الكفر يصرون عليه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: [illegible]].

والمعنى: ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر، ولا واسطة إذ الحق لا يختلف، فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يتم إلا بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً أو إجمالاً، فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال[1].

٢- الكذب

ومن افتراء الكذب على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقد عد القرآن من أكذب أهل الكفر بالكذب [illegible]

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١].

والمعنى: من أشد ظلماً ممن اختلق على الله الباطل أو جحد آياته وأنكرها، إنه لا يفلح الظالمون أي لا ينجح الظالمون على الباطل[2].

---

[1] أنوار التنزيل، البيضاوي، [illegible]

[2] الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، [illegible]

٣- اليأس من رحمة الله:

فهو صفة لازمة لأهل الكفر.

قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

والمعنى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء[1]. ثم جعل اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين؛ إذ فيه إما التكذيب بالربوبية، وإما الجهل بصفات الله تعالى[2].

٤- جحود النعم:

ومن أظهر سمات الكافرين عدم مقابلتها بالشكر وصفة الجحود بالإنكار.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

ثانياً: موقفهم من الأنبياء والرسل:

١- التكذيب:

اعتاد أهل الكفر على مصادمة الأنبياء والرسل بحجة أساسية هي التكذيب لرسالاتهم، فلا تكاد تجد قصة من قصص الأنبياء في القرآن إلا وفيها التكذيب، والأمثلة على تكذيب الكافرين عديدة.

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقال تعالى مخبرا عن قوم صالح أصحاب الحجر: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر: ٨٠].

٢- الاستهزاء:

فهم يكثرون السخرية من الأنبياء والمرسلين وهذا من معاني الكفر.

قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٠﴾ [يس: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١١﴾ [الحجر: ١٠-١١].

والمعنى: وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده والإذعان بطاعته إلا كانوا به يستهزئون، يقول: إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتوا منهم وتمردا على ربهم[3]. فإن الاستهزاء في الكثير من قصص الأنبياء والرسل هو [illegible]

---

[1] جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٣٢.

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣/ ٤٨.

[3] جامع البيان للطبري ١٧/ ٦٩.

مخرج من الملة. قال السعدي: فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة[1]

٢- إيذاء الرسل:

ومن صور الإيذاء الاعتداء عليهم [illegible] وإيذاء لهم من نبي جاء إلا وآذاه قومه وأهل الأذى [illegible] من الرسل [illegible]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]

ولقد تعرض صور الإيذاء بين [illegible] بالسحر واتهامهم بالجنون، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢]

قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٣٠]

والنبي [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] على [illegible] إلى السحر والمجنون[2]

٤- القتل:

وهذا الأمر كان شائعا في الأمم السابقة وخاصة اليهود، وقد سجل الله تعالى على اليهود ذلك فقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥]

وأعظم صور القتل ما حدث لنبي الله زكريا بالمنشار [illegible] ويحيى [illegible] على صلب عيسى عليه السلام ورفعه[3]

ثانيا: موقفهم من الكتب السماوية

أ- التكذيب

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

تدعوننا إليه مريب ⑨﴾ [إبراهيم: ٩].

والمعنى: أنهم لما سمعوا كتاب الله من رسل الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم تعجباً(١).

الثاني: أخبر الله تعالى أن من كذب بشيء من آيات الله فإنه ظالم وسيكون من الظالمين، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

٢- الاستهزاء بالآيات:

واتخذوا آيات الله تعالى هزواً، الذين يتخذون آيات الله هزواً، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ⑨﴾ [الجاثية: ٩].

يقول ابن كثير: أي إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذه سخرياً وهزواً، أولئك لهم عذاب مهين، أي في مقابلة ما استهانوا بالقرآن واستهزؤوا به.

سئل الشافعي عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى فقال: هو كافر(٢).

واستدل بقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ⑥٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾(٣) [التوبة: ٦٥-٦٦].

٣- التحريف:

وهو يعني: التبديل والتغيير، فحرفوا آيات القرآن من جهة اليهود والنصارى، وما فعلوه من تحريف في التوراة والإنجيل، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

يقول القرطبي: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالاً والحلال حراماً اتباعاً لأهوائهم ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: عرفوه وعلموه، وهذا توبيخ لهم، أي: إن هؤلاء اليهود قد سلفت آباؤهم أفاعيل سوء وعتوا، فهؤلاء على ذلك السنن(١).

ليس هذا فقط بل غيروا الكلم بأيديهم ونسبوا ذلك كذباً إلى الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ⑦٩﴾ [البقرة: ٧٩].

٤- قولهم: أساطير الأولين:

أي: الباطل قصص من سبق.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: ٥].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٥/٣٧٨٨.

(٢) الصارم المسلول، لابن تيمية ٣٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٢٦٨.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢/٢.

فتحداهم الله تعالى بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝﴾ [الطور ٣٣-٣٤]

ثم خفف عنهم بأن يأتوا بعشر سور من القرآن فقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود ١٣]

فعجزوا فخفف عنهم التحدي على أن يأتوا بسورة ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة ٢٣]

فعجزوا عن الإتيان بأقصر سورة من سور القرآن.

رابعًا: موقفهم من المؤمنين

١- المقاتلة والقتل.

يحاول أهل الكفر دائمًا قتال أهل الإسلام حتى يردوهم عن دينهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة ٢١٧]

والتعذيب من عوامل مقاومة الكفار لدين الله ومقاومة أتباعه حتى يردوهم عن دينهم[1]

٢- الاستهزاء والسخرية

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة ١٣]

والسخرية ويصفونهم من صفات المنافقين يصفونهم بأنهم على حق والمراد بذلك علماء اليهود أو مشركي العرب والذين اتبعوا أهل الكفار[2]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾ [المطففين ٢٩-٣٦]

الغمز: الإشارة بالجفن والحاجب أي يشيرون إليهم بأعينهم استهزاءً ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا﴾ يعني الكفار ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا﴾ أي معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم[3]

٣- الحسد وكراهية الخير

أهل الشرك لا يريدون أن يصيب المؤمنين خير أبدًا من ربهم، ولذلك قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾

---

[1] أنوار التنزيل، البيضاوي ٢٢٧

[2] تفسير القرآن العزيز، ابن عبد السلام ج١/[illegible]

[3] معالم التنزيل، البغوي ج٨/٣٦٩

[البقرة: [illegible]]

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)﴾ [البقرة: 109].

فالحسد: كراهية النعمة على مستحق لها [illegible] من [illegible] إلا هو [illegible] الله في [illegible] من الباطل [illegible] الحسد يحمل على الظلم [illegible] من لا [illegible] [illegible] على المخاطب [illegible] الآية أنه قد كثيرا من أهل الكتاب [illegible] ارتدادكم بعد إسلامكم حسدا [illegible] ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: من عند نفوسهم[1].

4- الصد عن الحق

قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (31) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (32)﴾ [القيامة: 31-32].

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ أي: في [illegible][2].

خامسا: موقفهم من اليوم الآخر

تنحصر مواقف أهل الكفر من أحوال القيامة في إنكار البعث والحساب والتكذيب [illegible]

والإنكار والكفر

3- الكفر والتكذيب

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28)﴾ [إبراهيم: 28].

والمعنى على ذلك ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28)﴾ ومن على [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible][1].

ولقد سجل الله تعالى عليهم تكذيبهم [illegible] في كثير من الآيات منها قول الله تعالى: ﴿[illegible] (25) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)﴾ [القيامة: 25-30].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي: يوم [illegible] والعقاب والمطالبة[2].

ومن ذلك ما جاء عن [illegible] عن عائشة قالت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[3].

---

[1] تفسير الراغب الأصفهاني (1/ [illegible]).
[2] تفسير [illegible] [illegible].

[1] تفسير [illegible].
[2] تفسير [illegible] [illegible].
[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا [illegible].

وبين النووي معنى هذا الحديث بقوله: ما كان يفعله من الصلاة والإطعام ونحوهم من المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافرًا، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لم يقل: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي: لم يكن مصدقًا بالبعث، ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب(٢).

٣- التشكيك والاستهزاء

لم تسلم الأمور الغيبية أيضًا من سخرية واستهزاء الفرق الضالة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ [سبأ: ٧-٨].

والمعنى: قاله الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول إن أهل الكفر يحاورون الناس لتنفير الناس واستنكار واستهزاء القائل لهم: تنكر على الرجل الذي يدعي أنكم ستخلقون خلقًا جديدًا بعد أن تموتوا وتبلى أجسامكم وعظامكم وتتفتت وتنتشر في الأرض من أكابر وسادة على سبيل الاستكبار(١).

سادسًا: موقفهم من الشياطين

اتفق أهل الكفر على اتباع الشياطين وسلوك نهج الشيطان، وأملى لهم الشيطان الموالاة والاستهزاء، وقد وردت كثير من آيات القرآن الكريم عنهم منها ما يلي:

١- الموالاة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فموالاة الكفار هي التقرب بالحب والقول، فهم لهم بالطاغوت والاتباع والقوة، ومعنى ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ أي الشياطين، وهذا مما يدل على أن الطاغوت جمع(٢).

٢- التحاكم إلى الشياطين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

والمعنى على [illegible] يزعمون أن

---

(١) ينظر: صحيح مسلم [illegible] رقم [illegible]

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٨٧

(١) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، [illegible]

بعد الكفر ويرتضوا في الخطوب والترافع إلى الطاغوت المشتمل من مختص الإيمان والكتب، والحال أنهم قد أمروا في الكتب المنزلة أن يكفروا به أي بالطاغوت، وما ذلك إلا أنه يريد الشيطان الذي هو رأس الطواغيت أن يضلهم عن طريق الحق ضلالاً بعيداً بالتحاكم إلى الطاغوت [illegible] بالله تعالى.

ولذلك قال الفخر الرازي: فيريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، فجعل التحاكم إلى الطاغوت يكون إيماناً به، ولا شك أن الإيمان بالطاغوت كفر بالله، كما أن الكفر بالطاغوت إيمان بالله[1]

ويعقب الفخر الرازي على قوله بالتالي: [illegible] الصحابة، ومن قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وذلك فمن ارتاب في شيء من أمر من يحكم الرسول عليه الصلاة والسلام[2]

٣- استحواذ الشيطان على أهل الباطل:

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

والمقصود بالاستحواذ: الاستيلاء عليهم من كل الجهات وجعلها إلا [illegible] مرآة مؤلمة[3]

سابعاً: مراتبهم من بعضهم بعضاً

يقف أهل الكفر صفاً إلى صف تحالفهم الموالاة والمحبة والتعاون المتبادل، ولننظر إلى بعض مراتبهم تجاه بعضهم البعض.

المرتبة الأولى

ومعناها محبة أهل الكفر والتعصب لهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

حذر الله تعالى أهل الإيمان أن يتخذوا من اليهود والنصارى أولياء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وعلى ذلك فلا يجوز للمسلم أن يوالي الكافر الذي يجب على المسلم أن يعاديه لله تعالى من أهل الكفر، وأن يوالي أهل الإسلام.

وقد أمر الله تعالى بالبراءة من عبادة الأصنام، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ

---

[1] مفاتيح الغيب للفخر الرازي [illegible]

[2] المصدر السابق.

[3] بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي [illegible]

الكافرون ① لا أعبد ما تعبدون ② ولا أنتم عابدون ما أعبد ③ ولا أنا عابد ما عبدتم ④ ولا أنتم عابدون ما أعبد ⑤ لكم دينكم ولي دين ⑥﴾ [الكافرون: ١-٦].

وقال تعالى عن البراءة من المشركين والكافرين فقال تعالى: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ①﴾ [التوبة: ١].

٢- التقليد:

قال تعالى: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ㉒ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ㉓﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٣].

ومعنى ﴿على أمة﴾ أي: على دين[1]، فهو دلالة على إبطال التقليد، فذمهم الله على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم الرسول عليه الصلاة والسلام إليه[2]؛ لأن أصل الأمة الجماعة، والمقصد القرآن: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [الأنبياء: ٩٢].

[illegible] في الشيء [illegible] الطريق [illegible]: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أي: على دين، [illegible] آباءهم كانوا يجتمعون على دين واحد، [illegible] الأمة [illegible] للمسلمين أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم على ملة واحدة وهي الإسلام[3].

وسبب التقليد [illegible] الأمة [illegible] واتباع الهوى والجهل.

يقول عز من قائل على الأمة: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا[4].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، الكشف والبيان، الثعلبي [illegible]، [illegible]
(٢) أحكام القرآن، ابن العربي [illegible]
(٣) انظر: تفسير السمرقندي [illegible]
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

صفات الكافرين

أخبر القرآن الكريم في كثير من آياته عن صفات الكافرين، ولعل من أبرزها الضلال والغرور، فلا يوجد أخسر في الخلق [illegible] أنفسهم على الحق وما [illegible] على الباطل أنعم الله تعالى عليهم بالجوارح ثم يعطلوها بل سخروها في محاربة الإسلام وأهله [illegible] وهذا كل هذا بسبب الحسد والهوى الذي تمكن من نفوسهم [illegible] ويتعلقون به فركنوا إلى [illegible] والشهوات [illegible] كما سنبين فيما يلي.

أولاً: الضلال والإضلال

يقسم الراغب الأصفهاني الضلال إلى قسمين[1]:

- ضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة الله ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار إليهما بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].
- وضلال في العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات، والضلال البعيد إشارة إلى ما هو كفر كقوله على ما تقدم من قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ⊙﴾ [النساء: ١٦٧].

ويذكر الفيروزآبادي معنى الإضلال فيقول: والإضلال أيضاً على ضربين:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال، وذلك على وجهين: إما أن يضل عنه الشيء كقولك: أضللت البعير أي ضل عني، وإما أن يحكم بضلاله، والضلال في هذين سبب الإضلال.

الضرب الثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال، وهو أن يزين للإنسان الباطل ليضل، كقوله تعالى: ﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١١٣].

أي: [illegible] بها أن الذي لا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم[2].

ومن مظاهر الضلال:

١- الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

٢- اتباع الهوى والشهوات، قال تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص [illegible].

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٣/ ٤٨٦-٤٨٧ بتصرف.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴾ ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ ﴿ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿ مَّا أَشْهَدْتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾ ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

عطل ذلك لديهم وأصابهم [illegible] من أخذ منهم قرارًا لسمعها وآيات الله عز وجل وكفروا بها(١).

٢- عدم تحمل الخطاب الكافرين في الحياة ليستطيعوا [illegible] في العذاب قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا [illegible] أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

٣- أكثر القتل والمال يجعل الكافر في غرور لديه ولا يحسب الحساب لله تعالى، قال تعالى: ﴿[illegible] وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ⑦﴾ [الروم: ٦-٧].

سادساً: عدم الانتفاع بالعقل والجوارح.

إن الكافر لا يعقل عنه بما يأتيه ولا يستخدم جوارحه إلا في الشيء يضره وفي [illegible] الأحكام.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقد ذم القرآن الكريم أهل الكفر بسبب عدم تعقلهم والتي هي [illegible] كما جاء في القرآن ما يلي:

عدم التفقه، قال تعالى: ﴿[illegible] تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] بتوالي الخطب، لأن العقل يمنع صاحبه من الظلم والعصبية(٢).

٢- عدم إعمالهم علم وجود التوحيد قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

٣- عدم سماعهم [illegible] قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا [illegible]﴾ [البقرة: ١٧٠]، والمعنى: [illegible] ولا يعقلون [illegible] جعلهم في تركهم العقل وإعراضهم عنه بمنزلة من لا [illegible] ﴿[illegible]﴾ وذلك أن الأكثر [illegible] وما لا [illegible](٣).

٤- عدم استخدام جوارحهم إلا في متعة الراحة، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ⑰١﴾ [البقرة: ١٧١]، وعدم استخدام [illegible] في الملاحظ بالتفكر والتدبر يدل على عدم عقل العقل مما لا ينفع

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب [illegible].

(٢) معالم التنزيل، البغوي [illegible].

(٣) [illegible] القرآن، القرطبي، [illegible].

الظلم به.

• ومع هذا [illegible] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۝ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [النجم: ٣٢] [illegible] الأعمال أو الصغائر [illegible] على [illegible] والمعنى المذكورة لهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كلمة الشرك. ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [illegible] في الصغائر [illegible] [illegible] ويدل على أن [illegible] لم [illegible] من [illegible] ولم [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] لم [illegible] ولم [illegible] لم [illegible] [illegible][2]

وأما الظالم

الظلم في اللغة معناه: الجور ومجاوزة الحد، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه[1].

وعرف الظلم في الاصطلاح بأنه: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه[2].

وفسر الظالم بالكافر قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فسر الظلم بالشرك على إطلاقه [illegible] [illegible] أعم [illegible] كل [illegible] ما [illegible] [3].

ويدل على هذا المعنى ما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] بشرك، ألم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم[4].

---

[1] تفسير [illegible] ([illegible]).

[2] انظر تفسير القرآن [illegible].

[1] انظر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[2] [illegible] [illegible] [illegible].

[3] فتح الباري لابن حجر [illegible].

[4] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب [illegible].

وأسباب القسوة

دلت آيات القرآن الكريم على كثير من أسباب الطبع منها:

١- الكفر: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٦-٧]، فدل على أن كل كافر مختوم قلبه(١)

٢- الكبر والغرور: ويتجلى ذلك في قصة النمرود عندما حاجّ نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فحمله غروره وتكبره على محاجة نبي الله إبراهيم حسب اعتقاده الخاطئ بالحياة والإماتة، وقدر على فعل ما يفعله الله تعالى(٢)

٣- الكذب على الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١]، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً فزعم أن له ولداً أو شريكاً أو أن غيره معه أو من عبده أو جعل ولياً له يدعوه إله أو التي يتخذها الناس معه أو زاد في دينه ما ليس منه أو من كذب بآياته المنزلة كالقرآن، أو آياته الكونية الدالة على وحدانيته(١)

٤- موالاة أعداء الله تعالى والتشبه بهم التي من أسباب الطبع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧]

٥- السخرية من المرسلين: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجر: ١٠-١١]

خامساً: اتباع الباطل والمجادلة به

والباطل: ضد الحق، ويقصد به هنا الكفر والانحراف، ولقد جاءت آيات القرآن الكريم كثيراً في هذا المعنى لبيان أساليب الكافرين في المجادلة بالباطل من خلالهم بنية الاستكبار النفسي، ودلت آيات القرآن الكريم على كثير من أسباب الباطل والمجادلة به، وبيّنت الآيات عواقبها وآثارها

---

(١) الأسباب التي [illegible] الله تعالى [illegible] إبراهيم [illegible] ص ٣٣٦

(٢) [illegible]

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص

(١) [illegible] ٢/ ٨٤

أبطال الحضرميين في القصة من بين آل الحارث بن عمرو الذين قتلهم الملك حجر آكل المرار، وهم الذين أوصوا بدم حجر إلى ولده عمرو الذي ثأر له بقتل السموأل بن عادياء وبني عمه، وبقتل الحارث الأعرج بن أبي شمر الغساني، وبقتل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وبقتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وبقتل قابوس بن هند ملك الحيرة، وبقتل النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وبقتل عمرو بن المنذر ملك الحيرة، وبقتل الأسود بن المنذر ملك الحيرة، وبقتل النعمان بن الأسود ملك الحيرة، وبقتل إياس بن قبيصة الطائي ملك الحيرة، وبقتل الأسود بن قطبة ملك الحيرة، وبقتل قيس بن مسعود ملك الحيرة، وبقتل أوس بن قلام ملك الحيرة، وبقتل عمرو بن عدي ملك الحيرة، وبقتل جذيمة الأبرش

منهج الله في الكافرين

أرسل الله الأنبياء والرسل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لهذا أقام عليهم الله الحجة بإرسال الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]

ومن أساليب الله تعالى مع الكافرين أنه يمهلهم ويعطيهم الحياة ويأمرهم [illegible]، ولهذا اقترن منهج الله تعالى [illegible] والعالم بأنه أتيح لهم طريق للهداية، فلما أصروا على كفرهم وعنادهم أخذهم الله تعالى ومعاقبتهم، وقد بين أيضا القرآن الكريم أن علم الحجة من المؤمنين والكفار أيضا للمؤمنين في سنة الله تعالى يكون بما أمر الله به ويجتنب نهيه، والله تعالى قد [illegible] ولا يغلق باب التوبة للكافر أن يتوب إلى الله توبة نصوحا يكفر ما كان عليه من سيئاته والرجوع إلى حسناته، ولا أدل على ذلك من رحمة الله تعالى بعباده فالله تعالى لا يرضى لعباده الكفر [illegible] أحوالهم مثل ما حل بهم من الزلازل إلى الشدائد.

أولا: إقامة الحجة عليهم

إن الله سبحانه وتعالى [illegible] جميعا، وتتضمن إقامة الحجة في القرآن على الكافرين حجة:

١- إرسال الرسل: قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]

والمعنى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب، وقوله: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ أي إنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر.[1]

٢- الدعوة إلى التوحيد: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]

٣- المجادلة بالتي هي أحسن: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

الدليل [illegible]: هدف الدعوة الأول هو إدخال الناس في الإسلام ولذا فإن الدعوة تبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة، وكذا الهدف الأول للجدال والمحاججة هو ظهور على الخصوم وإقامة الحجة، ويبدو أن هدف [illegible] المجادل بالحق ألا ترى [illegible] رسول الله ﷺ أمر المسلمين بضرورة عدم الظلم خصومهم من الكفار ولو لم يبدأ منهم أحد الأمر صار الهدف الأول من المجادلة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، [illegible] أمر الله تعالى بلين الجانب كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه: ٤٤)[2].

٤- بيان عاقبة الأمم المكذبة: سجل القرآن الكريم بيان عاقبة المكذبين في القرآن ومن ذلك قوم نوح وقوم عاد وثمود وغيرهم قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٧-١٣٨) فعاقبهم الله تعالى عليهم السيئ بعد إعراضهم ومحاربة من كفر بهم.

٣) الإملاء والإمهال

والمقصود من الإملاء التأخير، قال تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٣).

والمعنى قوله تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أي أطيل لهم وأؤخر لهم[3].

قلت: الله تعالى المقصود بالإملاء إطالة المدة وطول الزمان مستدلاً على قوله تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أي أطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي[4].

كما وصف الله تعالى الكتاب بأجل مسمى قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (فصلت: ٤٥).

والإملاء والإمهال له عدة أسباب في القرآن الكريم منها:

١- بيان عاقبة الظالمين وسوء مصيرهم، قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣) وفي موضع آخر ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ [illegible]

---

[1] التفسير [illegible] سورة [illegible] من [illegible] ص ٩١.

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٢٣.

[3] انظر تفسير القرآن [illegible] ٢/ ٢٢٦.

[4] انظر [illegible] ٢٣.

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]. وفي موضع ثالث: ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: ٦٩]. وفي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢][1].

٢- أبرز الله الحديث عن اليهود [illegible] تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران: [illegible]].

٣- الإمهال والإملاء ليزدادوا إثمًا قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: [illegible]]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٧]. والمعنى ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ أي: [illegible] يوم العذاب[2].

ثالثًا: الاستدراج

الاستدراج [illegible] الله المجرمين [illegible] قال الله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢، القلم: ٤٤].

[illegible][3].

وقد بينت آيات القرآن الكريم [illegible] من الاستدراج [illegible] الله تعالى بحال السابقين [illegible] وقال الله تعالى [illegible] لما كذبوا الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۙ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يونس: ١٣].

ويخبرهم بحال الأخسرين أعمالًا حتى يحذروا من [illegible] قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وقد يكون العقاب الإمهال والمطاولة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ [illegible]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [illegible] رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم [illegible] رقم [illegible].

[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص [illegible]

[3] [illegible]

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٤].

والمعنى والله أعلم: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: [illegible] بالنعم التي كانوا يطلبونها[١].

وفي الحديث: عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٤][٢].

المستدرجون في القرآن: أهل الكفر المكذبون بآيات الله تعالى وبرسله والمتكبرون والمعاندون، والله تعالى لا يُنزل عليهم العطايا ليعمهم [illegible] ثم يأخذهم العذاب فما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون به من ملذات الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

أي: إنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الحياة فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئاً، ويكونون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٤].

والمعنى: إن الله تعالى إذا أغدق النعم على العبد المعرض عن طاعته المقيم على معصيته فإنما استدراج من الله تعالى له، والمعنى يؤيده السنة النبوية كما في الحديث عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأيت الله يعطي العبد وهو في [illegible] مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج» ثم تلا قول الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا

---

[١] الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب [illegible]

[٢] أخرجه أحمد في مسنده [illegible] رقم [illegible]، والطبراني في الأوسط [illegible] [illegible] في الكبير [illegible]، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين [illegible] رقم [illegible]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [illegible] رقم [illegible]

[٣] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل [illegible]

[illegible]﴾[1]

رابعاً: الأمر بمجاهدتهم:

أمر الله تعالى نبيه بمجاهدة الكافرين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: 73]

والقتال؛ لأن أصل القتال المشروع هو الجهاد حتى يكون الدين كله لله تعالى [illegible] أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين[2] وبالتالي فالأمر بمجاهدة الكفار لأسباب كثيرة منها ما يلي:

1- أن يكون الجهاد خالصاً لأمر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]

2- أن يكون الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: 39]

بالنفس، حتى لا يكون شركاً بالله وحتى لا يعبد غيره أحد، والمقصود منه الأوثان والآلهة [illegible] الشياطين والطاغوت [illegible] الأصنام والأوثان[3]، وفي الحديث عن أبي موسى، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل[4]

3- أن يكون [illegible] من [illegible] [illegible] لأسباب الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: 36]

---

[1] الحديث أخرجه أحمد في مسنده 4/[illegible] وابن جرير في تفسيره [illegible]
[illegible] الإرهاب [illegible]
[2] مجموع الفتاوى لابن تيمية 28/[illegible]

[3] جامع البيان للطبري 2/[illegible]
[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله 3/[illegible] رقم [illegible]

أ- إنه [illegible] المطلق، فلا يجوز القول [illegible] بل يجب [illegible] قال تعالى: ﴿ [illegible] مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [illegible] ﴾ [آل عمران: 178-179]. والمعنى: [illegible] في [illegible] والصادق [illegible] من [illegible] الأشياء [illegible] على [illegible] في ذلك [illegible][1].

خامساً: غنى الله تعالى عنهم

إن الله تعالى غني عن الخلق أجمعين، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا يضره كفر الكافرين، ولقد جاءت الآيات القرآنية تبين ذلك، وتوضح أن الله تعالى لا يبالي بخلقه إذا لم يطيعوه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: 77].

والمعنى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ﴾ أي: لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلاً [illegible][2].

بين الله سبحانه وتعالى أن له ملك السماوات والأرض، وأنه أخذ العهد والميثاق على الأمم السابقة أن يعبدوه ولا يكفروا به، فإن كفروا فإنه سبحانه وتعالى غني عن الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: 131].

والمعنى: ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ﴾ كما كفر أهل الكتاب، فإن لله ما في السماوات وما في الأرض، فإنه لا يضره كفركم، إذ له كل شيء، كما لم يضره ما فعل أهل الكتاب في معاصيهم، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا ﴾ أي: غني عن [illegible] في هذه الآية وغيرها[3].

أخبر الله تعالى على لسان بعض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أنه غني عن [illegible] الخلائق [illegible] ورحمتهم، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 8].

والمعنى: إن تكفروا وجميع الخلائق من الثقلين فإنه تعالى لم [illegible]

---

(1) تيسير [illegible] السعدي [illegible]

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(3) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب [illegible]

الله ﴿ سبحانه [illegible] ﴾ عن شركهم لا يحتاج إليه ولا ينقصه ذلك شيئا ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] للعباد [illegible] إحسانه [illegible] والعقل [illegible]

إن الله سبحانه وتعالى غني عن [illegible] عباده [illegible] حال أهل الكفر والجحود إن الله تعالى أرسل الرسل بالبينات والهدى من أهل [illegible] عليهم.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران: [illegible]]

سادسا: لا يستوي المؤمن والكافر

فرق الله تعالى بين [illegible] والكفر [illegible] في القلب [illegible] هو الإيمان والكفر هو [illegible] والإيمان هو [illegible]

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: [illegible]]

والله [illegible] ابن القيم [illegible] سبحانه [illegible] القلب [illegible] ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون [illegible] بالإيمان والعمل الصالح والأعمال إلى [illegible] الظاهر والباطن ومثل أحد الفريقين بالأعمى والأصم [illegible] الأعمى عن [illegible] أصم عن [illegible] الأعمى [illegible] القلب [illegible] الفريقين [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [هود: [illegible]]

وأهل الإيمان هم أهل [illegible] قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: [illegible]]

وأهل الكفر هم أهل [illegible] قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: [illegible]]

وأهل الإيمان هم أهل [illegible] الذين آمنوا بالله ورسله.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: [illegible]]

وأهل الكفر هم أهل الخسران.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

---

(1) [illegible]

(2) إعلام الموقعين ابن القيم.

[illegible] وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

وأهل الإيمان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 167].

وأهل النار عليهم الذلة والمسكنة والغضب من الله ومن الناس.

قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61].

وبآية أخرى يصف الله تعالى حال أهل النار [illegible] المشركين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: 6].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [illegible] الأصنام ويعبدون غيرها [illegible] ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [illegible] [illegible] لنفسها نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا [illegible].

وأهل الإيمان [illegible] الله تعالى في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27].

---

(1) [illegible]

الكفر بعد الإيمان

الكفر في الإسلام هو الخروج منه ويطلق على ذلك: ردة، لغة: [illegible] وهو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد الاعتراف في الإيمان، ويقول [illegible]: وكذلك هو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان [illegible] من الرجوع عن الإسلام، فالرجوع عن الإيمان يسمى ردة في عرف الشرع(١)

والكفر [illegible] [illegible] أو [illegible] من [illegible] الله [illegible] حكاية عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأعراف: ٨٨)

والمعنى: [illegible] [illegible] [illegible] ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ أي: [illegible] على الخروج من [illegible] [illegible] [illegible](٢)

والكفر بعد الإيمان له صور في القرآن الكريم منها:

١- الكفر بعد [illegible] في الإيمان والاستمرار عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ (النساء: ١٣٧)

يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات فإنه لا توبة بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا ولا طريقا إلى الهدى(٣)

٢- الاستهزاء بالله أو بشيء من آياته أو برسوله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٥ - ٦٦)

٣- الكفر بالله، فمن آمن بالله ورسوله ثم فرق بين الله ورسله فقد كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ (النساء: ١٥٠ - ١٥١)

٤- من انتقص من قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ (الأحزاب: ٥٧)

---

(١) [illegible] [illegible] ج[illegible] ص[illegible]

(٢) [illegible] [illegible] ص[illegible]

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج[illegible] ص[illegible]

توبة الكافر

جعل الله تعالى [illegible] لا يغلق أمامه باب التوبة يغفر له الذنوب جميعها حتى من الشرك بالله إذا تاب إليه توبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه وتوبة العاصي تمحو ذنبه(١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [البقرة: ١٦٠].

والمعنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: الرجاع بالتوبة [illegible](٢).

[illegible] الكافر أو المشرك توبة نصوحاً غفر الله له [illegible] والشرك لا يسأل الله عنه [illegible] في [illegible] أو [illegible] أو [illegible] من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وهذا من [illegible] عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في العرب [illegible] الجاهلية.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥].

فإذا أحسن العبد بعد إسلامه لم يؤاخذ بما عمله قبل الإسلام بل تبدل السيئات.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ [الفرقان: ٧٠].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»(٢).

ومن [illegible]

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ([illegible]).

(٢) معالم التنزيل للبغوي ([illegible]).

(١) صحيح [illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة ([illegible])، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ([illegible]).

السيئات التي كانت في الجاهلية بعد إسلام العبد.

في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها»[1].

عاقبة الكفر

جاء القرآن الكريم يبيّن حال أهل الكفر في الدنيا حتى أنهم لن يجدوا إلا الهموم والهوان [illegible] في [illegible] من مصائبهم من أهل الكفر [illegible] الظلم [illegible] والفسق والمعاصي [illegible] أهل الكفر في الدنيا [illegible] الأسماء وبالعذاب الدائم في النار والأمر لا يأتي بعد العذاب بالآخرة أشد وأبقى.

أولاً: عاقبته في الدنيا

تعددت أصناف العقوبات للكافر في الدنيا، وقد ذكرت آيات القرآن الكثير من تلك العقوبات منها ما يلي:

١- حرمانهم من الهداية قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [النحل: ١٠٤].

٢- اللعن قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤]. ويفهم من الآية أن الله تعالى لعن الكافرين، دون أن [illegible] لهم طردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة نارًا متأججة شديدة الحرارة[2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء ١/١٧ رقم ٤١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ١/١١٧ رقم ١٢٩.

[2] التفسير الميسر، مجمع الملك فهد [illegible]

٣- الغضب الشديد. قال تعالى: [illegible] ﴿٥٦﴾ [illegible]

٤- الحسرة [illegible] قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأنفال ٣٦)، [illegible] ﴿لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [illegible] ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [illegible] عليهم حسرة [illegible]

٥- الضيق والحرج الشديد. قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ (فاطر ٨) [illegible] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

٦- إغواء الشيطان [illegible] قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ (فاطر ٦) [illegible]

---

[٢] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أي إلى ما كانوا عليه من الكفر [illegible] الكبر والحسد [illegible] والمعجزات الظاهرة [illegible] من المسلمين [illegible]

٣- الغالب المستأصل لهم في الدنيا [illegible] أهلكهم بسبب كفرهم وذلك في الأمم السابقة قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: [illegible]

٤- [illegible] من المسلمين [illegible]

من أهل الإسلام [illegible]

٥- [illegible] قال تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [illegible]

[illegible] قوله ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [illegible] حتى نزلت هذه الآية [illegible] ثم أنزل الله [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

استغفر له ما كان من الله ما دمت أسأله من الاستغفار؟

٦- عذاب الكافر عند الاحتضار وبداية الملائكة لهم عند قبض أرواحهم وبشرى الإهانة بضرب الملائكة لأدبارهم ووجوههم [illegible] قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] والمعنى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: شدائده وأهواله الفظيعة، وكربه الشديدة، لرأيت أمرًا هائلًا، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها وتعصيها للخروج من الأبدان: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل(٢). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠].

٧- العذاب الشديد في القبر: قال تعالى حكاية عن حال فرعون وجنوده: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]. والمعنى: هم في العذاب العظيم إلى يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي: يعرضون على هذه النار في الصباح، أي: أول النهار، وفي العشي، أي: آخر النهار. وهذا العرض على النار هو في عالم البرزخ، وهو الفاصل بين الموت والبعث... فهم في هذه الفترة يعرضون على النار التي سيصيرون إليها يوم القيامة، فيرونها صباحًا ومساءً، إنذارًا بأنها المنزل الذي سيدخلونه يوم القيامة(٣).

(٨) عذاب الكافر في الآخرة

كما تعددت أنواع العقوبات للكافرين في الدنيا، تعددت أيضًا أنواع العقوبات للكافرين في الآخرة، ومن هذه العقوبات المعجلة للكافرين يوم القيامة ما يلي:

حبوط الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٣/١٣٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٢٦٤.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٢/...

[illegible] ﴾ [البقرة 167].

2- الحسرة والندامة في [illegible] من مشاهد يوم القيامة [illegible] الكافر بعد [illegible] كان من المؤمنين وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف فقال تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ۝ أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ۝ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ۝ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ۝﴾ [الزمر 56-59].

3- سواد الوجه بين المخلوقات [illegible] بالكافرين في يوم القيامة سواد وجوههم [illegible] يراهم جميع الخلق قال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ۝﴾ [الزمر 60]. والمعنى ﴿وجوههم مسودة﴾ أي [illegible] ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ أي [illegible] العظيم(1)

4- خروجهم من القبور [illegible] مسرعين قال تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ۝ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ۝﴾ [المعارج 43-44].

5- خشوع [illegible] أعين الكافر في يوم القيامة لا تقوى على [illegible] على [illegible] من هول ما يرونه قال تعالى: ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ۝﴾ [الشورى 45] والمعنى ﴿من طرف خفي﴾ أي [illegible](2)

6- [illegible] يوم القيامة [illegible] قال تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ۝﴾ [طه 102] والمعنى ﴿زرقا﴾ [illegible]

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(2) [illegible]

العطش، [illegible] لا يرد إلا العطش، [illegible] الحديد [illegible] به الوجوه[1]

٢- الأغلال والسلاسل: [illegible] القرآن الكريم [illegible] حال أهل النار في يوم القيامة وهم يجرون بالسلاسل إلى [illegible]، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝﴾ [غافر ٧٠-٧٢]، وفي آية أخرى يبين الله تعالى حال أهل النار حيث يقادون بالسلاسل، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝﴾ [الحاقة ٣٠-٣٤].

٣- الظل الأسود في النار، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝﴾ [الواقعة ٤٣-٤٤].

٤- شجرة الزقوم: [illegible] الشجرة [illegible] التي يطعم أصحاب النار، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات ٦٣]، والمقصود هو الشجرة التي تخرج في أصل الجحيم [illegible] ثمرها [illegible] مر [illegible] إلى [illegible] وجوه [illegible] وطعامها [illegible] وجوه [illegible][2]

٥- [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible] ۝﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذه الآية [illegible] تعالى [illegible] [illegible] به [illegible] ﴿[illegible] ۝ [illegible]﴾ [illegible] في [illegible][3]

٦- الحميم من الماء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان ٤٨]، والحميم: الماء [illegible] [illegible] والحميم الماء الشديد يصهر به ما في بطونهم والجلود [illegible] من [illegible] في [illegible] [illegible] به [illegible]

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

[2] [illegible]

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible]

الكتاب به بعلم منه!

٢ ـ هدى للمتقين: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩